فيه ما فيه
مولانا جلال الدين الرومى
ترجمة و دراسة و تعليق
محمد علاء الدين منصور
يوسف عبد الفتاح فرج
محمود سلامة علاوى
704
المشروع القومى للترجمة
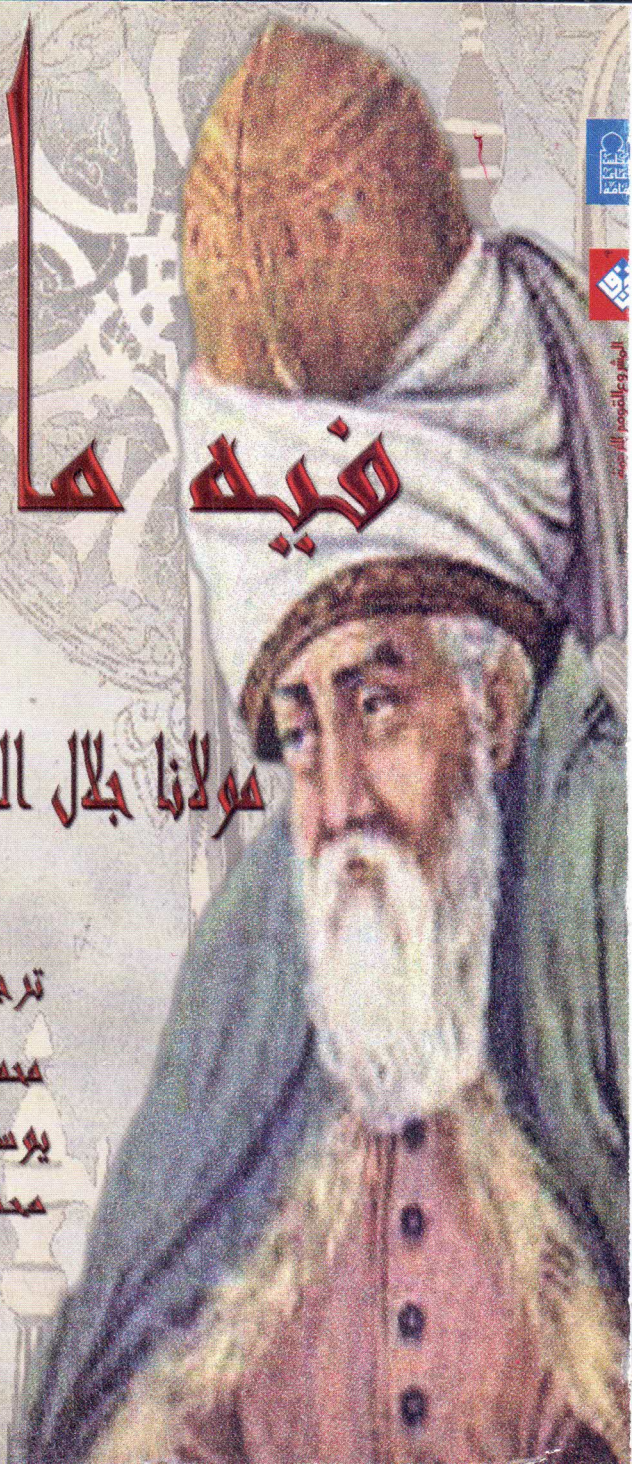
هذا كتاب فى الفكر الصوفى الأصيل للصوفى والعارف المشهور جلال الدين الرومى صاحب الطريقة المولوية المشهورة وصاحب (المثنوى) وغزليات شمس تبريزى. تحدث فيه عن العشق الإلهى والطريق الصوفى ومعرفة الله ووحدة الوجود والكشف والذوق والإنسان الكامل. الكتاب فى الحق خلاصة جامعة لفكر هذا الصوفى المشهور.

الغلاف: سارة عبرس

المشروع القومى للترجمة

فيه ما فيه

تأليف : مولانا جلال الدين الرومى
ترجمة ودراسة وتعليق : محمد علاء الدين منصور
يوسف عبد الفتاح فرج
محمود علاوى

٢٠٠٤
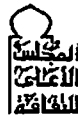
المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٧٠٤
- فيه ما فيه
- مولانا جلال الدين الرومى
- محمد علاء الدين منصور
- يوسف عبد الفتاح فرج
- محمود علاوى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

فيه ما فيه

لمولانا جلال الدين الرومى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال النبي «ﷺ»: « شرّ العلماء من زار الأمراء ، وخير الأمراء من زار العلماء. نِعْمَ الأمير على باب الفقير، وبِئْسَ الفقير على باب الأمير» .

فهم الناس هذا الكلام من ظاهره على أن العالم لا يجدر به أن يزور الأمير حتى لا يكون من أشرار العلماء ، وليس معنى الحديث ، كما ظنوا ، بل إن معناه إن شر العلماء من يستمد الأمراء ، ويكون صلاحه وسداده بواسطة الأمراء ، وأن ينتوى أولاً - خوفًا منهم - تحصيل العلم لأنه سوف يستمد منهم المال والاحترام والمنصب ، فكانوا هم إذن سبب صلاح أمره وتبدل جهله إلى علم . وإذا صار عالمًا تأدب بسبب الخوف منهم وبدافع عقابهم فيسير وفق سيرتهم حيثما ساروا . إذن على كل حال إذا أتاه الأمير زائرًا أو أتى هو الأمير زائرًا؛ فهذا العالم هو الزائر والأمير هو المزور . لكن العالم إذا فكّر أنه لم يتصف بالعلم بسبب الأمراء بل كان علمه أولاً وآخراً لله ولوجهه تعالى ، وكان طريقه وتعلمه على محجة الصواب ، لأنه تطبع بالصواب ولا يمكنه فعل غير الصواب كأنه سمكة لا تحيا إلا فى الماء ولا يمكنها العيش خارجه ، ويغدو لمثل هذا العالم عقله سائسًا له وزجراً حتى انزجر من هيبته كل العلماء فى عهده واستمدوا نوره وضياءه ، فإن مثل هذا العالم ، إن أتى الأمير زائراً ، فإنه هو المزور ، والأمير هو الزائر ؛ لأن الأمير فى كل الأحوال يستفيد منه ويمتاح علمه ، بينما هذا العالم عنه مستغن كالشمس الواهبة للنور ، أمرها عطاء ومنح على سبيل العموم تحيل الأحجار لعلاً

وياقوتًا ، وتبدل جبال التراب مناجم نحاس وذهب وفضة وتخضر الأرض وتمنحها النضارة وتهب الأشجار ثمارها فعلمها العطاء والمنح ولا ترضى بغير العطاء كما فى أمثال العرب (نحن تعلمنا أن نعطى ما تعلمنا أن نأخذ) . إذن فمثل هذا العالم على كل حال مزور والأمير هو الزائر. يرد إلى خاطرى أن أفسر هذه الآية مع أن تفسيرها لا يناسب هذا المقام ، ولكن بما أن تفسيرها يلح خاطرى فسوف أذكره يقول الحق- تعالى- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

[سورة الأنفال الآية ٧٠] سبب نزول هذا الآية أن المصطفى - ﷺ - كان قد هزم الكافرين وغنم منهم وأسر كثيرًا منهم فشد وثاقهم ، وكان من بين الأسرى عمه العباس -رضي الله عنه- وأخذ الأسرى فى البكاء طوال الليل فى الأسر والعجز والمذلة ينتحبون ، وانقطع منهم الأمل فى الحياة ، وانتظروا القتل وضرب الأعناق ؛ فنظر إليهم الرسول وضحك فقالوا : أرأيتم أنه بشر كسائر الناس ، وكان يدعى أن البشرية زايلته خلافًا للحقيقة فهو ينظر إلينا ويرانا فى أغلالنا وأصفادنا أسارى فيفرح ويضحك. ففهم المصطفى ما يجول فى خواطرهم : فقال لا.. حاشانى أن أضحك بسبب ما أنتم فيه وفرحًا لقهرى الأعداء أو رؤيتكم فى مضرة وأذى ، بل إنى أسعد وأضحك لأنى أرى بعين السرّ أننى أقتاد جماعة من السعير وجهنم والنار ذات الدخان المبين وهم فى أغلالهم وأصفادهم إلى الجنة والرضوان والنعيم الأبدى وهم يصيحون ويصرخون لماذا تقتادنا من هذه المهلكة إلى تلك الجنة والمأمن فيأخذنى الضحك ، وأنتم

لم يحدث أن انكشف لكم ما رأيته فلا تدركون أو تعاينون ما أقوله. يقول الحق تعالى قل للأسرى إنكم جمعتم الجيوش أولاً والشوكة الكبرى واعتمدتم بالكلية على قوتكم ومضائكم وشوكتكم ، وكنتم تقولون لأنفسكم فعلنا هذا لكى نهزم المسلمين ونقهرهم ، ولم تروا قادراً أقدر منكم ولم تعلموا قاهراً أعلى من قهركم فلا جرم أن انقلب كل تدبيركم وأنتم الآن فى خوف ، ولأنكم لم تتوبوا إلى الله فقد انقطع فيكم الأمل ولم تروا قادراً فوقكم ، فلا مناص إذن من أن تروا شوكتى وقدرتى وتعدوا أنفسكم مقهورين لى حين تتسير الأمور ولا تقطعوا الرجاء فىَّ حال خوفكم ؛ فأنا القادر على أن أنجيكم من خوفكم وأجعل لكم الأمن . أنا الذى أخرج الثور الأبيض من الأسود والثور الأسود من الأبيض ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾[سورة الحديد آية ٦] فلا يضع رجاؤكم فىَّ وأنتم في حالتكم من الأسر هذه حتى آخذ بأيديكم ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة يوسف آية ٨٧]. يقول الحق تعالى أيها الأسرى لو رجعتم عن مذهبكم الأول ورأيتمونى فى الخوف والرجاء ورأيتم أنفسكم مقهورين إلىَّ فى كل الأحوال فسوف أنجيكم من هذا الخوف وأعيد إليكم ما اغتنم من مال وتلف من أسباب بل أعيد أفضل وأكثر منه وأغفر لكم وأشفع لكم أيضاً عز الآخرة بعز الدنيا . فقال العباس : تبت ورجعت عما فعلت فقال المصطفى ﷺ : إن الحق تعالى يريد منك أمارة على دعواك ، بيت :

دعوى العشق سهلة   لكن لها دليلاً وبرهاناً

فقال العباس: بسم الله أى أمارة تريد ؟ فقال : أنفق على جند الإسلام من المال الذى بقى لك حتى يقوى جيش المسلمين إن دخلت

الإسلام وأردت خير الدين والمسلمين. فقال: يا رسول الله ماذا بقى لى لقد سلب كل مالى وتركوا لى حصيرة بالية. فقال الرسول : أرأيت أنك لم تصدق ولم ترجع عما كنت عليه ، سأقول لك كم لديك من المال وأين أخفيته وعند من أودعته وبأى موضع خبأته ودفنته . فقال : حاشا لله فقال الرسول : ألم تودع عند أمك هذا القدر من المال ؟ ألم تدفنه تحت الجدار الفلانى ؟ ألم توصها بأنك إذا عدت سوف تسلمه لك وإذا لم تعد سالمًا فسوف تنفقه فى أوجه الإنفاق الفلانية وتعطى فلانًا جزءًا منه ويبقى لها جزء آخر منه ؟! فلما سمع العباس قوله استسلم وأعلن صدق إيمانه ، وقال أيها الرسول بحق كنت أعتقد أن لك من الزمان ما سبقك من إقبال كما كان للملوك مثل هامان وشداد والنمرود وغيرهم ، فلما قلت ما قلت علمت وتحققت من أن هذا الإقبال سر إلهى وربانى ؛ فقال المصطفى صدقت فقد سمعت أنا هذه المرة أن زُنّار الشك بباطنك قد تمزق وسمعت تمزقه بأذنى ولى أذن باطنه فى عين روحى وكل من مزق حزام الشك والشرك والكفر سمعت تمزيقه بأذنى الباطنة وبلغ صوت ذاك التمزق سمع روحى والآن تحقق لى أنك صدقت وآمنت ويقول مولانا (الرومى) شارحًا هذا التفسير للأمير (بروانة)[1] حينما تسربل أولاً بالإسلام أو انتوى أن يفتدى الدين ويؤثر الإسلام بعقله وتدبيره ورأيه

(١) هو معين الدين البروانة (الحاجب) قام بأمر سلاجقة الروم فى عهد غياث الدين كيخسرو الذى خلف صغيراً والده ركن الدين بعد موته (٦٦٦هـ) على يد البروانة وحلفائه من التتار ، وقد استعان بهم أيضًا فى حربه المماليك. راجع للمترجم كتابه (تاريخ سلاجقة الروم من ٨٠-٨٢- دار الثقافة العربية عام ١٩٩٤م).

من أجل بقاء الدين وكثرة أهله ولما وثق بعقله ونسى الحق تعالى ولم يميز بين الخلق والحق فجعل الله عين ذاك السبب والسعى سبب نقص الإسلام فقد تحالف مع التتار ومدهم ليقضوا على المصريين والشوام ويقوض قوة الإسلام إذن فقد جعل الله السبب الذى كان قدراً لبقاء الدين سبباً لنقصه . وعليه فيجب على البروانة أن يتوجه إلى الله خالصاً لينجيه من خوفه ويعطى الصدقات لكى يحول هَوْلَه أمناً ولا ينقطع رجاؤه فيه . فإن الله ولو ألقى به من مثل تلك الطاعة إلى مثل هذه المعصية فبسبب أنه قد أصابه العجب فى الاختيال وأن يتضرع إليه فهو القادر على أن يوجد المعصية فى تلك الطاعة ، وأن يخلق تلك الطاعة من هذه المعصية ويخلصه من هذا الندم ويهيئ له الأسباب التى تجعله يسعى إلى قوة الإسلام وكثرة المسلمين فلا ينقطع به الأمل فى (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) . وغرضى كان أن يفهم هذا وتؤتى الصدقات فى تلك حالة ويتضرع إلى الله ويؤمل فى رحمة إذا هوى من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ؛ فالحق تعالى هو خير الماكرين يظهر الصور الخيرة وفى باطنها صور شريرة حتى لا يغتر الإنسان بأن رأياً سديداً وفعلاً قويماً قد تصورا له وظهرا .

لو كان شىء يظهر على حقيقة ما صاح الرسول مع نور نظره وثاقب رأيه يدعو ربه (أرنى الأشياء كما هى) تظهر الأشياء جميلة وفى حقيقتها هى قبيحة وتبديها قبيحة وهى فى حقيقتها جميلة ، إذن فأرنا الأشياء كما هى على حقيقتها حتى لا نقع فى الفخ ونضل الطريق . ولو كان رأيك سديداً ومنيراً فلن يفضل رأى الرسول وقد كان يدعو بذاك

الدعاء فلا تثق أنت كذلك بكل تصور ورأى وتضرع إلى الله ، وخذ حذرك فقد كان غرضك على نحو ، لكن الله قلب الآية وغير التفسير وأراد الأمر على مشيئته ، وحين تجيش الجيوش فلا يحق لك أن تعتمد عليها ، وإذا أصبت بالهزيمة فلا تقطع أملك فى الله فى خوفك وعجزك فقد أجرى الأمر حسب مراده ، وغرضى كان ما قلت .

* * *

فصل

كان أحدهم يقول: إنّ مولانا لا يتحدث بكلام فقلت أخيراً: إن خيالى أتى إلىّ بهذا الشخص ولم يحادثه خيالى هذا قائلاً:كيف أنت وما حالك ؟ بلا كلام جذبه الخيال هنا ولا عجب من أن حقيقتى تجذبه بلا كلام وتحمله إلى مكان آخر . إن الكلام ظل الحقيقة وفرعها ، والحقيقة تجذب الحقيقة كالظل وليس الكلام لأن الكلام بطريق أولى ما هو إلا ذريعة وإنما ينجذب الإنسان إلى الإنسان بما بينهما من تناسب فى الحقيقة وليس بالكلام ، بل إن الإنسان لو عاين آلاف المعجزات والكرامات من النبى أو الولى ما نجذب إليه إلا إذا كان فيه منهما جزء مناسب ذاك الجزء الذى يجعله فى ثورة واضطراب كشأن المنجذب إلى القهرمان ما لم يكن به جزء متناسب معه ما انجذب إليه . هذا التجانس والتناسب بينهما أمر خفى لا يبدو للنظر. ويقود تخيل كل شىء الإنسان إلى ذاك الشىء فيقوده تخيل الحديقة إلى الحديقة والدكان إلى الدكان لكن فى هذه التخيلات اشتباهاً وزوراً خفياً . ألا ترى أنك تذهب إلى مكان ما ثم تندم وتقول اعتقدت أنه خير ولم يكن خيراً ؟ إذن هذه الخيالات أشبه بالخيمة ويختفى الإنسان داخل الخيمة ؛ فإذا انطوت هذه الخيالات أو الخيام وبدت الحقائق قامت بلا خيمة الخيال وبدت على حالها وزال الندم . كل حقيقة تجذبك لا تكون شيئاً

غيرها . إنها هى الحقيقة نفسها التى جذبتك (يوم تبلى السرائر) ؛ فأى عجب من قولنا إن الجاذب فى الحق واحد لكنه يظهر متعدداً . ألا ترى الإنسان تجتاحه مئات الرغبات المتنوعة فيقول أريد حساء الشعرية ، وأريد حساء الدقيق ، وأريد الحلوى ، وأريد اللحم ، وأريد الفاكهة ، وأريد التمر ، وتظهر هذه المتنوعات وتتعدد فى مسمياتها ، لكن ، أصلها واحد – أصلها الجوع ، وهذا أصل وحيد ألا ترى أن الإنسان إذا شبع من شىء واحد قال لا أرغب فى شىء عداه إذن فعلم أن الأشياء لم تكن عشرة أو مئة بل هى واحدة (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة) أى عدد الخلق فتنة فيقولون إنهم واحد وهم مئة أنى يقال إن الولى واحد والخلق الكثيرين مائة وألف ، وهذه فتنة عظيمة (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة) فأى منهم مائة وأى خمسون وأى ستون ؟ قوم يتحركون بلا أقدام وأيد وعقل وروح كالطلسم والزئبق وتقول إنّهم ستون أو مائة أو ألف وما هم إلا واحد بل إنهم لا شىء ، وهذا الواحد ألف ومائة ألف وألف ألف (قليل إذا عُدّوا ، كثير إذا شدّوا) .

كان أحد الملوك يعطى رجلاً واحداً راتب مائة رجل فعاتبه جيشه فكان الملك يقول فى نفسه سوف يأتى يوم أبرهن لكم على الحكمة من فعلى هذا ؛ فلما جرى القتال هرب الجميع وبقى وحيداً يقاتل فقال فعلت ذاك بسبب صلاحه هذا .

يجب على المرء أنه يجرد قوته المميزة من الأغراض ، ويطلب رفيقًا له فى الدين ، رفيقًا يعرف الدين لكنه إذا صرف عمره مع من لا تميز لهم ضعفت قوة التمييز فيه فعجز عن معرفة رفيقه فى الدين وأنت ربيت

وجودك وليس به تمييز ، وإنما التمييز هى الصفة المنفرد الوحيدة ، ألا ترى أن المجنون يدين ورجلين لكنه يعدم التمييز ؟ التمييز هو ذاك المعنى اللطيف الذى بك وأنت منشغل فى ليلك ونهارك بتربية ذاك الذى يعدم التمييز متذرعًا بأن ذاك التمييز يقوم بهذا المعدوم منه بينما يقوم الثانى بالأول كيف عهدت بالتمييز إلى رعاية المعدوم من التمييز وأهملت الأول بالكلية ؟ والثانى قيامه بالأول والأول لا يقوم بالثانى . ذاك النور الذى يشع من نوافذ العيون والآذان وغيرها إذا لم تكن له تلك النوافذ فإنه يشع ويطل من نوافذ أخرى كمصباح أتيت به أمام الشمس لكى تراها بنور هذا المصباح فحاشا أنك إذا لم تأت بالمصباح فإن الشمس تجلى ذاتها بلا حاجة إلى المصباح .

لا يجب أن تقطع الأمل فى الله فهو بداية طريق الأمن فإذا لم تكن تدرى سلوك الطريق فاحفظ رأسه ولا تقل قد قمت بكثير من الاعوجاج ، اسلك الاستقامة فلا يبقى عوج قط . إن الاستقامة كعصا موسى ، وذاك الاعوجاج كسحر السحرة ، فإذا ظهرت الاستقامة لقفت ماعداها من إفك ، وأنك لو فعلت شرًا فإنما فعلته فى حقك أنت وأنىّ لشرّك أن يصيب الله؟

شعر

الطائر الذى حطّ على ذاك الجـــــبل وطار

انظر أى شىء زاده على ذاك الجبل أونقص منه

إذا استقمت زال كل أولئك فاحذر أن تقطع رجاءك. ومجالسة الملوك لهذا الوجه ليس يكتنفها خطر ؛ لأن الملك زائل كأى شيء لا محيص من زواله إن عاجلا وإن آجلاً . لكن الخطر من مجالستهم يأتى من أنهم إذا تولوا الأمور وقويت نفوسهم وصارت أفاعى فإنّ من صاحبهم وادعى محبتهم وقبل مالهم فلا فوت من الحديث وفق هواهم وحفظ معتقداتهم السيئة وقبولها والعجز عن مخالفتها ، ومن هنا يأتى الخطر لأن فيها إضراراً للدين ؛ لأنك إن عمرت طرفهم تغرب عنك الطرف الآخر وهو الأصل بحيث إذا توجهت إلى تلك الناحية أشاحت هذه الناحية وهى معشوقك ، بوجهها وكلما صالحت أهل الدنيا غضب الله عليك (من أعان ظالمًا سلّطه الله عليه) فحين توجهت شطره (تبعدت عن إله فسلّطه إله عليك) . إن الظلم هو إن تبلغ البحر وتقنع منه بغرفة ماء أو سطل وهو يحمل فيه الجواهر وأشياء نفيسة قيمة كثيرة بحيث يبقى حمل الماء منه بدون قيمة ، وكيف يفخر العقلاء بهذه الغرفة من الماء ، وماذا يفعلون بها ؟ إن العالم كله رغوة أو زبد فوق هذا البحر الذى هو ماء علوم الأولياء وأين موضع الجوهر نفسه منه ؟ إن العالم رغوة تمتلئ بالغثاء ، ولكن بدوران الأمواج ومناسبة فوران البحر وتحرك الأمواج تكتسى تلك الرغوة جمالاً ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [سورة آل عمران آية ١٤] . إذن فى قوله تعالى (زين) هذا المزين ليس جميلاً فى ذاته ، بل إن الجمال فيه عارض مكتسب من شىء آخر . إنه ذهب زائف أى هذه الدنيا رغوة زائفة بلا قيمة وقدر وزيناها للناس .

الإنسان هو إسطرلاب الحق ، لكن ينبغي أن يكون منجمًا عليمًا بالإسطرلاب، وبائع الخضروات أو البقال أنى له أن يستفيد بالإسطرلاب ؟ وماذا تعلم عنه ؟ ولو امتلكه فكيف له عن طريقه أن يفهم أحوال الأفلاك ودورانها والأبراج وتأثيراتها وتقلبها إلى غير ذلك ؟! إذن فالإسطرلاب فى حق المنجم مفيد ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، وكما أن هذا الإسطرلاب النحاسى هو مرآة الأفلاك فإن وجود الآدمى الذى قال فيه تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) هو إسطرلاب الله الحق ؛ لأن الله تعالى خلقه عالمًا ومدركا وفاهمًا لذاته ؛ فهو يرى من إسطرلاب وجوده تجلى الحق وجماله الذى بلا كيف لحظة لحظة ولمحة لمحة ، ولا يخلو ذاك الجمال قط من تلك المرآة وللحق عز وجل عباد كسوا أنفسهم بالحكمة والمعرفة والكرامة ، وإذا لم يكن للناس ذاك النظر الذى يرونهم فلأنهم من غاية غيرتهم يخفون أنفسهم كما يقول المتنبى :

لبسن الوشيَ لا مُتجملاتٍ ولكن كي يَصُنَّ به الجمالا

* * *

فصل

قال [١] أنا فى طاعتك بقلبى وروحى فى ليلى ونهارى ، لكنى أعجز عن بلوغ خدمتك وطاعتك بسبب مشاغلى وأعمالى مع المغول ؛ فقال المولوى إن مشاغلك هذه هى أيضًا أعمال الحق ؛ لأنها سبب أمن الإسلام وأمانهم فقد افتديته بمالك وجسمك لكى تطمئن قلوب المسلمين فينشغلوا بالطاعة لشعورهم بالأمن فعملك هذا خير ، وبما أن الحق تعالى قد جبل فيك الميل إلى هذا العمل الخيرى وفرط الرغبة دليل العناية ؛ فإذا طرأ فتور على هذا الميل كان دليلاً على عدم العناية بك ؛ لأن الحق تعالى لا يريد أن يزول مثل هذا الخير الخطير بسببه حتى لا تستحق ذاك الثواب والدرجات العالية كشأن الحمام الدافى وحرارته تتأتى من الوقود ووسائل الاحتراق كالقش والحطب وبعر الحيوان ؛ فالحق تعالى يهيئ أسبابًا ولو بدت قبيحة فى صورتها وكريهة لكنها معينة للحمام إذ يحمى بها ويفيد الناس . وفى هذه الأثناء دخل علينا رفاق فاعتذر قائلاً : إذا لم أقم بحقك ولم أحدثك وأسألك فى وجود هؤلاء فهذا احترام منى لك ، لأن احترام كل شيء هو ما يليق بوقته ؛ ففى الصلاة لا يتوجب

(١) أى معين الدين البروانة ، وكان مريدًا للمولوى كما ظهر بالنص (المترجم) .

مساءلة الأب والأخ. وتعظيمها وعدم العناية بالأحبة والأقارب فى حالة الصلاة هو عين العناية بالصلاة وعين إكرامها ؛ لأن المصلى لا ينفصم عن الطاعة والاستغراق بسبب وجودهم ولا يضطرب فكره بهم وإلاّ استحقّوا العقاب والعتاب إذن فعين الالتفات والإكرام هذا لأنه حاذ زمن شىء يكون فيه عقابهم .

سأل : هل من طريق أقرب من الصلاة يؤدى إلى الحق ؟ قال إنه الصلاة أيضًا ، لكن الصلاة ليست بهذه الصورة وحدها لأن الصلاة المعروفة هى قالب الصلاة ؛ لأن لها أول وآخر ، وكل شىء له أول وآخر هو قالب ؛ فالتكبير هو أول الصلاة ، والسلام آخرها ، وكذلك الشهادة فهى ليست ما يجرى على اللسان وحسب ؛ لأن لها بداية ونهاية ، وكل شىء يرد فى حرف وصوت وله بداية ونهاية هو صورة وقالب ، وروحه هو الذات التى لا كيف لها ولا نهاية ولا أول ولا آخر . إذن فهذه الصلاة هى التى يؤديها الأنبياء ومنهم النبى الذى شرع الصلاة ثم يقول (لى مع الله وقت لا يسعنى فيه نبىٌ مرسل ولا ملك مقرب) . إذن علمنا أن روح الصلاة ليست مجرد صورتها دائمًا هى الاستغراق والفناء وهما يخرجان عن كل صور الصلاة ولا تسعهما الصور وحتى جبرائيل أيضًا مع أنه معنى محض لا يسع هذا الاستغراق والفناء .

حكاية عن مولانا سلطان العلماء قطب العالم بهاء الحق والدين قدّس الله سره العزيز : إنه فى ذات يوم وجده أصحابه مستغرقًا وحل وقت الصلاة فناداه بعض مريديه قد حانت يا مولانا الصلاة فلم يلتفت إلى ندائهم فنهضوا وأدوا الصلاة ، غير أن مريدين وافقا الشيخ ولم

يقوما إلى الصلاة ، وأظهر لأحد هؤلاء المصلين واسمه (خواجكى) عيانًا بعين سره أن جملة الأصحاب الذين كانوا يصلون كانوا مع إمامهم ، ظهورهم إلى القبلة ، أما هذان المريدان اللذان وافقا الشيخ كانا متوجهين إلى القبلة ؛ لأن الشيخ حين تجاوز الوجود المادى وفنى فى الله ولم يبق له وجود مادى واستهلك فى نور الحق بحكم (موتوا قبل أن تموتوا) فغدا فى توه نور الحق وكل من أدبر عن نور الحق وتوجه إلى الجدار فإنما قد ولى دبره إلى القبلة بالقطع لأن الله هو روح القبلة .

فهؤلاء الذين يتجهون إلى الكعبة وما الكعبة إلا بناء بناة نبيّ والرسول هو قبلة العالم فإذا كان هو القبلة فهو من باب أولى قبلة كل مصلٍ عاتب المصطفى صاحبًا له قائلاً ناديتك فلم تجبنى فقال كنت مشغولاً بالصلاة وأنا بلا حول ولاقوة فقال حَسَنٌ إذا كنت فى كل وقتك بلا حول دائمًا فإنك ترى نفسك أيضًا فى حال القدرة عاجزًا بلا حول كما تراها فى حال العجز ؛ لأن فوق قدرتك قدرة وأنت مقهور للحق ولست فى كل أحوالك بشقين مرة تكون قادرًا وأخرى عاجزًا فانظر إلى قدرته وعدّ نفسك دائمًا عاجزًا بلا حول ولاقوة ومسكينًا . وليس الإنسان هو الضعيف أمام الله بل الأسود والنحور والتماسيح كلها عاجزة ترتعد أمامه كذاك السموات والأرض عاجزة ومسخرة لحكمه فهو ملك عظيم نوره لا يشبه نور الشمس والقمر اللذين يمحى بوجودها وجود الأشياء . إن نوره إذا تجلّى بدون حجاب ما بقيت السماء والأرض ولا الشمس ولا القمر وما بقى أحد غير هذا الملك .

حكاية : قال ملك لدرويش : اذكرني لحظة أن تكون في مقام تجلي الحق وقربه فقال حين أصل حضرته تعالى وتشع عليَّ أنوار شمس جماله أفنى عن ذاتي ؛ فكيف أذكرك لكن الحق تعالى إذا اصطفى عبداً وجعله يستغرق ذاته فكل من تشبث بذيله وطلب منه حاجه لبى حاجته دون أن يذكرها ذاك العبد أمام الحق .

رووا حكاية أن ملكًا كان له عبد أثير ومقرب عظيم إليه ؛ فكان هذا العبد إذا قصد قصر الملك كان أهل الحاجات يعطونه التماساتهم وطلباتهم ليعرضها على الملك ، فكان يضعها في حقيبته فإذا وصل إلى حضرة الملك وأشعت عليه أنوار جماله كان يقع مذهولاً أمام الملك فكان الملك يدسّ يده في حقيبة العبد بطريق الحب قائلاً هذا العبد المذهول بي المستغرق في جمالي ماذا معه ؟ فكان يجد تلك الالتماسات ويثبت على ظهرها أوامره بتنفيذها ويعيدها إلى داخل الحقيبة فكانت الحاجات تُلبَّى دونما عرض من العبد عليه لا يُرفض منها طلب بل كانت الحاجات تُلبَّى أضعافًا وفوق ما كان يؤمل منها ، أما العبيد الآخرون الذين كانوا مفيقين وبإمكانهم عرض الالتماسات والحاجات على الملك كان يجيب واحداً من مائة منها .

* * *

فصل

قال أحدهم نسيت هنا شيئًا ؛ فقال المولوى فى العالم شىء واحد لا يمكن نسيانه ولو نسيت كل الأشياء ولم تنسه فلا خوف ولو فعلت كل شىء وتذكرت كل شىء ولم تنسه ونسيته؛ فما فعلت شيئًا،كملك أرسلك إلى قرية لأمر معين فذهبت وأنجزت مئات الأعمال ولم تؤد ذاك العمل الذى أرسلت لإنجازه فكأنك لم تفعل شيئًا ، والإنسان أتى هذا العالم لأمر واحد هو المقصود إذا لم يوفه لم يفعل شيئًا قط . قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٧٢] عرضت الأمانة على السماوات فعجزت عن قبولها وانظر كم من الأعمال تتأتى يحار فيها العقل ، تحول الأحجار لعلاً وياقوتًا ، وتجعل الجبال مناجم ذهب وفضة يهتز بها نبات الأرض ويربو ويحيا وتجعل منه جنة عدن . والأرض بدورها تقتل البذور وثمينها وتخفى العيوب وتأتى بآلاف الأعاجيب بما لا يسع المجال لشرحها وتخلقها ، وكذلك الجبال تعطينا المعادن المختلفة،كل هذه المخلوقات تنجز كل هذه الأعمال إلا أمرًا واحدًا هو الذى يتأتى من الإنسان قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) ، ولم يقل

(ولقد كرمنا السماء والأرض) إذن فالإنسان يفعل ما لا تفعله السماوات والأرض والجبال فإن فعل هذا الأمر ينتفى عنه الظلم والجهل ولو قلت إننى إذا لم أقم بهذه الأمانة فكثير من الأمور الأخرى أقوم بها فإن الإنسان لم يخلق لتلك الأمور الأخرى ، كأنك أتيت بسيف فولاذى هندى لا قيمة له من هذه التى توجد فى خزائن الملوك وعندك ساطور تقطع اللحم فقلت لا أعطل هذا السيف وأنجز به ما ينجزه الساطور أو إناء ذهبى أتيت به لكى تطبخ به لفتًا ومثقال الأناء الذهبى يساوى مائة إناء آخر أو سكين مجوهر تجعل منه مسمارًا تعلق فيه قطع الكوسة ؛ لأن الصلاح عندك أن ترفع إناء الكوسة وتعلقه بهذا السكين ولا تعطله فما يثير الأسف والضحك هو أن تعليق الكوسة يصلح بمسمار خشبى أو حديدى زهيد الثمن فتستغل سكينًا يقدر بمائة دينار بدل هذا المسمار وقد أعلى الحق تعالى قيمتك فى قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [سورة التوبة الآية ١١١] .

شعر

أنت تفوق الدارين فى قيمتك ما العمل وأنت تجهل قدرك

فلا تبع نفسك رخيصة فأنت كثير القيمة عاليها .

يقول الحق تعالى اشتريتك وأوقاتك وأنفاسك وأموالك وعمرك فإن أنفقتها من أجلى وأعطيتها لى فثمنها هو جنة الخلد فقيمتك هى ذى

عندى ولو بعت نفسك بجهنم فقد ظلمت نفسك كذلك الرجل الذى دق سكينا يقدر بمئة دينار فى حائط ليعلق عليه كوزًا أو كوسة . نعود إلى ما كنا فيه ، تعتذر قائلاً أشغل نفسى بأمور عالية وأحصل علوم الفقه والحكمة والمنطق والفلك والطب وغيرها بينما كل هذه العلوم وضعت من أجلك فالفقه وضع لكيلا يسرق أحد خبزك أو يمزق رداءك أو يقتلك فتعيش فى أمان والفلك أيضًا ؛ لأن معرفة أحوال الفلك وتأثيره على الأرض يتعلق بأحوالك فهو من أجلك وإن تعلق نجم السعد أو النحس بطالعك فعلم ذاك يخدمك فأن تأملت فأنت الأصل وكل هذه العلوم فرعك وإذا كان فرعك بمثل هذه التفصيلات والعجائب والأحوال وعوالم الغرائب التى لا تنتهى فانظر أحوالك أنت فى الأصل . إذا كان لفروعك عروج وهبوط وسعد ونحس فانظر أى عروج وهبوط فى عالم الأرواح وسعد ونحس ونفع وضرر لك أنت الأصل ، وكيف أن الروح لها تلك الخصائص وتتأتى منها تلك الأفعال ويليق بتلك الأعمال : إن لك غذاء آخر يخالف ما اعتدت عليه من غذاء (أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى). ونسيت هذا الغذاء الربانى فى الدنيا وانشغلت بذاك الغذاء البدنى فربيت جسمك ليلك ونهارك وما جسدك إلاّ حصان وهذه الدنيا ما هى إلا حظيرته وغذاء الحصان ليس هو غذاء راكبه بل له غذاء وطعام وتنعم بسرّه . أما سبب أن الحيوانية والبهيمية تغلبتا عليك ؛ فلأنك ركبت حصانًا تخلف عن سائر الأحصنة وليس لك مقام فى صف الملوك وأمراء عالم البقاء . قلبك هناك لكن جسدك لأنه تغلب عليك فقد جرى عليك حكمة وغدوت أسيرًا له .

كشأن المجنون لما قصد ديار ليلى كان يسوق ناقته إليها ما كان واعيا مفيقا فإذا استغرق لحظة في ليلى ونسى نفسه وناقته كانت ناقته ولها وليد بديار المجنون تجد الفرصة وتعود وتصل ديارها فإذا أفاق وعاد إليه وعيه كانت الناقة قد سارت عائدة مسافة يومين ، فإن عاد بها إلى ديار ليلى كانت تتأخّر فى ذهابها ثلاثة أشهر فكان يصرخ قائلاً هذه الناقة سبب بلائى فينزل عنها ويسير مترجلاً .

شعر :

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى فـــإني وإياهـــا لمختلفـــان

قال : حكى السيد برهان الدين المحقق قدس الله سره العزيز : أتى أحدهم وقال سمعت فلانًا يمتدحك ؛ فقلت لنر من هذا الممتدح هل له من الكفاءة التى تجعله يعرفنى ويمتدحنى ، لو عرفنى عن طريق سمعتى فإنه لم يعرفنى ؛ لأن ذكرى بين الناس ما هو إلاّكلام والكلام زائل والحرف والصوت زائلان والفم واللسان زائلان ، كل ذلك عرض ولو عرفنى من خلال فعلى فالحكم لا يختلف ولو عرف ذاتى فإنى موقن من أنه استطاع مدحى ومدحه جدير بى .

حكاية : إنه كملك قيل إن له ولداً دفع به إلى جماعة من العلماء ليعلموه علوم الفلك والرمل وغيرهما وصار أستاذًا كاملاً مع تمام غبائه وبلادته . وذات يوم حوى الملك فى قبضته خاتمًا وامتحن ولده قائلاً هلم وقل ماذا أقبض عليه؟ فقال هل ما بقبضتك مدور الشكل أصفر ومجوف؟

فقال: ما دمت قد أبنت عن صفاته الحقيقية السليمة فقل ما هو هذا الشيء . فقال لابد أنه غربال فقال : أدليت بهذه الصفات الدقيقة التى تحار فيها العقول فكيف فات قوة تحصيلك وعلمك أن قبضة اليد لا تسع الغربال ؟

والآن فمثل هذا حال علماء أهل الزمان الذين دققوا ومحصوا العلوم وتفهموا للغاية الأشياء الأخرى التى تتعلق بهم فأحاطوا بها تمام الإحاطة ما يفوقها أهمية ويزيد عنها اقتراباً إليهم وهى الذات الألهية ونواتهم التى لا يفهمونهما . يحكمون بالحل والحرمة فى كل شىء وهذا جائز وذلك لا يجوز وهذا حلال وذاك حرام ولا يعرفون أنفسهم هل هى حلال أم حرام جائزة أم غير جائزة طاهرة أم خبيثة؟ إذن فهذا التجويف والصفرة والتدوير أمور عارضة إذا ألقيت بها فى النار ذهبت بدداً وتصفو الذات من كل هذه الصفات وكل ما يؤدونه من العلوم والأفعال والأقوال على نفس الوتيرة ولا تتعلق بجواهرهم التى تبقى بعد كل ذلك . وصفهم كما مر فى الحكاية يقولون كل شىء ويشرحون ويحكمون فى النهاية أن فى قبضة اليد غربالاً لأنهم غافلون عن الأصل : أنا طائر بلبل ببغاء لو قالوا لى ترنم بصوت آخر لا أستطيع ؛ لأن لسانى نشأ على هذا الصوت ولا أستطيع أن أصيح غيره . إنه أو الأصل قد تعلم صوت الطائر وليس بطائر . إنه عدو وصياد للطيور ، يصفر ويصيح حتى يعدوه طائراً ولو حكموا عليه بأن يصفر بصفير آخر غير صفيره لاستطاع ؛ لأن هذا الصفير عليه عارض وعارية وليس هو ذاته ويمكنه أن يصفر صفيراً آخر ؛ لأنه تعلم أن يسرق بضاعة الناس ويظهر من كل دار قماشاً .

فصل

قال[1] أى لطف هذا حين شرفنا المولوى ، ولم أكن أتوقع ، ولم يخطر ببالى أننى أشرف بزيارته وأنا الذى يتوجب علىّ ملازمته ليلى ونهارى وأدخل فى زمرة خادميه وأتباعه وملازميه ، بل إن هذا يفوق مقامى أى تلطف منك تلطفته فقال المولوى : إن سبب هذا أن لك همة عالية ، ومع أن لك مرتبة عزيزة وعظيمة وأنت منصرف إلى عوالى الأمور وخطيرها فأنت ترى نفسك قاصرًا بسبب علو همتك ولا ترضى عن نفسك وتلزم نفسك أمورًا كثيرة ، ومع أن قلبى فى طاعة دائمة ، لكنى كنت أود أن أشرف أيضًا بالصورة ؛ لأن الصورة لها اعتبار عظيم ، فالقشرة لها اعتبار تشارك بها اللب ؛ لأن الأمر كما أنه لا يتأتى بلا لب فلا يتأتى أيضًا بلا قشر وإن غرست الحبة بلا قشرة فلن تنبت ولو دفنتها فى الأرض بقشرتها نبتت وصارت شجرة عظيمة . إذن فالجسم من هذه الناحية بدوره أصل عظيم وجدير ، و بدونه لا يتأتى فعل ولا

(١) الأغلب أن القائل هو البروانة السابق الذكر (المترجم) .

يحـصـل مقـصـود ، إى والله . الأصـل هو المعنى لمن يفـهم المعنى ويدركه ومن صار هو نفسـه معنى . ما يقال (ركعتان من الصلاة خير من الدنيا وما فيها) لا يعمل بها كل شخص وإنما الذى يفـهم معناها من إذا فـاتته ركعتـان صـعب عليه فواتها أكثر مما لو فـاتته الدنيا و فـانيـها و ملكها وأملاكه فيها .

دخل صـوفى على ملك فـقـال له الملك : أيـهـا الزاهـد ، فـقـال إنمـا الزاهد أنت . قال كيف أكون زاهداً وكل الدنيا ملكى . قال لا ليس كمـا تظن أن الدنيـا والآخـرة وملـكك كل أولئك ملكى وأنا أخـذت العـالم منى فقنعت بلقمه وخرقه وحسب (أينمـا تولوا فثم وجه الله) وجه الله جارٍ ورائج لا ينقطع ولا يزول . قد افـتدى هذا الوجـه العشـاق بأنفسـهم ولا يطلبون بديلاً عنه وماخلاه مثله كمثل الأنعام ، وقال إذا كانوا أنعامًا فهم يستحقـون الإنعام ، وإذا كانوا فى حظيرة الأنعام فهم مقبولون عند أمير الحظيـرة ؛ لأنه لو أراد نقلهـم مـن هـذه الحظـيـرة وقـادهـم إلى حظـيرة خاصـة كمـا أوجدهـم فـى البداية من عدم وأدخلهـم من حظيرة الوجود مرحلة الجماد ومن حظيرة الجماد إلى النباتية ومن النباتيـة إلى الحيوانية ومن الحيوانيـة إلى الإنسـانيـة ومن الإنسـانيـة إلى مـا لا نهـاية إذن كل مـا جـرى لك لكى تقـر بـأنه له من كل نوع من هذه الخـطـائر كثيرون أعلى من غيرهـم (طبقًا عن طبق فمـا لهم لا يؤمنون) قد أوجد مـا أوجـد وأظهر مـا أظهـر لكى تقـر بأنه لم يظهـر الطبـقـات الأخـرى

المستقبلية لكى تنكر وتقول إن ما من شيء خلاف ما أوجد ، هو أستاذ يظهر صنعته وفضله لكى يعتقد به من صنعيهم ويفضلوه ويؤمنوا به ، شأن ملك يخلع على الناس ويصلهم ويكرمهم وذلك بهدف أن يتوقعوا من فضله إنعامًا آخر ويحيكوا أكياسهم أملاً فى عطائه ، ولم يكرمهم لكى يقولوا ليس بعد عطائه عطاء ولن يروا منه أكرامًا آخر ثم يقتصرون على ما أعطاه . إن الملك لو علم فيهم تحولهم وعلمهم هذا ما تفضل عليهم بإكرام . والزاهد هو من يرى الآخرة وأهل الدنيا هم من يرون حظيرة الدنيا أما من هم الأخصّ منهم وهم العارفون ؛ فهم لا يرون الآخرة ولا الدنيا إنما وقع نظرهم على الأول وأدركوا مبدأ كل أمر كشأن عالم يغرس بذره القمح ، ويعلم أنه سوف تنبت قمحًا . أدرك الآخر من الأول ، كمثل الشعير والأرز وغيرهما ؛ لأنه رأى بدايتها فلا ينظر إلى نهايتا . علم النهاية من البداية ، هؤلاء العارفون نادرون أما المتوسطون فهم الذين يرون النهاية ومن هم فى حظيرة الدنيا ما هم إلا أنعام . إنه الألم الذى يرشد الإنسان وكل فعل وشأن ليس للإنسان ألم وهوس وعشق يشده إليه وينبعث من داخله نحوه فلن يقصد إلى إنجازه ، ولن يتيسر له هذا الأمر بدون ألم سواء كان أمرًا دنيويًا أو أخرويًا أو تجارة أو ملكًا أو علمًا أو فلكًا وغيرها . إذا لم تشعر مريم بآلام المخاض ما قصدت تلك النخلة (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) . قد ساقها ما بها من الأم إلى تلك النخلة وأثمرت النخلة اليابسة ، جذعها كجسم مريم . وكلٌ منّا له عيسى ، إذا لم تبد فينا الآلام فلن يولد لنا عيسى . وإذا لم نشعر بالألم فسوف نحرم ونقفز من عيسى الذى أتى من ذاك الطريق الخفى وعاد إلى أصله ولحق به .

شعر :

الروح من الباطن بفاقة والطبع من الظاهر بغنى

والشيطان متخم بالطعام والنور يتضور جوعًا

فالتمس الدواء الآن ومسيحك على الأرض

لأن المسيح إذا ارتفع إلى السماء ضاع الدواء

* * *

فصل

كلامى هذا لمن هو يحتاج إلى الكلام لكى يدركه ، أما من يفهم ويدرك بدون كلام فلا حاجة به إلى الكلام .السماوات والأرض كلها كلام عند من يدرك وخلقتنا وتولدنا من الكلام بقوله (كن فيكون) والصياح والحديث لا يحتاجهما من يفهم دقيق الكلام ورمزه .

حكاية : قدم شاعر عربى إلى ملك ، وكان الملك تركيًا ، ولم يكن يعرف الفارسية أيضًا فأنشأ له الشاعر قصيدة عظيمة غراء بالعربية ، وأتى بها وكان الملك مستويًا على عرشه وأهل الديوان كلهم حاضرون الأمراء يتلوهم الوزراء كما هو النظام ، ووقف الشاعر فى المؤخرة وبدأ ينشد شعره . وأخذ الملك يهز رأسه عند إنشاد الشاعر ما يستحق الثناء ويبدى دهشته حيث ينشد من الشعر ما يعجب ويظهر اهتمامه عند معانى الشعر الدقيقة فحار أهل الديوان قائلين : إن ملكنا لا يفهم كلمة من العربية فكيف صدرت عنه هذه الحركات التى تناسب المقام والمعنى فى الأشعار إلا إذا كان عليمًا بالعربية وكان يخفى علمه عنا هذه السنوات الطوال فويل لنا إن كان فهم ما كنا نظهره من سب وقلة أدب بالعربية ، وكان له غلام خاص فاجتمع عليه أهل الديوان وأعطوه أنعامًا وأموالاً ووعدوه بأموال أخرى لو أطلعهم هل الملك يعرف العربية

أو يجهلها ، وإذا كان يجهلها فما سر حركاته التى كان يظهرها؟ هل هى من كرماته؟ أم من إلهاماته ؟ إلى أن انتهز الغلام يومًا فرصة أثناء الصيد ولقى الملك جذلان لأنه أكثر من الاصطياد فسأله فضحك الملك قائلاً والله إننى لا أعرف العربية ، لكنى كنت أهز رأسى وأبدى استحسانى لأنه معلوم ما هو مقصوده من ذاك الشعر . إذن فبات معلومًا أن الأصل هو المقصود ، وذاك الشعر هو فرع المقصود ، وإذا لم يكن ذلك المقصود وما أنشد ذاك الشعر . إذن فلو نظروا إلى المقصود زال ما غيره وزالت الاثنينية ، والاثنينية من الفروع والأصل واحد كشأن المشايخ ؛ فمع أنهم فى الصورة مختلفون وفى أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم متباينون ، لكن شيئًا واحدًا من ناحية المقصود وهو طلب الحق . كشأن ريح تهب فى منزل تطوى السجاجيد وتوجد فى الأكلمة اضطرابًا وتحركًا ، وتحمل القش والغثاء إلى الهواء ، وتموج الماء فى الأحواض وترقص الأشجار والأغصان والأوراق . كل هذه الأحوال تبدو متفاوتة ومتعددة لكنها واحدة من ناحية المقصود والأصل والحقيقة ؛ لأن حركة كل هذه الأشياء من ريح واحدة . قال نحن مقصرون ، فقال : إن من تأتيه هذه الفكرة وينزل عليه هذا العتاب ما الذى أفعله ، ولماذا أفعله ؛ فهذا دليل المحبة والرعاية (ويبقى الحب ما بقى العتاب) لأنهم يعاتبون الحبيب ولا يعاتبون العدو . وهذا العتاب متفاوت عند من يؤلمه ألمه ويخبره ويعلم أنه دليل المحبة والرعاية فى حقه . أما من عوتب ولم يؤلمه العتاب ويؤثر فيه فهذا لا يدل على المحبة كالسجادة التى تضرب لكل ينفضوا عنها ما علق من غبار هذا الضرب لايسمّيه العقلاء عتابًا ، ولكن إذا ضرب ابنك أو محبوبك عوتب الضارب ويظهر دليل المحبة فى

مثل هـذا المقام . إذن فما دمت ترى فى نفسك ألمًا وندمًا فهذا دليل عناية الحق ومحبته . وإن رأيت فى أخيك عيبًا فهذا العيب فيك لأنك تراه فيه والعالم كالمرآة ترى صورتك فيها (المؤمن مرآة المؤمن) فأزل هذا العيب عن نفسك ؛ لأن ما يغضبك منه هو ما يغضبك من نفسك قال : أتوا بفيل على بئر لكى يشرب فكان يرى نفسه على صفحة الماء ويجفل كان يظن أنه يخاف من فيل آخر ولا يدرى أنه يخاف من نفسه . وأنت لا تغضب بسبب الرذائل من ظلم وحقد وحسد وحرص وقسوة وكبر لأنها فيك فإن رأيتها فى غيرك جفلت وغضبت. لا يتقزز الإنسان من دماملة ، يغمس يده المجروحه فى الطعام ويلعقها ولا يتقزز أو يشمئز ، فإذا رأى فى غيره أقل دملاً أو جرحًا صغيرًا وغمس يده فى طعام ما تذوقه واستساغة قط . كذلك الأخلاق مثلها مثل الدمامل والقيح لا يتقزز منها ما دامت فيه فإن كانت فى غيره أو أقل منها اشمأز ونفر طبعه . وكما أنك تجفل منه فاعذره إن هو جفل منك واشمأز . اشمئزازك منه هو عين عذره ؛ لأن اشمئزازك بسبب رؤيتك لما فيه وهو أيضًا يرى ما بك (والمؤمن مرآة المؤمن) ولم يقل (والكافر مرآة الكافر) ؛ لأن الكافر ليس لك تلك المرآة ولا يعرف غير مرآته هو .

جلس ملك حزينًا على شفا جدول وخافه الأمراء وفزعوا منه فلم تنسبط أساريره ، وكان عنده مضحك عظيم مقرب إليه فقال له الأمراء لو أضحكت الملك فسوف نعطيك كذا فقصد المضحك الملك ورغم كل مسعاه فلم يلتفت إليه الملك ولم يرفع وجهه عن صفحة الجدول فقال المضحك للملك : ماذا يرى الملك فى ماء الجدول ؟ فقال : ديوثًا فأجاب

المضحك أيها الملك إننى لست أعمى وكذلك إن رأيت فيه شيئًا وأغضبك فهو ليس أعمى فهو يرى فيك نفس ما تراه فيه .

عند الله (الأنا) لا تسع الاثنينية ، أنت تقول (أنا) وهو يقول أما (أنا) أو أنت ؛ فمت عنده أو فليمت هو عندك حتى تزول الاثنينية . أما أنه يموت فهذا خارج الإمكان لا يموت فى الذهن ولا فى خارجه (وهو الحى الذى لا يموت) له هذا اللطف وهو إذا أمكنك مت من أجله لكى تزول الاثنينية ، وبما أن موته مستحيل فمت أنت حتى يتجلى عليك وتنعدم الاثنينية . تعقد طائران حبيًّان معًا ومع أنهما من جنس واحد ولكل منهما جناحان ولهما أربعة أجنحة فلا يطيران ؛ لأن الاثنينية قائمة بينهما أما إذا كان واحد منهما ميتًّا طار الآخر ؛ لأن الاثنينية قد زالت . وللشمس هذا اللطف وهى أنها تموت أمام الخفاش ولكن بما أنه لا يمكنها أن تنادى أيها الخفاش قد أصاب لطفى الجميع وأريد أن أحسن إليك فمت بما أن موتك ممكن حتى تستفيد من نور جلالى وتخرج وهو أن يفتدى الحبيب بنفسه . كان يطلب هذا الحبيب من الله ولم يكن الله ليقبل ، وجاءه نداؤه لا أريده أن تراه فكان عبد الله يلح فى طلبه ولا يكف عن الدعاء : رب قد أودعت فىّ طلبه ولا يبارحنى فأتى نداء الحق فى النهاية هل تحب أن يلبى طلبك افتدنى بحياتك وافن ولا تبق وغادر العالم فقال رضيت يارب ، ففعل ذاك وافتدى الحبيب حتى تحقق أمره ؛ فإذا حصل للعبد هذا اللطف وهو أن يفتدى الله بعمر لقاء عمر يساوى يوم واحد منه إعمار جملة العالم أوّلاً وآخرًا ، وهذا اللطف ليس لطفًا فى حق خالق اللطف محال هذا الأمر لكن بما أن فناءه مستحيل فافن أنت .

قدم الشيخ شرف الدين الهروى إلى بيت المستوفى وجلس فوق دست مرتفع قال مولانا لا يختلف الأمر لديه سواء كان جالسًا أعلى من المصباح أو أسفل منه . إن المصباح لو طلب العلو فلا يطلبه لنفسه ، لأن غرضه هو منفعة الآخرين حتى يختطوا من نوره ، وإلا فحيثما يكون المصباح سواء بالأسفل أو بالأعلى فهو مصباح وهو الشمس الأبدية . هؤلاء حين يطلبون جاه الدنيا وعلوها فغرضهم ليس كغرض الناس الذين يهتمون برفعتهم ، إنما يريدون أن يصطادوا أهل الدنيا بفخ الدنيا حتى يرتفعوا إلى علو آخر ويسقطوا فى فخ الآخرة ، كما كان صنيع الرسول - ﷺ - فلم يكن يستولى على مكة وغيرها ؛ لأنّه يحتاج إليها بل كان يأخذها لكى يمنحها الحياة ويهبها نور الكرامة (هذا كف معوّد بأن يعطى ما هو معوّد بأن يأخذ) . يستولى على ألباب الناس لكى يمنحهم عطاء وليس لأجل أن يأخذ منهم شيئًا . إن من ينصب أفخاخه ويمسك الطيور بمكره لكى يأكلها أو يبيعها يقال به مكار أما الملك إذا نصب شباكه لكى يصيد بازيًا أعجميًا لا قيمة له ولا يخبر شيئًا عن جوهره ويعلمه كيف يقف على ساعده حتى يتشرف ويتعلم ويتأدب لا يقال عن فعله مكرًا ولو بدأ فى صورة المكر إنما هو عين الصدق والعطاء والمنح وإحياء الموتى وتحويل الحجر إلى ياقوت وخلق إنسان من منى ميت وخلاف هذا ولو علم البازى علّة صيده ما احتاج إلى نصب الفخ له بل طلبه بروحه وقلبه ولطار إلى يد الملك.ينظر الناس إلى ظاهر كلامهم ويقولون قد سمعنا كثيرًا من هذا وامتلأت بواطننا من هذا الكلام وقبيله (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم) كان الكافرون يقولون قلوبنا

غلاف هذا النوع من الكلام وقد امتلأنا منه فقال تعالى فى حقهم حاشا أن يكونوا قد امتلأوا به إنما هم قد امتلأوا بالوساوس والخيال والشرك والشك بل امتلأوا باللعنة (بل لعنهم الله بكفرهم) ليتهم قد فرغوا من هذه الديانات لقبلوا أن يستفيضوا من الكلام الإلهى لكنهم لم يقبلوا فختم الله على سمعهم وأبصارهم وقلوبهم حتى يروا الأشياء بلون آخر يرون يوسف ذئبا وتسمع آذانهم صوتًا مختلفًا فتعد الحكمة هذيانًا وعبثًا وتأخذ قلوبهم لونًا آخر فتضحى محلاً للوساوس والخيالات كشأن الشتاء قد اختلط من الثلج والبرد بالتشكل والخيال (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) ولأنهم لم يمتلئوا بقبول الحق لم يدركوا كنهه ولم يسمعوا به فى كل عمرهم سواء هم أو أولئك الذين يفخرون بهم فليس وجود كل منهم هذا الكوز الذى يملأه الحق تعالى بالماء لبعض الناس فيرتوون منه ويعبون ويفرغه الحق على شفاه البعض الآخر . ومن كان هذا شأنه فأنى له أن يشكر الله إنما يشكر من ملأ الله كوزه .

لما خلق الله تعالى آدم من طين وماء (خَمَّر طينة آدم أربعين يومًا) أتم خلق قالبه ، وكان قد بقى على الأرض فترة طويلة فهبط إبليس - عليه اللعنة - ودخل قالب آدم وتجمع فى عروقه وانساب فيه فرأى عروقه وأعصابه تمتلئ بالدم ورأى أخلاطه . قال آدم لا غرو إذن إن ظهر إبليس وكنت قد رأيته على ساق العرش . إذا ظهر إبليس فلا عجب فما نرى من الناس دليلاً على وجوده والسلام عليكم .

* * *

فصل

قدم ابن الأتابك فقال مولانا إن والدك دائمًا مشغول بالحق واعتقاده غالب وظاهر من حديثه . قال الأتابك يومًا : قال كفار الروم نزوج بناتنا من التتار حتى يصبح الدين واحداً ويزول الإسلام الذى هو دينك فقلت متى كان الدين واحداً ، لقد كان دائمًا شيعًا وأحزابًا والحرب والقتال قائم بينهم فكيف ستجعلون الدين واحداً إنما سيكون واحداً يوم القيامة لكن لا يمكن أن يتوحد فى الدنيا ؛ لأن بهذه الحياة لكل واحد مراداً وهوى مختلفًا فلا يمكن أن يتوحد فى الدنيا إلا فى الآخرة حتى يغدو الجميع واحداً وينظرون نظراً واحداً ويصير كلهم أذنًا واحدة ولسانًا واحداً ؛ ففى الإنسان أشياء كثيرة . الفأر والطائر مرة ، يرتفع الطائر بقفصه ومرة ينحدر الفأر إلى جحره وآلاف الوحوش المختلفة فى الإنسان ، إلا أنهم ينفصلون فى الآخرة حين يترك الفأر فأريته ويتخلى الطائر عن طيرورته ويتوحد الجميع ؛ لأن المطلوب ليس بالأعلى ولا بالأسفل . حين يظهر المطلوب يبقى الأعلى أو الأسفل كواحد فقد شيئًا فتجده يبحث فى اليمين واليسار والأمام والخلف فإذا وجد هذا الشىء ما عاد يبحث عنه فى أعلى أو أسفل ولا فى اليمين ولا فى الشمال ولا فى الأمام ولا فى الخلف بل يجتمع كل أولئك يوم القيامة

ويصبح الجميع بنظر واحد ولسان واحد وأذن واحدة وعقل واحد كعشرة من الناس يشتركون فى حديقة واحدة أو دكان واحدة فإن كلامهم واحد وهمهم واحد وانشغالهم بشىء واحد لأن مطلوبهم واحد . إذن ففى يوم القيامة إذا انشغل الجميع بالحق صاروا واحداً بمعنى أن كل إنسان فى الدنيا منشغل بأمرها واحد بحب المرأة وآخر بالمال وثالث بالكسب ورابع بالعلم ، ويعتقد الجميع أن علاجه وسعاته وفرحته وراحته فى ذاك الأمر ، وهذا رحمة من الحق فحين يذهب هناك ويبحث ولا يجد بغيته يعود وحين يمكث ساعة يقول سعادتى وراحتى تستحق البحث والطلب لكنى لم أبحث جيداً فلأبحث ثانية وحين يعيد البحث لا يجد مطلوبه وهكذا حتى تتجلى له الرحمة بلا حجاب ويعلم بعد ذاك أن الطريق لم يكن ذاك الطريق الأول ، لكن الحق تعالى يجعل عباده على هذه الشاكلة قبل القيامة لكى يعتبروا . يقول علىٌّ - ﵁ -: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً) أى إذا أزيل القالب وظهرت القيامة مازاد يقينه . ومثل هذا جماعة اتجهوا فى ظلمة الليل كل منهم اتجاهاً فى دار لهم وأخذوا يصلون فإذا انبلج النهار تحولوا عن اتجاهم ، أما ذاك الذى كان مولياً وجهه شطر القبلة أثناء الليل فلم يتحول عنها أما غيره فإنهم يعدلون وجهتهم إليه سبحانه . إذن فمثل علىٍّ من العباد يتوجهون إلى الحق فى الليل ويتحولون عن غيره إذن ؛ فالقيامة فى حقهم ظاهرة وحاضرة .

الكلام بلا نهاية ، لكنه ينزل بقدر طلب الطلب (وإن من شىء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) والحكمة مثلها مثل المطر بلا نهاية فى معدنها ، لكنها تنزل على قدر المصلحة كالمطر

يهبط في الشتاء وفي الربيع وفي الصيف وفي الخريف بقدر معلوم وكذاك في الربيع يكثر ويقل ولكن المحل الذى يهبط فيه مكان لاحدَّ له .

العطارون يضعون السكر في عبوات من ورق أو الدواء لكن السكر ليس بقدر ما يوضع في الورق ؛ لأن مناجم السكر ومعادن الدواء بلا حدود بلا نهاية حتى تسع أوراق . كانوا يشنعون على النبى - ﷺ - لماذا ينزل القرآن عليه كلمة كلمة ولا ينزل سورة سورة فقال المصطفى ﷺ: ماذا يقول هؤلاء البلهاء لو نزل القرآن جملة واحدة عليَّ لذبت وفنيت ؛ لأنه كان يفهم أشياء كثيرة من قليل وأمورًا عديدة من أمر واحد ودفاتر من سطر واحد مثله كمثل جماعة جلست تسمع حكاية ، لكن واحدًا منهم يعلم جميع الأحوال وكان شاهد عيان على ما جرى ويحكى فيفهم من رمز واحد كل ما حدث ويصفر وجهه ويحمر ويتبدل من حال إلى آخر ولم يفهم غيره إلا ما كان يحكى له ؛ لأنه لم يكن عالمًا بكل تفاصيل الحكاية أما من علم فقد فهم منها سائر ما جرى . فلنعد إلى ما كنا فيه أتيت دكان العطار والسكر عنده كثير لكنه يرى ما معك من وعاء فيعطيك بقدر حجم وعائك . وعاؤك هنا همتك واعتقادك وبقدر همتك واعتقادك تنزل عليك المعانى ؛ فلما أتيت تطلب السكر ينظر إلى جوالك فيكيل لك كيلة أو اثنتين بقدر اتساعه ، ولو أتى بسرب من الإبل تحمل أجولةً كثيرة فيؤمر الكيَّالون بملئها كذاك الإنسان فواحد لا تكفيه بحور وآخر تكفيه قطرات وما يزيد عنها يؤذيه ويضره وليس هذا وحسب فى عالم المعنى والعلوم والحكمة بل فى كل شىء فى المال والجواهر والمعادن ، كلها بلا حدود ونهاية لكن ينزل منها على المرء بقدر تقبله ، لأنه

لا يستطيع حمل ما يزيد عن طاقته بل يتحول إلى الجنون . ألا ترى هذا فى المجنون وفى (فرهاد) وغيرهما من العاشقين الذين هاموا فى الجبال والصحارى لعشق امرأة فقد جُنَّ جنونهما لأن الشهوة زادت عن تحملها وألا ترى هذا فى فرعون حين نزل عليه من الملك والمال فوق طاقته ادعى الألوهيَّة(وإن من شىء إلاَّ عندنا خزائنه) ليس من شىء من الخير والشر إلاَّ عندنا وفى خزائننا بلا حصر لكنا ننزل منه ما هو بقدر التحمل وما فيه المصلحة .

أجل هذا الشخص معتقد لكنه لا يدرى كنه اعتقاده كطفل يعتقد فى الطعام لكنه يجهل أى شىء يعتقد فيه ، وكذلك النباتات تذبل وتجف من العطش ولا تدرى ما العطش . ووجود الإنسان مثل راية أو علم يرفعه فى الهواء وبعد ذاك يرسل من كل طرف يعلمه الله الجيوش والأجناد من العقل والفهم والغضب والحلم والكرم والخوف والرجاء والأحوال بلا حصر والصفات بلا نهاية إلى أسفل هذا العلم وكل من نظر من بعد لم ير غير ذاك العلم أما من نظر من قرب علم ما فيه من جواهر ومعانٍ .

جاء شخص وقال: أين كنت ؟ أنا فى شوق إليك ، فلماذا أطلت فراقك؟ قال: حدث لى حادث كذا . فقال: كنت أنا أيضًا أدعو بأن يزول هذا الحادث وينقشع ، فالحادث الذى يأتى بالفراق حادث مكروه ، أى والله إنه مراد من قبل الحق لكنه حادث طيب مقبول بالنسبة إلى الله . صدق فيما قال كل ما ينتسب إلى الحق طيب وكامل ، لكنه غير ذلك بالنسبة لنا فهو زنا ورجس . إن عدم الصلاة أو الصلاة والكفر والإسلام

والشرك والتوحيد كل أولئك طيب مرغوب عند الله أما بالنسبة إلينا فإن الزنا والسرقة والكفر والشرك أمور سيئة ، والتوحيد والصلاة وفعل الخير أمور طيبة بالنسبة إلينا ، أما بالنسبة إلى الحق فكلها طيبة كمثل ملك فى ملكه السجن والمشنقة والخلعة والمال والأملاك والحشم والوليمة والفرح والطبل والعلم فهذه المتخالفات عند الملك أمور طيبة ؛ فكما أن الخلعة كمال ملكه فكذاك المشنقة والقتل والسجن كله كمال ملكه وكله كمال بالنسبة إليه ، أما بالنسبة إلى الخلق فكيف تستوى الخلعة والمشنقة ؟!

* * *

فصل

سألنى: ما الأفضل من الصلاة ؟فأجبته: روح الصلاة أفضل من الصلاة. وإجابة أخرى هى أن الإيمان يفضل الصلاة ؛ لأن الصلاة محدودة بخمسة أوقات ، أما الإيمان فهو فريضة كل وقت ، والصلاة تسقط لعذر ويرخص تأخيرها . وللإيمان فضل آخر عن الصلاة وهو أن الإيمان لا يسقط بأى عذر ولا يرخص تأخيره والإيمان ينفع بلا صلاة ولا تنفع الصلاة بلا إيمان كصلاة المنافقين . والصلاة فى كل دين تتنوع لكن الإيمان لا يتبدل مع كل دين ولا تتبدل أحواله وقبلته ، وهناك فروق أخرى تظهر على قدر جذب المستمع ، لأن المستمع مثله كالدقيق أما العاجن والكلام مثل الماء يوضع فيه من الدقيق بقدر ما يصلح له .

شعر

إذا نظر إلىّ أحد نظر السوء فماذا أفعل

اشْكُ أنت نفسك لأنك أنت نور نظره

إذا نظر إلى أحد نظر السوء أى إذا طلب المستمع غيرك فماذا أفعل وأنت نوره بسبب أنك لم تتخلص من ذاتك بذاتك حتى تزايد نورك فبلغ آلاف أضعافه .

حكاية :

كان أحد الناس شديد النحافة والضعف والقبح كأنه عصفور فى غاية الضعف حتى إن القبحاء كانوا إذا نظروا إليه شكروا الله على حسنهم رغم أنهم كانوا يتشكون من قبحهم قبل رؤية قبحه ، ومع قبحه كان فظ اللسان يتفوه بالسباب والسخام ، وكان فى ديوان الملك فكان يؤذى الوزير ويهينه حتى ثارت يومًا ثائرة الوزير وصاح : يا أهل الديوان قد انتشلنا هذا الرجل من التراب وربيناه وصار شخصًا بإنعامنا وإطعامنا فوصل به الأمر إزاء ذلك إلى أن يسبنا . فثار فى وجهه وقال : يا أهل الديوان وأركان الدولة والأركان صدق فقد ربانى بإنعامه وإطعامه وكبرت فلا جرم أننى على هذه الصورة من القبح والفضح ولو تربيت بنعمة من غيره ورعايته لكانت صورتى وقامتى وقيمتى أفضل مما أنا عليه . رفعنى من التراب فلا جرم من أننى أصيح (ياليتنى كنت ترابًا) ولو رفعنى غيره من التراب ما كنت مثل هذه الأضحوكة . والآن فالمريد الذى يتربى بتربية الحق تطهر روحه وتشف ومن تربى بالتزوير والخديعة وعلمه خداع مزور لكان مثل هذا الشخص حقيرًا وضعيفًا وعاجزًا ومسكينًا وحزينًا ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ . [سورة البقرة الآية ٢٥٧]

كل العلوم مغروسة مركوزة فى طبع الإنسان والروح تجلى العينيات كأنها الماء الصافى يظهر ما تحته من حجر وطين وما فوقه وتعكس صورتها على جوهر ماء هذه الطبيعة الإنسانية بلا علاج وتعليم لكن لما اختلط ماء الإنسان الصافى بالتراب وبألوان أخرى انفصم عنه تلك الخاصية وذاك العلم ونسيهما فأرسل الحق -تعالى- الأنبياء والأولياء كالماء الصافى العظيم لكى يخلص من كل ماء عكر وحقير يدخل طبعه من حقارته وعكارته ولونه العارض فيتذكر حتى يرى نفسه صافيته ويعلم أنه كان صافيًا هكذا فى حالة الأولى ويفهم أن تلك العكارة والألوان عارضان ، ويتحقق من الحالة التى كان عليها قبل هذه العوارض ويقول : (هذا الذى رزقنا من قبل) إذن فالأنبياء والأولياء ما هم إلاً مذكرون له بحالته الأولى ولا يضعون جديداً فى جوهرة ، والآن فكل ماء عكر فهم ذاك الماء العظيم ، وأنه جزء منه وهو منه اختلط به ، أما ذاك الماء العكر الذى أنكر ذاك الماء ورآه مخالفًا له ومن غير جنسه فقد تحصّن بالألوان والعكارات حتى لايمتزج بالبحر وينألى عن اختلاط البحرية لذاك قال: (فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وقال – تعالى-: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [سورة التوبة الآية ١٢٨] أى أنَّ الماء العظيم من جنس الماء القليل ومن نفسه وجوهره ومن لا يراه من نفسه فهذا التناكر ليس من نفس الماء بل هو قرين السوء للماء الذى يعكس صورة ذاك القرين الأعلى الأفضل وهو لا يدرى أن جفلى وحركتى من هذا الماء الكبير والبحر هو من نفسى أو من صورة هذا القرين السوء بسبب غاية الاختلاط كالطين الهامد الذليل لا

يدرى أن ميلى إلى الطين من طبيعتى أو لعلة أنه اختلط بطبعى ، اعلم أن كل بيت وحديث وآية يستشهد بها مثل الشاهدين الدليلين العالمين بالأدلة المختلفة يشهدان فى كل مقام بما يناسبه كالشاهد على وقف منزل وشاهدين على بيع دكان وشاهدى النكاح يشهدان فى كل قضية بما يناسب حالها هكذا تكون صورة الشاهد أما معناه فمختلف . نفعنا الله وإياكم : اللون لون الدم والريح ريح المسك .

* * *

فصل

قال لى : اجتاحته رغبة أن يرانى ، وكان يقول: كنت أود أن ألقى مولانا. فقال مولانا: يرى مولانا هذه الساعة على الحقيقة لأن ما يتمناه هو أن يرى المولوى وإن يرانى بدون نقاب ولا يرى المولوى هذه الساعة بغير حجاب وكذلك كافة الرغائب والمحبات والشفقات والمودات التى لدى الخلق ويحسونها تجاه المخلوقات الأخرى كالآباء والأمهات والأصدقاء والسموات والأرضين والحدائق والأواوين والعلوم والأعمال والمطاعم والمشارب كل هذا ما هو إلا رغبة فى رؤية الحق وسائر تلك المرغوبات ما هى إلاّ حجب وأقنعة ومطلوبهم فى الحقيقة شىء واحد هو ذاك . تَنْحَلُّ كل المشاكل وتجد جميع الأسئلة التى ببواطنهم الإجابة ، ويصبح كل شىء عيانًا ، ولا يكون جواب الحق بأن يجيب على كل سؤال إجابة منفردة ومستقلة عن غيرها ، وإنما بإجابة واحدة تحل جميع الأسئلة دفعة واحدة وتحل جميع المشاكل كما ترى أثناء الشتاء كل شخص قد زحف فى رداء أو غطاء أو دثار داخل غار دافئ تحصّن به ومثلهم سائر النبات من الشجر والعشب وغيرهما ، إذا تعرّى كل منها بسبب قرصة البرد من الورق والثمر ، واحتوى بداخله ما يدفئه وتبقى به البرودة ، وحين يتجلى الربيع عليهم بجوابه تحل جميع مشاكلهم من الأحياء

والنباتات والجمادات مرة واحدة وتزول الاستفسارات ويطل الجميع برأسه ويعلم ما سبب ذاك البلاء . وقد خلق الحق - تعالى - هذه الحجب والنقب لمصلحة مؤداها هو أن جمال الحق لو تجلى بغير نقاب فلن نطيقه ولن نستفيد منه ؛ فبواسطة هذه الحجب نجد المدد و النفع . ألا ترى هذه الشمس التي نعيش في نورها ونمشي ونرى ونميز بين الطيب والخبيث ونستدفئ بها وتثمر بها الأشجار والبساتين وتنضج بحرارتها الثمار الفجة والحامضة والمرة وتصبح حلوة ، وتظهر معادن الذهب والفضة واللعل والياقوت بتأثيرها ؛ فلو أن هذه الشمس ذات المنافع الجمة لو زادت منا اقترابًا فلن نحصل على فائدة منها بل ستحرق سائر العالم والناس وتفنيهم . والحق - تعالى - حين يتجلى إلى الجبل بالحجاب يتحلى الجبل بالخضرة ويترع بالشجر والثمر والزهر ، وحين يتجلى بلا حجاب يجعل عاليه سافله ويجعله دكًا ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [سورة الأعراف الآية ١٤٣].

سأل سائل هل هذه الشمس نفسها هي التي تبزغ في الشتاء ؟ فقال غرضنا هنا هو مجرد التمثيل ، أما هناك فلا جمل ولا حمل مثل آخر ومثال مختلف ، ورغم أن العقل لا يدرك الله تعالى بجهده ، لكن العقل لا يستطيع أن يتخلص من جهده ودأبه ، ولو تخلص من جهده فلن يكون عقلاً ، إنما العقل هو ما يظل بالليل والنهار دائم الاضطراب وعديم القرار بسبب فكره وجهده واجتهادته ودأبه لإدراك البارئ تعالى ، ومع أنه لا يدرك ولا تقبل الإدراك لكن العقل بمثابة الفراشة والمعشوق هو الشمعة ، ومع أن الفراشة ترمي بنفسها

على الشمعة وتهلك لكنها لا تصبر على الشمعة رغم ما يصيبها من احتراق وآلام ، ولو أن حيوانًا كالفراشة لا يصبر على نور الشمع ويرمى بنفسه عليه فإنه هو نفس الفراشة ، ولو رمت الفراشة بذاتها على نور الشمعة ولم تحترق الفراشة فلن تكون الشمعة شمعة . وكذاك الإنسان إذا صبر عن الحق ولم يجتهد فى إدراكه فلن يكون إنسانًا ، ولو استطاع إدراك الحق فلن يكون الحق هو الحق . إذن فالإنسان هو من لا يخلو من الاجتهاد ويطوف حول نور الحق بلا استقرار وراحة ، والحق هو من يحرق الإنسان ويفنيه ولا يدركه عقل قط .

* * *

فصل

قال البروانة : مولانا بهاء الدين قبل أن يطلّ مولانا الروحي بوجهه كان يعتذر إليّ قائلاً: إن مولانا قد أصدر أمره ألا يأتي الأمير لزيارته ؛ لأن له حالات حالة يتحدث فيها وأخرى لا ينبس فيها ببنت شفة، حالة يلقى فيها الناس وحالة يعتزل فيها ويخلو ، وحالة يستغرق بها ويحير فلربما يأتي الأمير في حالة لا أستطيع أن أطيب فيها خاطره ولا أفرغ فيها لوعظة ومكالمته إذن ؛ فالأفضل أن يذهب هو ويزور الأحياء حين يجد في نفسه الفراغ ويأنس في نفسه القدرة على الاهتمام بالأحياء و إبلاغ النفع لهم . قال الأمير فأجبت مولانا بهاء الدين أنا لم آت لكي ينشغل مولانا بأمري ويحادثني بل أتي لأشرف بحضرته وأكون من زمرة المخلصين له ، ومن ضمن تلك الأحوال ما وقع هذه الساعة حين كان مولانا مشغولاً ولم يظهر على الناس وجعلني أنتظر فترة طويلة لكي أعلم أن المسلمين والأخيار حين يأتون إلى بابه وأدعهم ينتظرون ولا أعجل بلقائهم كم يشق هذا الانتظار عليهم ويصعب فأذاقني مولانا مرارة الانتظار وأدبني حتى لا أفعل نفس الصنيع بالآخرين فقال مولانا: لا بل جعلناك تنتظر بسبب حبنا لك . يحكى أن الله تعالى يقول يا عبدي كان بإمكاني إن أعجل بإجابة دعائك وضراعتك كسائلين أتيا باب رجل كان

أحدهما مطلوبه ومحبوبه والآخر مبغوضًا كثيرًا عنده ، فيقول صاحب الدار لعبده أعط ذاك المبغوض متعجلاً وبلا تأخير صدقته حتى يرتحل سريعًا عنا ثم يعد الآخر الأثير المحبوب بأنّ الطعام على وشك النضج فيصبره حتى يأتيه ناضجًا . وأحب كثيرًا أن أرى الأحباء وأتأمل فى النظر إليهم كما يتأملون هم أيضًا فى النظر إلىّ ، فإذا دقق فى الدنيا كثيرًا الأحباء فى جواهر بعضهم بعضًا وأدركوها جيدًا فإنهم يتعرفون أحدهم إلى الآخر ويتعارفون يوم القيامة بعجل لما حدث بينهم من قوة تعارف فى الدنيا ، ويقول كل منهم للآخر قد كنا معًا فى الدنيا فيرتبط كل منهم بالآخر وثيق الارتباط ، لأن الإنسان يفتقد سريعًا حبيبه ، ألا ترى فى هذه الدنيا أن شخصًا فى نظرك محبوب وأثير كأنّه يوسف يختفى عن نظرك بسبب فعل قبيح منه وتفتقده وتتبدل صورته اليوسفية إلى صورة ذئبية وكما كنت تراه من قبل يوسف تراه الآن ذئبًا مع أنّ شكله لم يتغير وعلى نفس الوتيرة التى كنت تراه وافتقدته بسبب فعل عارض حين يأتى يوم الحشر وتتبدل هذه الذات إلى ذات أخرى ؛ فإذا لم تكن تعرفه حق المعرفة ولم تسبر غور ذاته المذمومة والطيبة وهى مستعارة عارضة فى كل إنسان والغوص فى عين ذاته واليقين من أن هذه الصفات التى يخلعها الناس بعضهم على بعض ليست هى أوصافهم الأصلية .

حكوا أن شخصًا قال إننى أعرف فلانًا من الناس حق المعرفة وأدلى لكم بأوصافه فقيل له اذكرها فقال كان يعمل مكاريًا لدى ، وكان له ثوران أسودان ، وكذلك الحال مع الناس الآن كل ما يعرفونه عن الرجل أن لديه ثورين أسودين ويدعون أنهم يحبونه ويعرفونه حق

المعرفة وليس له عندهم غير ما وصفوه بهما وليس من وصفه تملكه هذين ولا يفيد وصفه هذا ؛ فيجب تجاوز شر المرء وخيره وسبر كنه ذاته ومعرفة نوعية ذاته وكيفية جوهره ، فهذا هو العلم والمعرفة . إنى لأعجب من الناس الذين يقولون كيف يتعشق الأولياء والعشاق الله الذى ليس كفواً أحد ولا يحيطه مكان ولا صورة ولا كيف ولا شبه ، وكيف يستمدون منه ويتقوون ويتأثرون وليس لهم شغل فى ليلهم ونهارهم غير عشقه . إن الشخص الذى يحب شخصًا آخر ويستمد منه فإنه فى النهاية يتأثر بمدده ولطفه وإحسانه وعلمه وذكره وفكره وسعادته وهمه ، وكل هذا ينسحب على العالم العلوى فترى العاشق يستمد هذه المعانى من الذات العلية ويتأثر بها لا يستغربون هذا من العالم السفلى ويستغربونه من العالم العلوى حين يعشق ويستمد منه . كان حكيم منكر قد غضب يومًا من هذه الفكرة وزاد غضبه ؛ فأتى حكيم إلهى لزيارته ، وقال ماذا تريد فى النهاية ، قال الصحة قال له اذكر لى صورة هذه الصحة وكيف تكون حتى أفهمها قال إن الصحة ليس لها صورة أو كيفية ، قال فكيف تطلب الصحة وهى بلا كيفية. فقال قل لى ما هى الصحة قال ما أعلمه هو أن الصحة إذا جاءت تحصل لى القوة وأشحن ويتحول وجهى إلى الحمرة والبياض وأغدو نشيطًا متفتحًا نضرًا ؛ فقال أنا أسألك عن نفس الصحة وما هى ذات الصحة فقال لا أدرى ، إنها بلا كيفية ، فقال لو أسلمت وتبت عن مذهبك الأول فسوف أعالجك وأصحح بدنك وأبلغك الصحة .

سئل المصطفى – صلوات الله عليه – مع أن هذه المعانى بلا كيف لكن بواسطة صورتها فيمكن للإنسان أن ينتفع بهذه المعانى . قال

صورة السماء والأرض هذه يمكنك أن تنتفع بسببها وحين تتأمل فيها المعنى الكلى ترى تصرف دوران السماء وإمطار السحاب فى وقته والصيف والشتاء واختلاف الزمان كله على الصواب والحكمة هذا السحاب الجماد أنى له أن يحب أن يمطر فى الوقت المناسب ، وهذه الأرض التى ترى كيف تقبل النبات ويربيه فانظر من يجعل هذه الأشياء تفعل أفعالها عن طريق العالم ، واستمد منه كما تستمد المدد من الكاتب فاستمده من معنى الإنسان ومعنى العالم بوساطة صورة العالم . حين كان الرسول - ﷺ - يغيب عن وعيه كان يقول كلامًا ويقول الله كان الله يتكلم بلسانه من الناحية الصورية لكن لم يكن إذ ذاك مفيقًا كان المتكلم هو الله فى الحقيقة ؛ لأنه كان قد عرف بدايته وكان جاهلاً لا يدرى هذا الكلام الذى يقول آنذاك ولا يعرف عنه خيرًا فكيف يتولد منه هذا الكلام الإلهى فيعلم أن ليس هو كما كان فى البداية . هذا التصرف حق حتى إن الرسول عليه السلام كان يخبر عما قد غبر على وجوده آلاف من السنين كان فيها أنبياء وأولياء وبما سوف يصير يكون حتى آخر الحياة فقد كان وجوده أقدم من العرش والكرسى ومن الخلاء والملأ ، وهو لا يخبر قطعًا عن هذه الأشياء بطريق وجوده الحادث المحدد بزمن حياته بين قومه ؛ لأن الحادث لا يمكن أن يخبر عن القديم إذن فعلم أنه هو ليس الذى يتكلم بل الذى يتكلم هو الله (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) . إن الحق منزه عن الصوت والحرف وكلامه يجل عن الحرف والصوت ، لكنه يجرى كلامه على النحو الذى يريد بأى حرف وصوت ولسان. ترى فى الطرق ومستراح القوافل أنهم صنعوا فوق حوض المياه رجلاً من الحجر أو طائرًا حجريًا يخرج الماء من فيه ويصب

فى الحوض. كل العقلاء يعلمون أن الماء لا يأتى من فم الطائر الحجرى بل يأتى من مكان آخر . والإنسان إن وددت أن تعرفه فجره إلى الكلام حتى تفهم طبيعته ولو كان أريبًا وداهية ، وأوصاه أحد بتعمد تحسين كلامه حتى لا تعرف حقيقته ؛ لأن الرجل يُعرف من كلامه. كتلك الحكاية ، وهى أن طفلاً قال لأمه ، وهما من البدو : يظهر لى فى الليلة المظلمة سواد مفزع كأنه عفريت فأشعر بالخوف الشديد ، فقالت أمه لا تخف فإن رأيت هذه الصورة فتجرأ واهجم عليه فيظهر لك أنها مجرد خيال . فقال أى أمى ولو أن هذا السواد أوصته أمه بنفس وصيتك لى فماذا أفعل ؟ والآن إذا أوصته بالصمت حتى لا يظهر على حقيقتة فأنى لى أن أعرفه ؟ قالت اصمت أنت فى وجوده واسكن واصبر حتى تخرج كلمة من فمه ؛ فإذا لم تخرج فربما يخرج من لسانك أنت كلمة رغمًا عنك أو تخطر فى خاطرك كلمة أو فكرة فتعلم حقيقة من تلك الفكرة والكلمة ؛ لأنك إذا تأثرت به ارتسم بخاطرك صورة له وأحواله التى انكشفت فى داخلك .

كان الشيخ الرازى رحمه الله يجلس بين مريديه ، وكان أحدهم قد اشتهى ذرة مشوية ، فأمر الشيخ بأن يُؤتى إليه بهذه الذرة المشوية ، فقالوا علمت ياشيخنا أنه لا يطلب هذه الذرة غير الأطفال ، فقال فقد مضى علىَّ ثلاثون سنة ولم يعد بى حاجة إلى تناول ما أرغب تناوله وقد طهرت نفسى عن كل الرغائب وأنا منزه عن المشتبهات قد صرت كالمرآة الصافية الخلو من الصور ، وكان قد ورد بخاطرى شهوة الذرة المشوية وألحت علىَّ فعلمت أنها ظهرت فىَّ شهوة هذا المريد ؛ لأن المرآة التى بلا صورة إن بدا عليها صورة كانت صورة الغير .

كان أحد الكبار من الصوفية يعكف فى الأربعين يومًا للعزلة الصوفية فنودى ردًا على طلب مقصود له أن هذا المقصود العظيم لن يتحقق باعتكاف الأربعين يومًا فاخرج من معتكفك حتى يقع عليك نظر أحد العظام ويتحقق لك مقصودك . فقال وأين أجد هذا العظيم ؟ قال فى المسجد الجامع . قال كيف أتعرف عليه وسط كثيرين ؟ فقال اذهب وسوف يتعرف هو عليك ويقع نظره عليك وعلامة أنه عرفك ونظر إليك أن يسقط الإبريق من يدك ويغشى عليك فتعلم أنه نظر إليك . فصنع ما أراد وملأ إبريقًا وأخذ يطوف على جماعة المصلين يسقيهم وفجأة حدث عليه حالة فشهق شهقة وسقط الإبريق من يده ومكث مغشيًا عليه فى ركن وتركه الناس جميعًا وخرجوا فلما أفاق رأى نفسه وحيدًا ولم ير ذاك العظيم الذى وقع نظره عليه ، لكنه وصل هو إلى مقصوده .

لله رجال لا يظهرون لغاية عظمة الله وغيرته ، لكنهم يبلغون الطلاب مقصودهم الخطير ويهبونه إليهم ومثل هؤلاء المشايخ العظام نادرون وأثراء . قلنا : العظماء يأتون حضرتكم ، فقال لم يعد لنا حضرة وقد مضى وقت طويل ونحن بلا حضرة وإذا أتوا فأنهم يأتون حضرة صورها لهم اعتقادهم .قيل لعيسى عليه السلام سنأتى إلى منزلك قال أين ومتى كان لنا بيت فى العالم ؟

حكاية : روى أن عيسى ﷺ كان يطوف فى صحراء فانهمر مطر عظيم فذهب والتجأ ببيت ابن آوى فى ركن غار حتى ينقطع المطر فأتاه الوحى يأمره بالخروج من بيت ابن آوى ؛ لأن أولاده لا يشعرون بالراحة بسبب وجوده فنادى ربه (يارب بيت لابن آوى وليس لابن مريم مأوى)

فقال الله إذا كان لابن آوى بيت لكن الله حبيبك لا يطرده من بيته لكنه هو الذى يطردك فإن لم يكن بيت فأى غضاضة من مثل هذا الطارد ولطف مثل هذه الخلعة التى اختصت بك وهو أن حبيبك هو الذى يطردك ؟! إنها تساوى آلاف السماوات والأرض والدنيا والآخرة ، والعرش والكرسى بل تزيد وتفوق . قال إذا أتى الأمير ولم نعجل إلى استقباله فلا ينبغى أن يتألم نفسًا ؛ لأن مقصوده من إتيانه هذا إما إعزاز نفسنا أو إعزاز نفسه فلو كان محبيئه من أجل إعزازنا فان طال انتظاره وجلوسه إلينا زاد إعزازنا ولو كان غرضه إعزاز نفسه وطلب الشراب فإن انتظرنا وتحمل ثقل الانتظار زاد ثوابه ، إذن فعلى كلا التقديرين يتضاعف القصد الذى أتى له ويزيد فله إذن أن يرضى ويقر عينًا .

* * *

فصل

القول إن القلوب تُشاهد مقال وحكاية لمن لم يكشف لهم وإلا فما كانت لهم حاجة إلى القول فإن شهد القلب ما غدت حاجة لشهادة اللسان . قال الأمير النائب أجل إن القلب يشهد لكن للقلب حظًا منفصلاً وللأذن حظًا مستقلاً وللعين حظًا منفردًا وللسان حظًا مختلفًا ونحتاج إلى كل منها حتى تزيد الفائدة ؛ فقال لو استغرق القلب لانمحى فيه كل شيء وما وقعت الحاجة إلى اللسان . وهذه ليلى التى لم تكن إلهية بل جسمانية ونفسًا ، ومن الماء والطين استغرق عشقها المجنون فغرق فيه واستهلك حتى لم تعد به حاجة إلى رؤية ليلى بعينه ولا حاجة إلى سماع صوتها يتحدث ؛ لأنه لم يكن يرى ليلى منفصلة عن وجوده وقال :

خيالك فى عينى واسمك فى فمى وذكرك فى قلبى فأين تغيب

والآن إذا كان لهذه المعشوقة الجسدية تلك القوة التى تبدل عاشقها إلى هذه الحال حتى لا يرى نفسه منفصلاً عنها وحواسه جميعًا غرقى فيها من السمع والبصر والشم بحيث لا يجور عضو على غيره ويطلب حظه ويراها جميعًا مجتمعة وحاضرة بحيث إذا وجد كما قلنا عضوًا أو حاسة منها حظَّه التام غرق كل ما عداها فى سعادته ومذاقه

ولم يطلب حظ غيره . إن هذا الطلب من حاسة لحظ غيرها المستقل عنها لدليل على أن هذه الحاسة لم تجد كل حظها كما يتوجب وإنما وجدت حظًا ناقصًا فلا جرم من أنها لم تعرفه فى ذاك الحظ وتطلب حظ غيرها من الحواس أو تطلب العدد . كل حاسة ذات حظ وعمل مستقل والحواس جمع فى المعنى متفرقة فى الصورة ؛ فإذا حصل استغراق لحاسة استغرق الجميع فيها كشأن ذبابة تطير وتحرك جناحها وراءها ، وتتحرك سائر أعضائها ؛ فإذا سقطت فى العسل وغرقت استوت جميع أعضائها فلم تُبدِ حركة وتستغرق فى العسل بحيث تغنى ولا يبقى لها جهد ولا حركة و تغرق فى العسل ، وكل فعل يتأتى منها ليس هو فعلها ، بل فعل العسل ؛ فإذا كانت لا تزال تحرك أعضاءها فلا يقال إنها غرقت أو إنها لا تزال تصرخ قائلة (آه قد غرقت) فلا يمكن أن يقال استغرقت . ويظن الناس أن القول (أنا الحق) ادعاء عظيم بينما (أنا الحق) تواضع عظيم ؛ لأن من يقول أنا عبد الله فإنه يثبت وجودين وجوده ووجود الحق ، أما من يقول أنا الحق فقد أفنى ذاته ، يقول أنا الحق أى أننى فانٍ وهو كل شىء وليس لغير الله وجود وأنا عدم محض بالكلية ولا شىء والتواضع فى هذا القول أكبر مما لا يفهمه الناس ، أما الرجل يعلن عبوديته لله وحسبة لله وفما عبوديته إلا شىء ثابت الوجود ، ومع أنه يرى أو يثبت ذاته من أجل الله ويرى فعله ويرى الله لكنه لم يغرق فى الماء ، وإنما غرق الماء هو لمن لم يبق فيه حركة وفعل لكن حركاته مع حركة الماء. طارد أسد غزالاً فكان يتهرب منه ؛ فهنا وجودان وجود للأسد وآخر للغزال ، فإذا اقتنصه الأسد وقهره بمخلبه وخر

الغزال صعقًا من قوة الأسد وغاب عن الوعى وسقط أمام الأسد ؛ حينئذٍ لم يبق غير وجود الأسد وانمحى وجود الغزال . والاستغراق هو أن يجعل الحق تعالى أولياءه لا يخشون غيره خشية تخالف خشية الناس من الأسد والنمر والظالم ، ويكشف عن أن الخوف من الله والأمن من الحق والسعادة والحبور من الحق والطعام والمنام من الله ويظهر الحق تعالى له صورة مخصوصة محسوسة فى يقظ العين المفتوحة صورة الأسد أو النمر أو النار حتى يبات معلومًا لديه أن صورة الأسد والنمر الحقيقية التى يراها ليست من هذا العالم ، بل هى صورة غيبية صورت له وكذاك يظهر له صورته بجمال عظيم ، وكذلك البساتين والأنهار والحور والقصور والأطعمة والأشربة والخلع والبراق والمدن والمنازل والعجائب المختلفة ، وعلى الحقيقة أنها ليست من هذا العالم بل أن الحق يظهرها فى نظرة ويصورها . إذن يعيد يقينًا لديه أن خوفه من الله وأمانه من الله وكل الراحات والمشاهد من الله . وخوفه هذا لا يشبه خلق الناس ؛ لأنه يشاهد مايشاهد بدون دليل ؛ لأن الحق قد أظهر له عيانا أن كل شىء من الله فيدرك فلسفة هذه الحقيقة لكنه يدرك بالدليل أن الدليل لا يدوم والراحة التى تتولد من الدليل لا تبقى ولا تدوم سعادته وفرحه كشأن إنسان أدرك بالدليل أن لهذه الدار بنَّاءً وادرك بالدليل أن لهذا البناء عينًا وليس أعمى وله القدرة وليس العجز وهو موجود وليس معدومًا وهو حى وليس بميت ، وكان سابقًا على بناء الدار يعلم كل هذا لكنه يدرك بالدليل أن الدليل لا يدوم وسرعان ما ينسى ، لكن العارفين لما أدوا طاعاتهم عرفوا البناء ورأوا عين اليقين وخلطوا

الخبز بالملح ومزجوا الأشياء بعضها فى بعض ، لكن لم يغب قط البناء عن تصورهم وعقلهم إذن مثل هؤلاء العارفين إذا فني في الحق لم يعد الجرم فى حقه جرمًا ولا الذنب ذنبًا ؛ لأنه مغلوب لله مستهلك فيه أمر ملك غلمانه بأن يمسك كل منهم قدحًا ذهبيًا بسبب قدوم ضيف عليه وأمر أيضًا غلامه الأكثر قربًا إليه بأن يمسك قدحًا ، فلما أطل الملك بوجهه غشي لرؤيته على هذا الغلام الخاص وسكر فسقط القدح من يده وانكسر فلما رأى الآخرون منه ذلك ظنوا أن ذاك واجب عليهم أيضًا فتعمدوا إسقاط الأقداح فلامهم الملك على فعلهم فقالوا قد صنع المقرب لك هذا فقال الملك ما فعل هذا أيها الحمقى بل أنا الذى فعلت . كل الصور من ناحية الظاهر ذنب لكن ذاك الذنب هو عن الطاعة ، بل إنه فوق الطاعة والمعصية ، وما المقصود من كل أولئك الغلمان ليس غير هذا الغلام ، أما الباقى فهم تبع الملك هم أتباعه وهو عين الملك وليست العبودية عليه غير مجرد صورة فهو فياض بجمال الملك . قال تعالى (لولاك ما خلقت الأفلاك) . ومعنى أنا الحق أيضًا أننى خلقت الأفلاك من أجلى أنا ، وهذا هو أنا الحق بلغة أخرى ورمز آخر . كلام الغطاء لو كان بمائة صورة مختلفة لكن بما أن الحق واحد والطريق واحد فكيف يكون كلامهم اثنين لكنه يظهر بصورة مختلفة . هو واحد فى معناه متفرق فى صورته كله ، جميع فى المعنى كشأن أمير يأمر بغزل خيمة فيغزل واحد الحبال ويدق آخر المسامير وينسج ثالث النسيج وواحد يحيك والآخر يقطع وثالث يجمع ما حيك ؛ فهذه الصورة ولو بدت مختلفة ومتفرقة من ناحية الظاهر لكنها واحدة وجمع ناحية المعنى ، والجميع

يقوم بعمل واحد وكذلك أحوال هذه الدنيا حين تتأملها ، فإن الجميع يؤدى عبودية الله من الفاسق والصالح والعاصى والمطيع والشيطان والملاك ؛ فمثلاً يريد ملك امتحان عبيده واختيارهم حتى يتميز الثابت منهم من غير الثابت والوفى من الخائن فلا بد من مهيج ومثير حتى يظهر الثابت فإذا عدم المنهج فلن يظهر ثباته . إذن فهذا المهيج المثير المقلق يقوم بطاعة الملك ويفعل ما أراده الملك طالما أنه أراده وما هذا المثير إلا ريح تثور فتميز الثابت من نقيضه وتفرق البقة من الشجرة حتى تزول البقة ويبقى ما هو ثابت . أمر ملك جارية له بأن تزين نفسها وتعرض مفاتنها على عبيده حتى تظهر أمانة كل منهم أو خيانته . فمع أن فعل الجارية هذا من الظاهر معصية لكنها فى الحقيقة تطيع أمر ملكها . ولما رأى العارفون أنفسهم فى هذه الدنيا لا بالدليل والتقليد بل بالمعاينة وبدون حجاب ونقاب ، وأن جميع الخلق يطيعون الحق وينصاعون لأمره سواء بالخير أو بالشر (وإن من شيء الا يسبح بحمده) اذن فلا بد أن يحق عليهم قيام القيامة ؛ لأن القيامة هى أن يقوم الجميع بعبودية الله ولا يفعلون غير هذا ويرون هذا المعنى فى كل مقام حتى (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا) . العالم لغة أعلى من العارف ؛ لأن الله يطلق عليه العالم ولا يجوز أن يقال له عارف ، ومعنى العارف هو من يعلم ويجهل ، وهذا لا يجوز على الله لكن من ناحية العرف فإن العارف أعظم من العالم ؛ لأن العارف يعلم ما خرج عن الدليل شاهد العالم وعاينه ، وهذا معنى العارف عند العارفين . رووا أن العالم خير من مائة زاهد والعالم خير من مائة ألف زاهد فكيف يكون هذا ؟ إن الزاهد

قد تزهد بالعلم والزهد بدون العلم محال وما هو الزهد؟ إنه الإعراض عن الدنيا والتوجه إلى الطاعة والآخرة لكن ليتحقق هذا الزهد لا فوت من فهم الدنيا والوقوف على قبحها وتغيرها وعلم لطف الآخرة وثباتها وبقائها والاجتهاد فى الطاعة وكيف أؤدى الطاعة ؟ وما هى هذه الطاعة ؟ كل هذا لا يتأتى ألا بالعلم . إذن فالزهد بدون العلم محال ، وإذن فالزاهد زاهد كما أنه عالم ، كذاك فهذا العالم الذى يفضل مائة زاهد كلام حق ولم يفهم معناه ؛ لأن علمه آخر يلى هذا الزهد والعلم الذى كان له أولاً يمنحه الله له ؛ لأن هذا العالم الثانى هو ثمرة ذاك العلم والزهد . قطعاً إن مثل هذا العالم يفضل مائة ألف زاهد . ومثل ذلك رجل غرس شجرة فأثمرت الشجرة فهذه الشجرة ؛ المثمرة أفضل من مائة شجرة لم تثمر لأنه يجوز ألا تثمر ؛ لأنها أصيبت فى طريقها بآفات كثيرة . الحاج الذى وصل الكعبة خير من الحاج الذى لا يزال فى البرية سائراً لأنه يخشى ألا يصل ، أما الأول فقد وصل الحقيقة ، وحقيقة واحدة خير من ألف شك . قال الأمير النائب من لم يصل لديه الأمل فى الوصول فقال أين الذى لديه أمل من ذاك الذى وصل شتان ما بين الأمن والخوف ولم الحاجة إلى هذا الفرق فهذا الفرق ظهر للجميع وإنما العبرة بالأمن. إن ما بين الأمن والأمن فروقًا عظيمة وفضل محمد ﷺ على الأنبياء هو من ناحية الأمن وإلا كان جميع الأنبياء فى أمان وتجاوزوا الخوف إلا أن داخل الأمن مقامات ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة الزخرف الآية ٣٢] . غير إنه يمكن أن نحدد عالم الخوف ومقامات الخوف لكن مقامات الأمن لا حدود وصفات لها . ينظر فى عالم

الخوف أى بذل يبذله المرء فى سبيل الله يبذل أحدهم جسده وآخر ماله وثالث روحه ورابع صومه وخامس صلاته. واحد يصلى عشر ركعات وآخر مائة ركعة ، إذن فمنازلهم مصورة ومعينة ويمكن تحديدها ووصفها شأن المنازل ما بين قونية وقيصرته فهى محددة ومعروفة وهى قيماز وأبروخ وسلطان وغيرها أما منازل البحر من أنطاكية حتى الإسكندرية فلا حدود لها غير ما يعرفه البحارة ولا يعرفون أهل اليابسة بها لأنهم لن يفهموها. قال الأمير لكن القول له فائدة ؛ فإذا لم يدرك كله يدرك بعضه ويفهم ويتخيل قال إى والله ، إن شخصًا بقى ساهرًا ليلة حالكة وهو يعزم أن يسافر فى النهار ومع أنه لا يدرى كيفية هذا السفر لكن بما أنه ينتظر النهار فإن النهار يقترب إليه أو شخص فى ليلة سوداء ملبدة بالغيوم ويتعقب قافلة ولا يدرى أين وصل وأين يمر وكم من المسافة قطع . لكن حين يطلع النهار يرى مجموع سيره ويعلم أين موضعه . وكل عامل يعمل حسابه بأن الله تعالى لا يضيع عملاً ولو كان غمضة عين ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة الآية ٧] إلا إذا كان وسط عماية سوداء ومحجوبًا فإنه لا يرى كم سار وتقدم ويدرك أن الدنيا مزرعة الآخرة مايزرعه فى الدنيا يجنيه فى الآخرة . كان عيسى عليه السلام يكثر من الضحك وكان يحيى عليه السلام يكثر من البكاء ؛ فقال يحيى لعيسى : قد أمنت المكر الدقيق القوى حتى إنك تضحك بهذا النحو ، فقال عيسى : وقد غفلت عن عنايات الحق ولطفه الدقيق الغريب حتى إنك تبكى بهذا النحو ، وكان أحد الأولياء حاضرًا هذا الحوار - نسأل الله تعالى أيهما أعلى مقامًا - فأجابه (أحسنهم بى ظنًا يعنى أنا

عند ظن عبدى بى) . فى كل عبد لى خيال وصورة منى وأنا حيث يتصورنى عبدى وأنا عبد لذاك الخيال الذى يكون فيه الحق وأنفر من كل حقيقة لا يكون الحق فَطَهِّوا ياعبادى هذه الخيالات فهى مقامى وموضعى . الآن اختبر نفسك واعرف الأجدى لك والأنفع هل البكاء أو الضحك أو الصوم أو الصلاة أو الخلوة أو الاجتماع وغيرها ؟ بأى طريقة تزداد أحوالك صدقًا وارتقاءً ؟ واسلك أنت ما يصلح لك (استفت قلبك وإن أفتاك المفتون) . لك معنى بداخلك واذهب للمفتين واعرض عليهم ما بدا ملكًا حتى تسلك ما يوافقه كطبيب يأتى للمريض ويستفسر من الطبيب بباطن المريض لأن طبيبًا بداخلك وهو مزاجك الذى يرفع المرض ويقل العلاج ، ولهذا فإن الطبيب الخارجى يسأله كيف كان الشىء الذى أكلته خفيفًا أم ثقيلاً ؟ وكيف نمت ؟ فيخبره الطبيب الداخلى ويقضى بناء على ذلك الطبيب الخارجى . إذن فالأمثل هو هذا الطبيب الداخلى وهو مزاج الإنسان ، فإذا ضعف هذا الطبيب وفسد المزاج فإنه يرى من ضعف الأمور على نقيضها ويدلى بأوصاف مخطئة فيقول عن السكر مرارة والخل حلاوة فيحتاج إلى الطبيب الخارجى ليساعده حتى يعود المزاج إلى طبيعته الأولى ثم يعود إلى طبيبه بعد ذلك ويستفتيه . ومثل هذا المزاج وجود الإنسان من ناحية المعنى فإذا ضعف أدلت حواسه الباطنة خلاف ما ترى ، وتقول إذن فالأولياء هم الأطباء الذين يساعدونه كى يستقيم مزاجه ويقوى قلبه ودينه فيرى الأشياء كما هى . الإنسان شىء عظيم فيه كل شىء مكتوب ، لكن الحجب والظلمات لا تدعه يقرأ هذا العلم الذى فى ذاته ، والحجب والظلمات يمثلان

المشاغل المختلفة والمشاكل العديدة للدنيا والرغبات المتنوعة ، ومع أنه فى الظلمات ومحجوب بالأستار فإنه يقرأ شيئًا ويفهمه ؛ فانظر إذا زالت هذه الظلمات والحجب كيف سيكون علمه ؟ وكم من العلوم سوف يقف عليها ؟! ثم إن هذه الحرف من الحياكة والبناء والنجارة والصياغة والعلم والفلك والطب وغيرها وأنوا ع الحروف على كثرتها قد ظهرت من داخل الإنسان ، ولم تظهر من الحجر والطوب . وما يقال إن غرابًا علم الإنسان دفن الموتى فقد كان هذا بدوره انعكاسًا من الإنسان ألقى به على الغراب وقد حثة على ذاك طلب الإنسان ثم إن الحيوان هو جزء من الإنسان ، وأنى للكل أن يعلمه الجزء ؟ كشأن إنسان يريد أن يكتب بيسراه فيمسك القلم ، ومع أنه ثابت الجنان لكن يده اليسرى ترتعش فى الكتابة ؛ لأن اليد تكتب بأمر القلب . حين يأتى الأمير يدلى مولانا بأحاديث عظيمة فلا ينقطع الكلام لأن من يستأهل الكلام ؛ يبلغه دائمًا الكلام ويتصل به الحديث . فى الشتاء مع أن الأشجار لا تثمر ورقًا أو ثمرًا لكن لا يظن الناس أنها عقيم بل هى دائمًا حيَّة تعمل ، لكن الشتاء هو وقت الدخل ، والصيف أوان الخرج ، والخرج يراه الجميع ولا يرون الدخل كشخص يعمل وليمة وينفق عليها ويخرج فيرى الجميع الخرج ولا يرون أو يعلمون الدخل الذى جمعه للوليمة قليلاً ، والدخل هو الأصل لأن الخرج يأتى من الدخل . ولنا بهذا الرجل المتصل بنا حديث بين الفينة والأخرى وتوحد ارتباط فى الصمت والغيبة والحضور بل نحن مختلطان متشابكان فى حرب ، فإن تصافحنا فنحن فى حديث مشترك وتوحد واتصال . لا تنظر إلى قبضتينا على أنهما قبضتان متصافحتان بل

تضمان داخلهما زبيباً ألا تصدق أفتحهما حتى ترى موضع الزبيب بهما .
ما أكثر البيوت التى هى لأعزاء عارفين آخرين يقولون فيها الرقائق والدقائق والمعارف من نظم ونثر ، لكن ميل الأمير إلينا ومعنا وليست بسبب معارفنا ودقائقنا ومواعظنا ؛ فمثل هذه كثير فى كل الأنحاء بل لأنه يحبنى ويميل إلىَّ ، كما أنه يغاير الآخرين فيرى شيئًا مختلفًا وراء ما رآه عند الآخرين ، يجد نوراً آخر . روى أن ملكًا استدعى المجنون ، وقال ماذا جرى لك وقد فضحت نفسك وهمت على وجهك مخلفًا دارك ومالك وجننت ودمرت فمن ليلى هذه وأى جمال لها ؟! هلم فأريك الحلوات والحسناوات أجعلهن فداءك وأهبهن لك . فلما أتى بالمجنون وعرضت عليه الحسناوات طأطأ المجنون رأسه وظل ينظر أمامه فقال الملك ارفع رأسك وانظر إليهنَّ قال إنى وجل ؛ فعشق ليلى سيف باتر فإن رفعت رأسى قطع عنقى . قد غرق فى عشق ليلى إلى هذا الحد وقد كان فى الأخريات العيون والشفاه والأنوف ، لكنه رأى فيها ما أفضى به إلى هذه الحال .

* * *

فصل

نحن مشتاقون لزيارتكم ، غير أننا لما كنا نعلم أنكم متوفرون على مصالح الخلق فإننا لا نحب إزعاجكم قال: [1] إن الواجب علينا بعد أن تزول المشاغل أن نأتى إلى حضرتكم فقال المولوى ليس ثمة فرق فالأمر سواء ، بالنسبة إليك لما أنت متصف به من اللطف فيستوى لديك أن تكون مشغولاً أو فارغًا ، لكن بما أننا نعلم أنك اليوم منشغل بالخيرات والحسنات فيحق علينا أن نزورك . كنا بصدد مباحثة حول نقطة فحواها لو أن لرجل عيالاً وآخر ليس له عيال ؛ فهل يأخذون من المعيل ويعطون غير المعيل ؟ يقول أهل الظاهر يؤخذ من المعيل ويعطى غير المعيل ، لكن حين تتأمل تجد غير المعيل نفسه معيلاً على التحقيق كعارف متأصل فى الوفاء يضرب شخصًا ويحطم وجهه فيقول الجميع إنه مظلوم لكن بالتحقيق فالمظلوم هو الضارب والظالم هو الذى لا يعمل المصلحة أو هذا المضروب المجروح هو الظالم والضارب على اليقين هو المظلوم لأنه عارف أصيل ومستهلك فى الحق ؛ ففعله هو فعل الحق ولا يتصف الحق تعالى بالظلم كحال الرسول- ﷺ - حين كان يقتل

(١) هذا حوار كالعادة جرى بين البروانة والمولوى .

ويسفك الدماء ويغتنم فإن أعداءه هم الظالمون وهو المظلوم.مثلاً كان مغربى يقيم بالمغرب وشرقى أتى المغرب ؛ فذاك المغربى هو الغريب لكن كيف يكون غريبًا من أتى من المشرق بما أن كل العالم لا يعدو أن يكون منزلاً له فهو قد انتقل من هذا المنزل إلى ذاك المنزل أو من هذه الناحية إلى تلك ؛ فهو فى النهاية بداخل هذا المنزل . لكن ذاك المغربى غير العارف الأصيل فإن خرج من داره أليس يقال (الإسلام بدأ غريبًا) ولم يقل (المشرقى بدأ غريبًا).كذاك الرسول حين هُزِم كان مظلومًا وحين هَزَم كان مظلومًا أيضا ؛ لأن الحق معه فى الحالتين والمظلوم هو من كان الحق معه وبيده ، تألم الرسول كثيراً لأسرى الحق تعالى فنزل الوحى يسليه أن قل لهم وأنتم فى هذا الأسر والأصفاد إن يعلم الله ما فى قلوبكم يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويعيد إليكم أضعافه ويغفر لكم ويرضى عنكم فى الآخرة ، لكم كنزان أحدهما لقاء ما أخذ منكم والثانى كنز الآخرة . فسأل إذا عمل العبد فهل التوفيق والخير هما نتيجة العمل أم أنهما عطاء الحق ؟ قال إنهما عطاء الحق وتوفيق الله لكن الله تعالى من غايته لطفه بعبده يضيف الاثنين إلى عبده فيقول كلاهما جزاءً بما كانوا يعملون . قال إذا كان للحق هذا اللطف إذن فكل من يطلب حقيقة يجدها. قال لكن لا يجدها بدون مرشد كشأن موسى – عليه السلام – حين أطاعه قومه ضرب البحر بعصاه فصار يبسًا وكانوا يحملون من البحر التراب ويجوزونه . لكن حين خالفوه تاهوا فى الصحراء أربعين سنة وكان قائدهم فى هذا التيه يقنعهم بأن يجدوا مرشداً يصلحهم حين ينقادون إليه ويطيعونه. مثل ذلك أيضًا جيش كثيف تحت إمرة أمير إن أطاعوه صرف هذا عقله فى خدمتهم وصالحهم وإذا عصوه فأنى له أن

يتوافر بعقله على صالحهم . والعقل فى جسد الآدمى كالأمير ، ومادامت أعضاء الجسد منقادة إليه فهو يسعى إلى صلاحها فإن تمردت عليه فسدت جميعًا . ألا ترى سكيرًا حين يأتى مخمورًا كم من الفساد تسببه يداه وقدماه ولسانه وأعضاؤه ، وحين يفيق فى اليوم التالى يندم على ما فعل وسب وضرب ؟! إذن فحين تنصلح الأمور فى قرية فبسبب أن لها مرشدًا يطيعه أهلها ، وكذلك العقل يفكر فى إصلاح رغبته حين تنصاع إليه فإذا فكر فى السير سار إن أطاعته القدم وإلاما فكر فى السير والعقل فى الجسد أمير وهذه الموجودات الأخرى وهم الخلق فهم على تلك النسبة وبهم جميعًا العقل والعلم والنظر والرأى ، لكنهم على الجملة جسد محض والعقل أو المرشد فيهم أمير فإذا لم يطع الخلق أو الجسد العقل مضت أحوالهم فى اضطراب و ندم وإذا أطاعوه كما يجب وفعلوا ما أمر به لم ينصاعوا إلى عقولهم هم ؛ فقد لا يفهمونه بعقولهم فلا فوت لهم من الانصياع إلى مرشدهم بالكلية كصبى جلس فى محل ترزى فعليه طاعته يحيك له قميصًا أو عمامة كما يرغب أستاذه لا كما يرغب هو وإن أراد التعلم تخلى عن حريته وتصرفه تمامًا وأطاع أمر أستاذه. ويحدونا الأمل فى الله تعالى أن يتكفل بنا برعايته ؛ لأن عنايته تفوق آلافًا من الجهد والسعى من العبد و﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [سورة القدر الآية ٢] ومفهوم الآية الكريمة يساوق العقول (جذبة من جذبات الله تعالى خير من عبادة الثقلين) أى إذا حلت عنايته تحقق فعل ما ينتجه مائة ألف سعى وزيادة . نعم إن السعى مطلوب ومستحسن ومفيد وعظيم ، لكنه أمام العناية الإلهية ؛ لأنه لا يجدى أمامها قدر جدواها قال لماذا لا يجدى السعى والسعى يأتى أيضًا إذا رأت العناية ؟

فقال أى سعى أتاه عيسى- عليه السلام - حين قال فى المهد صبيًا ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ [سورة مريم الآية ٣٠] وكان يحيى لا يزال فى بطن أمه حين كان الله يصفه لزكريا. قال قد سعى واجتهد الرسول ﷺ فقال: قال - تعالى-: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [سورة الزمر الآية ٢٢] ؛ فالأول كان فضل الله حين أيقظه من الصلاة ، وهذا عطاء إلهى محض ، وإلا كان المقربون به قد حدث لهم شق الصدر. وبعد ذاك استعر هذا الفضل والجزاء استعار جذوة النار. فالأول كان العطاء لكن إن وضعت القطن وأذكيت نار تلك الجذوة وزدتها حدث هذا الفضل والجزاء من بعد . الإنسان خلق بأول وهلة صغيرًا وضعيفًا ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء الآية ٢٨] ، لكن إن أذكيت النار الضعيفة صارت عالمًا وأحرقت الدنيا ، ومعظم النار من مستصغر الشرر ، عظم الرسول حتى قيل له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم الآية ٤] . قال: إنَّ الله يحبك كثيرًا فقال : لا مجيئى بقدر المحبة ولا قولى فإننى أقول ما يأتى إلىَّ وإن أراد الله أن ينفع بكلامى القليل هذا وبقيمة فى صدرك أراد فوقع منه منافع عظيمة ، وإن أراد ألا ينفع فما أفادت آلاف الكلمات وما وقعت فى الصدور موقع القبول وصار مآلها النسيان كشأن جذوة نار وقعت على خرقة محترقة فإن أراد الله اشتعلت نارها وعظمت وإذا لم يرد ما اشتعلت الخرقة وما أثر فيها نار آلاف الجذوات ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأرض﴾ [سورة الفتح الآية ٤] . هذه الكلمات هى جند الحق يفتحون القلاع بأمر من الحق ويأخذ بها ولو أمر آلاف الفرسان بالتوجه إلى قلعة ما لكن لا يستولون عليها فإنهم يفعلون ما أمر وإن أَمَرَ فارس واحد بالاستيلاء على القلعة لفتح بابها وأخذها ؛ إذن إن الله يوكل بعوضة

على النمرود فتهلكه كما يقول: (استوى عند العارف الدانق والدينار والأسد والهرة) لأن الحق إذا بارك لأدى الدانق ما يؤديه ألف دينار وزيادة وإذا أذهب البركة من ألف دينار فما فعلت فعل دانق وكذاك إن أوكل عليه قطة لأهلكته كما فعلت البعوضة بالنمرود وإن أوكل له أسداً لارتعدت منه الأسود وجعل منها دابته كما كان بعض الصوفية يركبون ظهور الأسود ، وكنار إبراهيم حين غدت عليه برداً وسلاماً وخضرة وزهراً وروضاً لأن أمر الله لم يكن بأن تحرقه. فلما أدركوا أن كلّ شيء من الحق استوى لديهم كل شيء . ونرجو من الحق أن تسمع هذا الكلام بباطنك حتى يفيد ؛ فإن ألف لصٍ يأتون ويعجزون عن فتح الباب مالم يساعدهم لص بالداخل وباطن الدار فيفتحه لهم من الداخل . وأنت تقول كثيراً من الكلام في الخارج فإذا لم يكن بالداخل مصدّق له فلا فائدة منه ، كشأن شجرة مالم يرتوِ جذرها ما نمت ولو سقط عليها ألف سيل فلا بد أن يرتوي الجذر أولاً حتى تستفيد بالماء :

لو رأى مائة ألف نور　　　　فلن يقف إلاّ على أصل النور

لو أن النور شمل جميع العالم فلن يرى هذا النور قط إلا بنور العين ؛ فالأصل إذن هو القابلية في النفس . وهناك فرق بين النفس والروح ، ألا ترى أن النفس في النوم تسافر إلى أماكن كثيرة والروح بعد في الجسد لكن هذه النفس حين تتحول تتحول شيئًا آخر . قال إذن قول عليّ "من عرف نفسه فقد عرف ربه" المقصود به هذه النفس أم نفس غيرها ؟ وإذا قلنا إن النفس هي المقصودة في قول عليّ هذا فلا بأس ولو شرحنا تلك النفوس فلسوف يفهمها من لا يعلم تلك النفس على أنها

النفس العادية كالمرآة الصغيرة فى يدك يبدو فيها كل شىء على حقيقية من الحسن أو الكبر أو الصغر ويستحيل فهم ذاك بالقول وإنما حسب الكلام أن الضئيل يظهر فيها ضئيلاً . أما ما نتحدث عنه فهو عالم فحين نطلب هذه الدنيا وملذاتها فهذا نصيب الحيوانية فى الآدمى هذه الحيوانية تفعل كل هذه القوى فى طلب الدنيا ، أما الأصل وهو الإنسان فيأخذ فى القلة . ألا يقال إن الآدمى حيوان ناطق ، إذن فالآدمى شيئان : قوله الحيوانية فهذه الدنيا وهى الشهوات والرغبات ، أما ما هو خلاصته فغذاؤه من العلم والحكمة ورؤية الحق والجزء الحيوانى فى الآدمى يهرب من الحق والجزء الإنسانى فيه يهرب من الدنيا ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [سورة الزمر الآية ٢٢] ؛ فشخصان فى صراع فى حدود الآدمى ومن يؤثره الآدمى هو الذى ينتصر . ولا ريب فى أن هذا العالم شتاء من الجمادات لماذا يسمى الجماد جماداً ؛ لأن جميعه متجمد ، فهذا الحجر والجبل والرداء المغطى للجسم كله متجمد ، فإذا لم يكن شتاء فلماذا يتجمد العالم ومعنى العالم على أنه بسيط يغيب عن النظر لكن باعتبار تأثير القوة وهى الرياح والبرودة فهذا العالم كفصل الشتاء الذى يتجمد فيه كل الأشياء فكيف يغدو الشتاء شتاءً عقلياً لا شتاءً حسياً ؟

إذا هبَّ الهواء الإلهى تذوب الجبال ، ويغدو العالم ماء كحرارة الصيف حين تحل تذوب كل المتجمدات ، وحين يهب هذا الهواء يوم القيامة يذوب كل شىء أو فليجعل الله تعالى كلماتنا هذه تحوطكم وتبقى سداً يحول دون أعدائكم وسبباً فى قهرهم وما الأعداء بالداخل ؛ لأن أعداء الخارج ليسوا شيئاً وليسوا قوة ، ألا ترى أن آلافاً من الكفار يأسرهم كافر واحد ملكهم ، وهذا الكافر أسير لفكرة بعقله إذن فالفعل يقوم على فكرة وبفكرة واحدة ضعيفة وحقيرة يقع آلاف الناس ، وحيثما

تكون الأفكار بلا نهاية فانظر إلى مبلغ عظمتها وجلالها وكيف تقهر الأعداء وكم من العوالم تأسرها ، ونحن نرى أن آلافًا من الصور بلاحد ، وجيشاً بلاحصر تحت إمرة شخص وأسره ، وذاك الشخص أسير فكرة حقيرة ، إذن فكل هؤلاء أسرى فكرة واحدة فما بالك بالأفكار العظيمة التى بلا نهاية وفى الحظيرة القدسية العلوية . إذن علمنا أن الفعل أفكار والصور كلها تابعة وهى آله وتتعطل بدون فكر وهى جماد ، إذن فمن يلاحظ الصورة هو بدوره جماد ولا يدرك المعنى وطفل وغير بالغ ولو كان شيخًا عمره مائة سنة (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) أى كنا فى جهاد الصور وقتال مع الخصوم الصوريين ، والآن فنحن فى جهاد مع جيوش الفكر إلى أن تهزم الأفكار الطيبة الأفكار الخبيثة وتطردها خارج ولاته الجسد ، إذن فهذا هو الجهاد الأكبر وهذه الحرب يقوم أمرها على الأفكار التى تتصارع بلا وساطة من الجسم كالعقل الفعال يدير الفلك بلا آلة لأنه لا يحتاج الآلة :

أنت جوهر وكلا الدارين عرض لك

والجوهر الذى يروم العرض ليس مطلوبا

اتجه من عمق قلبك إلى من يطلب العلم

واسخر بشدة ممن يطلب العرض

لأن العرض لا يدوم والجوهر كنافجة المسك وما العالم ولذاته إلا كريح المسك وهذا الريح المسكية لا تدوم لأنها عرض وكل من طلب المسك من ريحه وليس ريحه ولم يقنع بالرائحة فهو طيب أما من اطمأن بالرائحة فإنما يضعها على يده ، لأن اليد كمن أمسك شيئًا لا يدوم فى يده لعلة أن الرائحة هى صفة المسك وطالما بقى المسك فى هذه الدنيا

فإنه يصدر الرائحة فإذا احتجب وزال منها ظهر بالعالم الآخر فمن كان يعيش على رائحته أدركه الموت ؛ لأن الرائحة ملازمة للمسك فذهبت حيث يتجلى المسك . إذن فالسعيد من يفوح عليه نشر المسك ويصبح هو عين المسك فلا يفنى من بعده ويبقى فى عين ذات المسك ويكتب حكم المسك وينشر رائحته على العالم فيحيا به العالم وليس له غير الاسم مما كان كحصان أو حيوان تملح في ملاحة ولم يبق له من الحصان غير الاسم ؛ لأنه هو نفسه نفس بحر الملح فى فعله وتأثيره ، ولن يضيره اسمه لأنه لن يخرج عن حال ملوحته ، ولو سمى هذا الملح باسم آخر فلن يخرج الملح عن ملوحته . إذن فعلى الإنسان أن يتجاوز هذه اللذائذ واللطائف التى لمعة وعكس للحق ولا يقنع بها مع أنها من لطف الحق ولمعة من جماله ، لكنها لا تبقى إلا إذا انتسبت للحق تبقى ، وإذا انتسبت للخلق تفنى كشعاع الشمس التى تنير الدور مع أنه هو شعاع للشمس ونورها لكنه ملازم لها ؛ فإذا غربت الشمس زال الشعاع إذن فلا فوت من أن تكون أنت الشمس ذاتها حتى لا يخشى الفرقة عنها . الأمر لا يعدو الفقدان والعرفان ؛ فبعضهم له العطاء والوهب والمنح ، لكنه ليس لديه العمر فهوفانٍ ، وبعضهم أعطى العمر لكن ليس لديه العطاء ، ولكن إذا اجتمع الاثنان لشخص واحد كان عظيمًا وكان بلا نظير كمثل رجل يسير على الطريق ، لكنه لا يدرى أهو يسير على هدى أم ضلال بل يضرب فى عماية حتى يسمع صوت ديك أو تظهر له علامة عمران فيفهم موضعه ووجهته ويمشى بلا حاجة إلى علاقة أو أمارة . إذن فالعرفان والمعرفة وراء كل شيء .

* * *

فصل

قال النبى ﷺ :"الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والنهار مضىء فلا تكدره بآثامك". الليل طويل من أجل قول الأســرار وطلب الحاجات بلا إزعاج الناس وإقلاق الأحباء والأعداء فتحصل الخلوة والسلوة ويسدل الحق تعالى الأستار فتُصان الأعمال من الرياء وتخلص إلى الله تعالى ، وفى الليل المدلهم المرائى المخلص فيفتضح المرائى . تستر كل الأشياء بالليل وتفتضح بالنهار.يفتضح أمر المرائى بالليل ؛ لأنه يقول طالما لا يرانى أحد فلما لا أفعل ما أريد فيُقال له إن أحداً يراك لكنك لست تراه إن من يراك هو من كل الناس فى قبضة قدرته ومن يدعونه وقت عجزهم ويناجونه حين تتألم أسنانهم وآذانهم وعيونهم ويشعرون بالخوف والقلق يدعونه فى سرهم ويثقون فى أنه يسمعهم ويجيب دعاءهم . هم من يتصدقون سراً وخفية لدفع البلاء ولصحة من به عناء ويتيقنون من أنه يقبل عطاءهم وصدقاتهم ؛ فإذا منحهم الصحة والراحة زايلهم ذاك اليقين وعاد إليهم تفكير الخيال وقالوا ربنا ماذا كانت تلك الحالة وكنا ندعوك بصدق فى ذاك الركن من السجن بتلاوة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص الآية ١] آلاف المرات بلا ملل حتى قضيت حاجاتنا ، والآن ونحن خارج السجن على حالنا من الحاجة بنفس ما كنا عليه داخل

السجن ؛ فمتى تخرجنا من سجن هذا العالم الظلمانى إلى عالم الأنبياء وهو عالم نورانى ؟ لماذا لا يغمرنا نفس ذاك الإخلاص خارج السجن وخارج حالة الألم والمرض ؟ تهبط آلاف من الخيالات قد تفيد ولا تفيد ويسبب تأثير هذا الخيال فى ظهور كثير من الضعف والملل يضرب ذاك اليقين الأول الذى يحرق الخيال فيجيب الله تعالى قد قلت نعم إن النفس الحيوانية عدوى وعدوكم ﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [سورة الممتحنة الآية ١] اجعلوا على الدوام هذا العدو فى سجن الجهاد فكالما كان فى السجن وفى بلاء وألم فإن إخلاصكم ينكشف ويتبدى ويقوى . وقد جربتم كثيراً أن إخلاصكم ظهر من شعوركم بألم الأسنان والرأس ومن الخوف فلماذا تقيدتم بقيد راحة الجسد وانشغلتم برعايته ؛ فلا تنسوا أصل الأمر ولا تحققوا مراد نفوسكم على الدوام حتى تبلغوا المراد الأبدى وتنجوا من سجن الظلمة ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات الآيتان ٤٠ و٤١] .

* * *

فصل

قال الشيخ إبراهيم إن سيف الدين فرح كان إذا ضرب واحداً من الناس انهمك فى الحكاية مع شخص آخر حتى يضرب ولا تتحقق بهذه الطريقة والمسلك شفاعة أحد فيه . قال كل ما تراه فى هذا العالم له نظير فى العالم الآخر بل إن كل ما بهذه الدنيا ما هو إلا نموذج لذاك العالم وكل فى هذه الدنيا قد هبط من الآخرة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [سورة الحجر الآية ٢١] توضع طاسات مدوره،فوقه أطباق العطارة وأدوية متنوعة من كل جوال يوضع حفنة من الفلفل وأخرى من المصطكى والأجولة بداخل محل العطارة كثيرة ، لكن طبق العطار لا يتسع أكثر من حفنات من أنوا ع العطارة ؛ فالآدمى على مثال هذه الطاسة فيه خزائن صفات الحق ، صفات أو عينات وضعت فى الطاسات والأطباق حتى يتاجر فى هذه الدنيا بما يليق به . من السمع جزء ومن النطق جزء ومن العقل حفنة ومن الكرم حفنة ومن العلم بعض والناس هم طوافو الحق يطوفون ويملئون بالليل والنهار الأطباق ، وأنت تفرغ أو تضيع طبقك فلا تكتسب شيئًا . تخلى نفسك بالنهار ويملأون هم بالليل ويقوون . مثلاً ترى نور العين وفى ذاك العالم عيون

وأبصار وأنظار مختلفة أرسل إليك منها نموذجًا حتى تتفرج به على هذا العالم . لكن الرؤية ليست بهذا القدر ، لكن الآدمى لا يستطيع تحمل أكثر مما يرى هذه الصفات كلها لدينا بلا نهاية ، لكن نرسل إليها منها بقدر معلوم ، إذن نتمعن كم من آلاف الخلق أتوا إلى الدنيا قرنًا بعد قرن وامتلأوا من بحرها وعادوا خاوى الوفاض فانظر كم هذه الأهرام من الحواس ، والآن كل من زاد علمه بذاك البحر زاد قلبه طمأنينة على طبق العطارة . تدرك إذن أن العالم قد صدر من دارسك العملة تلك ثم يرجع إليها ثانية ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [سورة البقرة الآية ١٥٦] (إنا) تعنى أن جميع أجزائنا أتت من العالم الآخر وهو نموذج لذاك العالم ثم يعود إليه من صغيرها وكبيرها وحيواناتها ، لكنها تظهر سريعًا على هذا الطبق ولا تبدو بغيره ؛ لأنها عالم لطيف ولا يحيطها النظر أو يحيط عجائبها ، ألا ترى نسيم الربيع حين يظهر تتفرج فى الأشجار والخضرة والرياض والرياحين على جمال الربيع عن طريق مظاهره هذى وحين تتأمل فى نسيم الربيع نفسه لا ترى شيئًا من هذه المظاهر ولا حتى تلك التى ليس بها فرجة ورياض ؛ لأن هذه جميعًا ليست من إشعاعه ونوره ، بل هى موجات فيه من الرياض والرياحين ، لكنها موجات لطيفة لا يحيط بها النظر ولا تظهر بغير وساطة ومظهر بسبب لطفها ، كذلك ففى الإنسان هذه الصفات خافية لا تظهر إلا بوساطة باطنية أو خارجية . تظهر بمقالة من الواحد أو ضرره أو عراك آخر ومصالحته . إذا لم تر صفات الإنسان فتتأمل فى ذاتك فلا تجد منها شيئًا وتظن نفسك خاويًا من هذه الصفات وليس أنك تبدلت عما كنت عليه ، غير أنها منك خافية

على مثال الماء فى البحر لا يخرج منه إلا بوساطة سحاب ولا يظهر إلا بموج . والموج جيشان يظهر فى داخلك بلا وساطة شىء خارجى ، ولكن مادام البحر ساكنًا فلا ترى فيه شيئًا وجسدك على ساحل البحر وروحك بحر ألا ترى منه كثيرًا من السمك والأفاعى والطيور والأخلاق على أنواع وأشكال يخرجون ويظهرون أنفسهم ثم يعودون إلى البحر ؟ وصفاتك كالغضب والحسد والشهوة وغيرها تطل بروسها من هذا البحر ، ثم تقول إن صفاتك هى عشاق الحق اللطيفة لا يمكن رؤيتها إلا بواسطة رداء اللسان إن تجردت من أرديتها لا تبدو للنظر بسبب لطفها .

* * *

فصل

فى الإنسان عشق وألم وطلب وطموح بحيث لو تملك مائة ألف عام ما استراح وسكن ؛ ويظهر هذا الخلق بالتفصيل فى كل صنعة وحرفة ومنصب وتحصيل للفلك والطب وغيرهما ولا تسكن ثائرته ؛ لأنه لم يحصل على ما يقصد ألا يسمى المعشوق (سكون القلب) ؛ لأن القلب يسكن ويستريح به إذن فلا يهدأ بغيره . وكل هذه الرغائب والمقصودات كسلم ، وبما أن درجة السلم ليست محل الإقامة والتوطن ، وإنما للعبور فما أسعد ممن استيقظ ووقف وعلم بعمل حتى يقصر أمامه الطريق الطويل ولا يضيع عمره على هذه الدرجات التى للسلم .

سأل المغول : هل يحصلون الأمور ثم يمنحوننا مالاً بين الفينة والأخرى أيضًا فما أعجب ما يحدث منهم فقال (المولوى) كل ما تحصله المغول هو كشأن ما دخل خزينة الحق وقبضته أو شأنك حين تملأ من البحر كوزًا أو قدراً وتخرجه يكون ملكك مادام فى الكوز أو القدر ولا يمتلكه غيرك ومن أخذه بلا إذنك عُدّ غاصبًا لكنهما أن أهرقا ثانية بالبحر ، وصار ماؤهما حلالاً للجميع وخرجا عن دائرة تصرفك إذن فمالنا عليهم حرام ومالهم لنا حلال (لا رهبانية فى الإسلام) (الجماعة رحمة) . اجتهد الرسول ﷺ لتجمع الناس ؛ لأن لمجمع

الأرواح آثاراً كبيرة وخطيرة لا تحصل فى الوحدة والانفراد ، وهذا هو السر فى بناء المساجد ليجتمع بها أهل الحى فتزيد الرحمة والفائدة وبنيت المنازل منفصلة من أجل التفريق وستر العيوب وهما فائدتها وشيدت المساجد الجامعة ليجتمع بها أهل المدينة ، وكذلك الكعبة ليجتمع حولها أغلب خلق العالم من المدن والأقاليم . قال حين قدم المغول إلى هذه البلاد فى البداية كانوا حفاة عراة يركبون الثيران وسلاحهم من الخشب ، لكنهم فى عهدنا الآن اكتسوا وشبعوا وركبوا أفضل الجياد العربية وتسلحوا بأقوى الأسلحة . قال حين كانت قلوبهم كسيرة وضعيفة وضعافًا أمدهم الله وقبل ضراعتهم وحاجتهم فلما قووا فى أيامنا هذه واشتد ريحهم صاروا يقتلون بأضعف الناس بإرادة الله لكى يعلموا أن عناية الحق وعزمه كان معهم فى البداية فامتلكوا العالم ليس بقوتهم وشوكتهم ، وقد كانوا فى أول أمرهم يسكنون صحراء بعيدة عن الخلق فى فقر وفاقه وعرى وحاجة إلا بعض ، فهم كانوا يترددون على بلاد خوارزم شاه لطريق التجارة ويبيعون ويشترون . كانوا يشترون أغلظ الثياب لكى يصنعوا منها أكسية لهم فكان خوارزم شاه يمنعهم من ذلك ويأمر تجاره بقتلهم وكان يجبى منهم الخراج أيضًا ولا يدع التجار يدخلون بلاده فتضرع التتار لدى ملكهم قد هلكنا فاستمهلهم ملكهم عشرة أيام وتوارى فى غار وصام عشرة أيام وسلك خضوعه وخشوعه إلى الله حتى أتاه من الحق تعالى أننى قبلت خضوعك فاخرج فأنت منصـــور حيثما توجهت وكان ذلك . لما خرجوا انتصروا بأمر الحق واستولوا على العالم . قال المغول : يعترفون بالحشر أيضًا ويقولون

سوف يحدث جزاء وحساب . قال : إنهم كذابون يريدون أن يجعلوا أنفسهم مشاركين للمسلمين ، وأنهم مؤمنون وعالمون . (قيل للجمل من أين أتيت قال من الحمام قيل كان قد ظهر على كعبك) ؛ فلو أنهم يؤمنون بالحساب فما أمارة إيمانهم هذا وعلامته ؟ إن هذه المعاصى والظلم والشرور كالثلوج والبرد قد تجمعت أكوامًا ؛ فإذا أشرقت شمس الإنابة والندم والإيمان بالآخرة وخشية الله تعالى زالت تلك الثلوج من المعاصى جميعًا كما تذيب الشمس الثلوج والبرود ، ولو أن ثلجة وبردة قالت قد رأيت الشمس وأشعت شمس الصيف القائظ علىّ وهو لا يزال فى ثلوجته ما صدقه عاقل ؛ لأنه محال أن تشرق شمس تموز وتترك الثلج والبرد . والحق تعالى مع أنه وعد بجزاء الخير خيرا والشر شرًا يوم القيامة ، لكن نموذج هذا الجزاء يتبدى فى الدنيا لحظة بعد لحظة ولمحة بعد لمحة فإن شعر الإنسان بالسعادة فى قلبه فذاك لأنه أسعد إنسانًا آخر وإن شعر بألم وحزن فلأنه أحزن شخصًا غيره . وما هذا غير هدايا للآخرة ومجلى ليوم الحساب حتى يفهم بهذا القليل ذاك الكثير كما تعرض عينة من القمح للدلالة والرسول - ﷺ - مع عظمته وجلاله آلمته ليلةً يده فأتاه الوحى أن هذا الألم بتأثر ألم يد العباس الذى وقع فى أسرك وقيدت يده مع جمع الأسرى . ومع أن هذا التقييد كان بأمر الحق إلا أنك وجدت جزاءه لكى تعلم أن كل قبض وكدر وألم يحدث لك إنما هو من تأثير إيلام ومعصية قمت بها . وإذا لم تتذكر تفصيلات ما فعل لكثرة ما جرى منك إلا أن ما يحدث لك من مكروه إنما هو عقاب ما قمت به من أفعال شريرة كثيرة ، ولم تكن تدرى أنها

شريرة إما غفلة منك أو جهلاً أو بسبب قرين سوء زين لك ارتكاب الذنوب وأنت لا تدرى أنها ذنوب فانظر فى الجزاء لتعرف مدى قبضك أو بسطك فتدرك أن القبض جزاء المعصية والبسط جزاء الطاعة . ألم يعاتب الرسول حين أخذ يدير خاتمًا فى أصبعه بقوله – تعالى – ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [سورة المؤمنون الآية ١١٥] فقس من هنا هل ينقضى يومك فى المعصية أم فى الطاعة . شغل موسى عليه السلام بالخلق مع أن انشغاله كان بأمر الحق ، والجميع مشغولون بالحق ، لكن موسى شغل بالخلق من أجل المصلحة . وشغل الحق الخضر بالكلية به وشغل المصطفى أولاً بالحق تمامًا ثم أمره من بعد بأن يدعو الخلق إليه ويهديهم ويصلحهم فبكى الرسول قائلاً: ماذا أذنبت يارب حتى تطردنى عنك أنا لا أحب الخلق فقال الحق– تعالى-: لا تحزن يا محمد فلن أتركك فحين تنشغل بالخلق فسوف تكون فى ذات الوقت منشغلاً بى ولن أخليك طرفة عين ولن ينقص وصلك منى شيء وأنت منشغل بالناس فأنت متصل بى فى كل أمر تقوم به . سأل ألا تتغير الأحكام الأزلية وما قدره الحق– تعالى – ؟ فقال:ما حكم الله–تعالى– به فى الأزل وهو أن الشر يجازى به شر والخير للخير هذا حكم لا يتغير أبدًا ؛ لأن– الحق تعالى– حكيم كيف يقول افعل شرًا تلف خيرًا ؟ إن من زرع قمحًا ، لن يجنى أبدًا شعيرًا أو من زرع شعيرًا لن يجنى أبدًا قمحًا وهذا مستحيل وكل الأولياء والأنبياء قالوا بذاك أيضًا ، وأن جزاء الخير خير وجزاء الشر شر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة الآيتان ٧ و٨] . فإن كنت تريد هذا المعنى الذى شرحنا من

الحكم الأولى فهو لا يتبدل مطلقًا معاذ الله ، وإن كنت تريد أن جزاء الخير والشر يزيدان فيتبدلان ؛ أى تجد خيرا كثيرًا جزاء ما فعلت من خير كثير أو تلقى ظلمًا كبيرًا لما فعلت من ظلم كبير ؛ فإن كان بهذا تغير ، لكن أصل الحكم لا يتغير . فسأل يريد تفصيلاً : نرى أن الشقى يغدو سعيداً والسعيد شقيا فقال ذاك الشقى فعل فى النهاية خيرًا أو اعتقد خيرًا فصار سعيدا وذاك السعيد الذى صار شقيًا صنع شرًا أو اعتقد شرًا فصار شقيًا كإبليس حين اعترض على آدم بقوله ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [سورة الأعراف الآية ١٢] صار ملعون الأبد بعد أن كان رئيس الملائكة وطرد من الجنة ، ونحن نقول بهذا كذلك ، وهو أن جزاء الخير خير وجزاء الشر شر .

فسأل : نذر أحدهم بصوم يوم ثم نقض نذره فهل يلزمه تكفير؟ فقال: الكفارة عند الشافعى واجبة ؛ لأنَّ نذره يأخذ حكم اليمين المنقوضة يلزمها كفارة . لكن عند أبى حنيفة ليس النذر يمينًا فلا يجب الكفارة والنذر على قسمين : أحدهما مطلق والآخر مقيد ، والمطلق أن يقول: (علىَّ أن أصوم يومًا) والمقيد قوله: (علىَّ كذا إن جاء فلان) . قال: ضاع حمار أحدهم فصام ثلاثة أيام بنية أن يجد حماره وبعد الأيام الثلاثة وجد حماره ميتًا فغضب وتوجه إلى السماء غاضبًا ، وقال لن أصوم ستة أيام من رمضان عوضًا عن هذه الأيام الثلاثة فلن أكون رجلاً لو وفرت منى صومًا . سأل أحدهم ما معنى التحيات لله والصلوات والطيبات؟ فقال هذه عبادات أو تضرعات وخشوعات لا تأتى منا ولا نفرغ بها فصار من الحق أن الطيبات والصلوات والتحيات هى

لله وليست منا ، فكل شيء ملكه وله ، كما يحدث فى الربيع تزرع الناس وتخرج إلى الصحراء وتسافر وتشيد الدور وكل هذا عطاء الربيع ومنحه وإلا لظلُّوا محبوسين فى منازلهم ودورهم . إذن فالحق أن هذه الزراعة والتنزه والتنعم كله ملك الربيع ، أنعم بها على الناس ، والناس ينظرون إلى الأسباب ويحسبون الأعمال من تلك الأسباب ، لكن الأولياء انكشف لهم أن الأسباب ما هى إلا حجاب يحجب المسبب فلا يرونه ولا يعلمون كشأن من يتحدث من وراء حجاب فيظن الناس أن الحجاب هو الذى يتكلم ولا يدرون أن الحجاب معطل من العمل وليس غير لثام ، وحين يرون أنَّ الصوت يأتى من وراء الحجاب يعلمون أن الحجاب ما هو إلا ذريعة وحجة . وأولياء الحق يرون أن الأفعال تؤى وتقضى خارج أسبابها كالناقة التى انشق عنها الصخر ، وعصا موسى التى صارت ثعبانًا ، وتفجر الحجر اثنتى عشرة عينًا ، وكما فعل المصطفى حين شق القمر بإشارة دون ذريعة ، وكشأن آدم بدون أبوين ، وعيسى بدون أب ، وإبراهيم غدت النارعليه وردًا وروضًا إلى مالا نهاية.فلما رأوا ذاك علموا أن الأسباب ماهى إلا ذريعة ، وأن الصانع على الحقيقة هو الله وليست الأسباب غير حجاب لينشغل بها العامة.وعد الحق- تعالى - زكريا بأنه سيهبه ولدًا فصاح أنا عجوز وزوجى عقيم ، وضعفت آلة شهوتى وبلغت زوجتى مبلغ عدم الحمل والوضع فكيف ستلد هذه المرأة ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [سورة آل عمران الآية ٤٠]

فجاءه الرد قد جهلت يا زكريا بيت القصيد ، وقد أظهرت لك مرارًا الأعمال خارج أسبابها فنسيت وجهلت أن الأسباب ما هى إلا ذرائع

وأنا قدير على أن أخلق أمامك فى هذه اللحظة آلاف الأبناء بلا زوجة وحمل ، بل إننى حين آمر يظهر فى العالم خلق كامل وبالغ وعالم ، ألم أخلقك فى عالم الأرواح بلا أبوين ؟ وأسبغت عليك لطفى وعنايتى من مثل أن توجد فى هذه الدنيا فكيف تسنى ذاك ؟ إن أحوال الأنبياء والأولياء والناس والأبرار والأشرار على قدر مراتبهم وجوهرهم على مثال الغلمان الذين يؤتى بهم من دار الكفر إلى بلاد الإسلام فيباعون يؤتى بعضهم فى الخامسة وبعضهم فى العاشرة وغيرهم فى الخامسة عشرة . ومن كان منهم طفلاً يوم الإتيان به ينسى تمامًا بلاده الأصلية حيث يمكث سنوات طويلة فى تربية المسلمين حتى يشيخ ولا يذكر عن بدايته شيئًا . أما من كان أكبر سنًا من بينهم فإنه يتذكر طفولته ومن كان أكثر قوة وسنًا زاد تذكره لبلاده فكذاك الأرواح فى ذاك العالم كانت فى حضرة الحق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [سورة الأعراف الآية ١٧٢] وكان غذاؤهم وقوتهم هو كلام الحق بلا حرف وبلا صوت ولما أتى ببعضهم فى حال الطفولة لا يتذكر ذاك العالم وأحواله إذا سمع كلام الله بل استغرب هذا الكلام وهؤلاء هم المحجوبون الذين غرقوا تمامًا فى الكفر والضلالة . ويتذكر بعضهم ويجوش فيهم ذكرى هذا العالم وأولئك هم المؤمنون . وفريق ثالث حين يسمع ذاك الكلام تظهر فى نظرهم أحوال ذاك العالم كما كانت فى القديم ، وترتفع تمامًا عنهم الأحجبة ، ويتصلون به وأولئك هم الأولياء والأنبياء . أوصى الإخوان بأنه إذا تبدت لكم عرائس المعنى فى بواطنكم وانكشفت عليكم الأسرار فاحذروا شديد الحذر أن تفصحوا عنها للأغيار أو تشرحوها لهم ، وهذا الكلام الذى تسمعونه منى لا

تقولوه إلى كل مــن هب ودب : (لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم) لو أن لك حسناء أو معشوقة جميلة فى نزلك وقالت لا تطلع علىَّ أحدًا فأنا ملكك فلا يحق لك أن تطوف بها فى الأسواق وتقول لكل إنسان: تعالى لأريك هذه الحسناء فهى لا ترضى مطلقًا بأن يحدث لها ذاك فتنتقم عليك . وقد حرم الحق-تعالى-هذا الكلام عليهم شأن أهل النار ينادون صارخين لأهل الجنة بأن يتصدقوا ويتكرموا عليهم من عطايا الله ومواهبه لهم بدافع الكرم والمروءة ، وماذا يحدث لو أسقطتم علينا شيئًا وآثرتمونا به (وللأرض من كأس الكرام نصيب) فنحن فى النار نحترق ونذوب فصبوا من تلك الثمار أو الماء الزلال فى الجنة ذرَّة على أرواحنا فلن يضيركم شيئًا ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الأعراف الآية ٥٠] . قال أصحاب الجنة قد حرمه الله عليكم ، وكان بذره فى الدنيا فلم تزرعوه وتغرسوه فى الدنيا وهو الإيمان والصدق فكيف لكم أن تجنوه عملاً صالحًا فى الآخرة ولو آثرناكم كرمًا به فلأنَّ الله حرمه عليكم فلسوف يحرق حلوقكم ولن يغوص إلى أجوافكم بل ولو وضعتموه فى كيس لتمزق وسقط منه .

أتى الرسول جماعة من المنافقين والأغيار ، وكان يشرح لأصحابه الأسرار ، وكانوا يمدحونه فقال الرسول لصحابته بالإشارة: (خمروا آنيتكم) أى غطوا أفواه أقداحكم وكئوسكم وأوانيكم وجراركم وأوعيتكم وأخفوها فهنا حيوانات نجسة وسامة فلما ولغت بأوانيكم فشربتم منها

غافلين فأصابكم منها الضرر ، وعلى هذا النحو أمرهم بإخفاء الحكمة أن الأغيار وتكميم الأفواه أمام الأجانب ؛ فهم فئران لا يليقون بهذه الحكمة والنعمة .

قال المولوى ذاك الأمير الذى خرج من عندنا مع أنه لم يفهم كلامنا على وجه التفصيل لكنه لا يعلم إجمالاً أننا ندعوه إلى الحق وأخذنا انصياعه وهز رأسه وحبه وعشقه على أنه فهم لما نقول كهذا الريفى الذى يدخل مدينة ويسمع صوت الأذان ؛ فمع أنه لا يفهم بالتفصيل معنى كلمات الأذان ، فإنه يفهم المقصود منها .

* * *

فصل

قال: كل محبوب جميل ولايلزم العكس ؛ لأن كل جميل محبوب والجمال جزء من المحبوبية والمحبوبية هي الأصل فإذا وجد محبوب فإنه جميل ولا محالة والجزء لا ينفصم عن كله بل هو ملازم له. كان على عهد المجنون حسناوات أجمل من ليلى ، لكنهن لم يكن محبوبات المجنون ، وقيل للمجنون سوف نأتى لك بمن هن أجمل من ليلى فكان يقول إننى لا أحب ليلى بالصورة وليست ليلى صورة ، وإنما هى فى يدى مثل كأس وأنا أشرب من هذه الكأس ، فإذن أنا عاشق الخمر التى أشرب منها ، وأنتم تنظرون إلى الكاس وغافلون عن الخمر ، ولو كان عندى قدح ذهبى مرصع بالجوهر وبه خل أو شراب غير الخمر فأى فائدة لى منه ! إن قرعة قديمة مكسورة فيها الخمر خير عندى من تلك الكاس ومائة مثلها . لا فوت من عشق وشوق للمرء حتى يميز الخمر من القدح مثل ذاك المتضور جوعًا لم يطعم شيئًا من عشرة أيام وشبعان يأكل فى اليوم خمس مرات كلاهما ينظر فى الخبز فذاك الشبعان يرى صورة الخبز والجوعان يرى روح الخبز . وهذا الخبز كالقدح ولذته مثل الخمر فيه ولا يمكن رؤية تلك الخمر بغير نظر الاشتهاء والشوق ؛ فحصل إذن الاشتهاء والشوق حتى لا تكون ناظرًا للصورة وترى وفى الجميع فى

الكون والمكان معشوقك . صورة كل هؤلاء الخلق كالأقداح ، وهذه العلوم والفنون والمعارف هي النقوش فوق الكأس ، ألا ترى أنه إذا انكسرت الكأس ما بقيت هذه النقوش ، إذن فالعبرة بذاك الشراب الذى هو برداء القوالب وفى ذلك الإنسان الذى يشرب الخمر ويرى أنه (الباقيات الصالحات) .

لا محيص للسائل من افتراضين يتصورهما : الأول أن يجزم بأننى مخطئ فيما أقول ، وأن شيئًا آخر خلافه . والثانى أن يعتقد بوجود قول وحكمة أفضل وأعلى مما أقول وأنا أجهلهما ، ولهذا اعتبرنا أن السؤال نصف العلم ؛ كل واحد توجه إلى واحد آخر وللجميع مطلوب حق يصرفون أعمارهم أملاً فيه ، لكن لا بد من وجود مميز بينهم يدرك من الذى يتصف بالصواب من بين الجميع وعليه علامة ضربة صولجان الملك حتى يغدو كرة واحدة وموحداً ويستغرق الماء فيتصرف الماء فيه ولا يتصرف هو فى الماء . إنَّ السباح والمستغرق كليهما فى الماء ، لكن الثانى يحمله الماء ويتملكه والأول تحمله قوته هو وملك لاختياره هو ، إذن فكل حركة من الثانى تستغرقه ، وكل فعل وقول يصدران عنه هما من الماء ، وليسا منه ، وما هو إلاَّ ذريعة ؛ شأنك حين تسمع صوتًا من الجدار ، وتعلم أنه لايصدر من الجدار بل من شخص جعل الجدار يتحدث . وكذلك الأولياء ماتوا قبل أن يدركهم الموت ، وانطبق عليهم حكم الباب والجدار لم تعد بهم شعرة من حياة وهم فى يد القدرة درع وليست حركة الدرع من الدرع وهذا هو معنى (أنا الحق) . تقول الدرع أنا غير موجودة وحركتى هى من يد الحق فشاهدوا الحق فى هذه الدرع ولا

توجهوا قبضاتكم إلى الحق فمن ضرب هذه الدرع فإنه يحارب فى الواقع الحق ويهاجم الله ، أتسمع من عهد آدم حتى الآن ماذا حل بهم من فرعون وشداد ونمرود وقوم عاد وثمود ولوط وغيرهم ؟! وتلك الدرع حتى القيامة قائمة دورًا بعد دور ، بعضها فى صورة الأنبياء وبعضها فى صورة الأولياء حتى يتميز الأتقياء من الأشقياء والأعداء من الأولياء . إذن فكل ولى حجة على الخلق وللخلق بقدر تعلقهم به مراتب ومقامات فإن حاربوه فقد حاربوا الله وإن والوه فقد والوا الحق (من رآه فقد رآنى ، ومن قصده فقد قصدنى) وعباد الله هم محارم محرم الحق ؛ لأنهم خادمو الحق تعالى فقد انقطعت عنهم كل عروق الحياة والشهوة وجذور الخيانة على الكلية وتطهروا منها فلا جرم أن غدوا يخدمهم العالم ومحرم الأسرار ؛ لأنه ﴿لا يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [سورة الواقعة الآية ٧٩] .

قال المولوى إنه إن أدبر عن العارفين فليس هذا مرجعه إلى الإنكار والغفلة ؛ لأنه أقبل على أرواحهم ؛ لأن هذا الكلام الذى يخرج من أفواهنا إنما هو أرواحهم فلا ضرر من إدبارهم عنهم وإقبالهم على روحهم ، ويطيب لى أننى أرغب عن غضب أى قلب منى وهؤلاء الجماعة التى تهاجمنى بسبب مجالس الذكر والسماع ويدفعهم بعض أصحابى فإن عملهم هذا لا يرضينى وقلت مائة مرة لا تقولوا لأحد شيئًا بسببى وأنا راضٍ بما يفعلونه بى ؛ لأن الرفق يأخذ قلبى إلى حد أننى أخشى أن يمل أصحابى من نصحى حين يأتوننى فأنشد لهم شعرًا يشغلهم وإلا فأين أنا من الشعر ، وأين الشعر منى ، والله إننى نافرمن الشعر وليس أسوأ منه لدى ، لكننى كمن مسح بطنه بيده وأخذ يمسحه

لكى يثير اشتهاء ضيفه للطعام طالما أن اشتهاءه ببطنه . ولا مناص لى من النظر فى الخلق من منهم يتوجب له بضاعة من المدينة الفلانية وما البضاعة التى يرغبها ؛ وما الذى يشتريه ؟ وما الذى يبيعه ؟ ولوكانت بضاعة رديئة . وأنا قمت بتحصيل علوم كثيرة وتحملت متاعب جمة حتى يأتينى الفضلاء والمحققون والعقلاء وذوو الفطنة وأعرض عليهم أشياء نفيسة وغريبة ودقيقة . وقد قدر الله تعالى أن تتجمع عندى كل العلوم وتجتمع سائر المتاعب حتى أنشغل بأمرى هذا فماذا يمكننى فعله ؟ لم يكن فى ولايتى وقومى أكثر عاراً من الشعر ، وبما أننا مكثنا بهذه الولاية فلا بد من الحياة فيها وفق طباع أهلها فأخذنا نمارس ما يرغبون فيه مثل التدريس وتصنيف الكتب والتذكير والموعظة والزهد والعمل الظاهرى . قال لى الأمير بروانة إن العمل هو الأصل ؛ فقلت له : وأين أهل العمل وطالب العمل حتى أعمل معه ؟ أنت الآن تطلب المقال فأصبحت بسمعك لاتسمع شيئًا فإذا لم نقل شيئًا أصابك الملل فاطلب العمل حتى نصدره لك . نطلب من العالم رجلاً نظهر له العمل فإذا لم نجد مشترى العمل نجد مشترى الكلام والمقال فننشغل بالقوة ، وأنى لك أن تعرف العمل وأنت لست بعامل . يمكن معرفة العمل بالعمل ويمكن فهم العلم بالعلم والصورة بالصورة والمعنى بالمعنى . وطالما أنه ليس بهذا الطريق سائر والسلوك خلو من السالك فإن سلكنا الطريق والعمل فكيف سيفهمونه . ما هذا العمل غير الصلاة والصيام وهى صورة العمل . العمل معنى فى الباطن . ومن عهد آدم حتى المصطفى لم تكن الصلاة والصوم بهذه الصورة وكان العمل قائمًا إذن فهما صورة العمل . العمل معنى فى الإنسان كما تقول :إن الدواء عمل عمله وليس إذ ذاك صورة للعمل بل معناه الذى به ، وكما يقال : ذاك الرجل عامل فى

المدينة الفلانية فهـم لا يرون شيئًا على صورته ، بل إن الأعمال تتعلق به ، ولذلك يسمونه بواسطتها عاملاً . إذن فليس العمل كما يفهم الناس ؛ إذ يعتقدون أن العمل هو ظاهرة وحسب ، ولو أن منافقًا أدى صورة العمل فما نفعه عمله ؛ لأنَّه ليس فيه معنى الصدق والإيمان. أصل الأشياء جميعًا هو القول والكلام وأنت تجهل القول والكلام بل تحقره . القول ثمرة شجرة العمل ؛ لأن القول يتولد من العمل . خلق الحق – تعالى– العالم بكلمة (كن فيكون) والإيمان وقر بالقلب ؛ فإذا لم تقله غلا نفع له والصلاة وهى فعل إذا لم تقرأ فيها القرآن ما صحت ، وحين تقول إنّ القول غير معتبر فإنك تقر نفى ما تقول ؛ لأن قولك:إن القول غير معتبر لم يسمع إلا بقولك وحين نسمع منك أن القول غير معتمد به أو معتبر فإنك تفصح عن رأيك هذا بالقول . سأل أحدهم حين نفعل الخير ونؤدى الصالحات فإذا عقدنا الأمل فى الله وتوقعنا الخير والثواب فهل يضيرنا هذا ؟ قال: إى والله لا بد من الأمل والإيمان ما هو إلا خوف ورجاء أو وأمل سألنى أحدهم إن الرجاء بذاته مستحب ؛ فما معنى هذا الخوف ؟ فأجبته أظهر لى خوفًا بلا رجاء أو رجاءً بلا خوف ؛ فكيف سؤالك وهما لا ينفكان . مثلاً : زرع أحدهم قمحًا فإن لديه رجاءً هو أن يطلع القمح وضمن ذلك يخاف أن يقع مانع أو تظهر آفة ، إذن فمعلوم أن الرجاء ليس هو الخوف ولا يمكن تصور الخوف بدون الرجاء أو الرجاء بلا خوف فإن كان يرجون من الله ويتوقعون ثوابه وإحسانه فلا مناص لهم من الجد والاجتهاد وأكثر فى العمل . إن توقعهم ذاك هو الجناح للعمل كلما زاد قوة زاد ارتفاعًا ولو أصابه القنوط أصابه الضعف ، ولم يتأت منه خير وطاعة من بعد . شأن من يشرب الدواء المر ويترك لذائذ حلوة عديدة إذا لم يكن يأمل الصحة فأنى له أن يتحمل هذه

المرارة ؟! (الآدمى حيوان ناطق) الآدمى مركب من الحيوانية والنطق ، وكما أن الحيوانية دائمة فيه لا تنفك عنه فكذاك الظن دائم فيه ، وإذا لم ينطق فى الظاهر فإنه ينطق فى الباطن ، وهو ناطق دائمًا مثل الفيضان الذى اختلط فيه الطين بالماء ؛ فهذا الماء الصافى هو نطقه وذاك الطين حيوانيته ، لكن الطين عليه عارض ، وألا ترى أن هذه الطينات والأجساد قد فنيَت وبلِيَت ، لكن نطقها وحكايتها وعلومها من خير وشر قد بقِيَت ؟ العارف كل إذا رأيته رأيت كل شىء و (الصيد كله فى جوف الفراء) وخلق العالم كلهم أجزاؤه وهم الكل :

كل الخير والشر جزء فى الصوفى   وإلا فما كان هذا الصوفى صوفيا

وأنت إن رأيته وهو الكل فقطعًا رأيت كل العالم وكل من تراه من بعده فإنما هو مكرر عنه وقول العارفين فى الأقوال كل ؛ فإذا سمعت قولهم فإن كل قول تسمعه من بعده مكرر :

فمن يره فى منزل فكأنما

رأى كل إنسان وكل مكان

يا من أنت نسخة الكتاب الإلهى

ومن أنت الجمال الملكى

كل موجود فى العالم لا يخرج عنك

يطلب فى ذاته ما تريده وهو أنت

* * *

فصل

قال النائب : كان الكافرون يعبدون الأصنام من قبل ، ويسجدون لهـا ونجن نفـعل فى أيامنا هذه صنيـعـهم ؛ فنحن نسـجـد إلى المغـول ونطيـعـهم ونسـمـى أنفسنـا مـسلمين ، ولنا فى بواطننا أصنام أخـرى كالحرص والـهوى والنقمـة والحسد ونسجد لها جميعًا إذن فنحن نفعل فعل الكفار السابقين ظاهرًا وباطنًا وندعى أننا مسلمون . فقال المولوى لكن هـنا فـارقًـا هو أن الفكرة خطرت ببـالك ، وأن هذا خـيـر وذاك شـر فقطعًا غدت بصيرتك شيئًا عظيمًا جليلاً حتى أظهرت لك القبيح من الجميل.إن الماء المالح يظهر مـالحًا لمن ذاق الماء العذب (وبضـدها تتبين الأشـيـاء) إذن أودع الحق تعـالى الإيمـان فى روحك بحـيث تتـقـبح هذه القبـائح وتظهر الجميل مائزًا عن القبيح ، وإذا لم يظهر ذلك عند الآخرين ؛ لأنـهم لا يعنيهم الأمر فـهم سعداء بما هـم فيه ويقولون لا شأن لنا به . إن الله – تعـالى– يريد لك ما هـو مطلوبك ويقدر لك بقدر همتك (الطير يطير بجناحيه والمؤمن يطير بهمته) . والخلق على ثلاثة أصناف : **الملائكة** وهـم عـقل مـحض طبـعـهم الطاعـة والعـبادة والذكـر وغذاؤهـم وحـياتهم بهـذه الطاعـة كـالسمكة فى الماء حـياتها بالماء ومضـجـعـها ومرقـدها الماء فـلا يجوز التكليف عليهم ؛ لأنـهم مجردون من الشهوة أنقياء منها فلا منة لهم

إذا لم يشتهوا أو غووا بهوى النفس لأنهم طاهرون منه وليس لهم مجاهدة ولو أطاعوا فلا يعد طاعتهم طاعة لأنهم مطبوعون عليها وبدونها لا يكونون .ثم **البهائم** وهى شهوة محض ، وليس بها عقل زاجر ، وليس عليهم تكليف . **والآدمى المسكين** ، وهو مركب من العقل والشهوة نصفه ملائكى والآخر حيوانى ، نصفه ثعبان والآخر سمكته تجذبه سمكة إلى الماء ويسحبه ثعبانه إلى التراب ، وهى فى صراع وقتال (من غلب عقله شهوته فهو أعلى من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو أدنى من البهائم) .

وابن آدم فى تنازع بين الاثنين

نما الملك بالعلم ونشأت البهائم بالجهل

وبعض الناس تابعوا العقل حتى صاروا ملائكة بالكلية وغدوا نوراً محضاً ، فهم بين الأنبياء الأولياء وتخلصوا من الخوف والرجاء (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وغلب فى بعضهم شهوتهم على عقولهم حتى انطبق عليهم حكم الحيوان تماما وبقى بعض ثالث فى تنازع وهم تلك الطائفة التى يظهر فى بواطنهم ألم وتعب وأنين وتحسر ولا يرضون عن حياتهم وهم المؤمنون والأولياء ينتظرون أن يبلغوا بالمؤمنين إلى منازلهم ويجعلوهم مثلهم والشياطين ينتظرون أيضاً أن يجذبوهم إليهم فى أسفل السافلين :

والسعيد هو من أحبه ربه

نحن نريد والآخرون يريدون

﴿ إذا جاءَ نصرُ اللّهِ ... ﴾ [سورة النصر الآية ١] يفسرها المفسرون الظاهريون بأن المصطفى عليه السلام كان يطمح إلى أن يحيل العالم إلى مسلمين ويحولهم إلى دين الله ؛ فلما أحس بدنو أجله قال آه لن أعيش حتى أدعوا الخلق إلى الله ، فقال الحق لا تحزن حين تموت سوف تدخل البلاد والمدن - التى لم تكن تفتحها بغير الجيش والسلاح - الإسلام بدون قتال وأمارة ذلك أنك سترى الخلق بآخر عمرك يدخلون فى دين الله أفواجًا فإن رأيت ذلك فاعلم أنه قد حلّ انتقالك فسبح آنذاك بحمد ربك واستغفره ، إذًا سوف تبلغ الآخرة ، وأما المحققون فيرون أن معنى السورة أن الإنسان يظن أنه سوف يدفع عن ذاته الخصال المذمومة بعمله وجهاده ، فإذا أكثر من جهاده وبذل ما عنده من قوة ووسيلة أصابه القنوط فيقول له الحق تعالى كنت تظن أن ذلك سوف يحصل بقوتك وفعلك وعملك وماذاك إلا سنة وضعتها ، وهى أن تبذل فى سبيل الله ما لديك ثم يبلغك من بعد ذلك عطاؤنا فى هذا الطريق الذى لا نهاية له نأمرك بأن تيسر بقدميك الواهنتين ويديك الضعيفتين ونحن نعلم أنك لن تطوى هذا الطريق على ضعفك بل لن تطوى مرحلة منه فى ألف فما أو يزيد إلا إذا سلكت هذا الطريق بحيث إنك لو عجزت عن السير وسقطت ، ولم تعد بك لحاقة على السير فإن عناية الله سوف تشملك بعد ذلك كمثل الطفل مادام رضيعًا فإنه يحمل على الكتف فإذا كبر تركوه حتى يسير بنفسه . والآن لم تعد بك قوة فإننا سوف نظهر لك لطفًا وأنت بين المنام واليقظة إذا أظهرت مجاهداتك وحاولت محاولاتك حتى تقوى بلطفنا فى طلبنا ويسوقك الأمل والرجاء . فإذا عجزت وسيلتك فانظر إذ

ذاك فإن لطفنا وعطاءنا وعنايتنا سوف تهبط عليك أفواجًا أفواجًا لم تكن ترى ذرة منها بألف سعى وجهد منك وإذ ذاك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [سورة النصر الآية ٣] أى استغفر من هذه الأفكار والظنون ، وهى أن زوال صفاتك المذمومة سوف يتحقق بسعيك ، وأننا لن نمدك ونلطف بك فإذا رأيت منا خلاف ما كنت تتوقع فاستغفر الله ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر الآية ٣] .

نحن لا نحب الأمير من أجل الدنيا ومطالبها وعلمها وعملها ويحبه الآخرون من أجل هذه الدنيا ؛ لأنهم لا يرون وجه الأمير بل يرون ظهره . والأمير كالمرآة وهذه الصفات كالدر الثمين والذهب المحلى به ظهر المرآة فمن يعشق الذهب ويحب الدر ينظر إلى ظهر المرآة ، ومن يعشق المرآة فلا ينظر إلى الدر والذهب يظهرها بل يتوجه دائمًا إلى وجهها ، ويحب المرآة لأنها مرآة لأنه يرى فيها جماله ؛ فلا يمل المرآة . أما قبيح الوجه المعيب الخلقة يرى قبحه فى المرآة فيعجل بقلب المرآة ويطلب رؤية ما بظهرها من جواهر . وإذا حلى ظهر المرآة بشتى أنواع الجواهر والزينة فماذا يضير وجهها . كذلك الحق تعالى ركب الحيوانية والإنسانية فظهر كل منهما (وبضدها تتبين الأشياء) ولا يمكن تعريف الشىء بدون نقيضه ، والله تعالى ليس نقيضًا ، يقول (كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف ....) فخلق هذا العالم وهو من الظلمة حتى يتبدى نوره وكذلك خلق الأنبياء والأولياء (أخرج بصفاتى إلى خلقى) ، فهم مظهر نور الحق حتى يميز العدو من الحبيب والخبيث من الطيب ؛ لأنه ليس لذاك المعنى نقيض من ناحية المعنى إلا بطريق الصورة كما هو

التناقض بين آدم وإبليس وموسى وفرعون وإبراهيم والنمرود والمصطفى وأبو جهل ... إلخ إذن يظهر نقيض لأولياء الله مع أنه لا يوجد نقيض من ناحية المعنى إلا أن النقيض أخذ يبدى عدواته وضديته حتى يرتفع أمره وتزداد شهرته ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة الصف الآية ٨] .

القـــمــــر ينشـــر نوره والكلب يعـــوى

وأى ذنب للقـمـر وهذه هى صـفـة الكلب

أركـــان الســـمـــاء تشع بنور القـــمـــر

ومـا قدر هذاالكلب وليس غيـر سفل الأرض

كثير من الناس يعذبهم الله بالنعمة والمال والذهب والإمارة وتأبى أرواحهم متاع هذه الدنيا : رأى فقير فى بلاد العرب أميرًا راكبًا فرسه وآنس فى جبهته نور الأنبياء والأولياء فقال : (سبحان من يعذب عباده بالنعم).

* * *

فصل

هذا المقرى يقرأ القرآن بتجويد : أجل يقرأ صورة القرآن بدقة ، لكنه يجهل معانيه ، والدليل على ذلك أنه يرفض معناه حين يجده ، فيقرأ القرآن بلا تبصر . ومثله رجل بيده نوع من الشراب فيؤتى له بأفضل منه فيرفضه ، فنعلم أنه لا يعرف الشراب ، فقال له آخر إنه أمسك بهذا النوع بدافع التقليد مثله كالأطفال الذين يلعبون بحبات الجوز ، فإذا فتحتها وأعطيتم ما بها من لب ودهن رفضوه ؛ لأن الجوز عندهم أن يلعبوا به ويصدر لهم صوتًا . أما اللب فليس له صوت وضجيج ، وخزائن الله كثيرة وعلومه كثيرة ، فإن كان يقرأ القرآن عالمًا بمعانيه فلماذا يرفض تأويله . كنت أحاجج مقرئًا بأن القرآن يقول ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [سورة الكهف الآية ١٠٩] يمكن أن تكتب القرآن بحبر ثمنه خمسون درهمًا . إنَّ القرآن ليس غير رمز لعلم الله وليس القرآن وحده هو كل علم الله . وضع العطار دواءً داخل قطعة من الورق ، فهل تقول إن كل عطارته موجودة بهذه الورقة، إن هذا حمق . كان على عهد موسى وعيسى وغيرهما قرآن كان كلام الله ولم يكن بالعربية. كنت أشرح له هذا فرأيت أن شرحى لا يؤثر فى المقرئ فتركته.

روى أنه في عهد الرسول- ﷺ - كان من يحفظ من الصحابة سورة أو نصف سورة يعدونه عظيمًا ، ويشيرون إليه بأصابعهم بأنه يحفظ سورة ، لأنهم كانوا يأكلون القرآن . إن أكل (منٍّ) من الخبز أو (مَنَّيْن) لهو أمر عظيم إلا ممن يجعله في فمه ولا يمضعه ثم يبصقه ، ويمكن أن تأكل ألف حمل من القرآن ألا يقال (رُبَّ تال للقرآن والقرآن يلعنه) في حق من لا يفهم شيئًا من معنى القرآن ؟ إلاَّ أنه يجمل بقوم جعل الله على أبصارهم غشاوة من أجل أن يقوموا بعمارة هذه الدنيا ؛ لأنه إذا لم يجعل بعضهم غافلين عن الآخرة فلن يعمر بهذه الدنيا عمار ، إذن فالغفلة تثير أصحابها إلى التعمير والتشييد . ألا ترى الطفل يكبر بسبب الغفلة وتطول قامته فإذا بلغ أشده واستوى عقلاً توقفت قامته عن الطول ؟! إذن فسبب العمارة وموجبها الغفلة وسبب الخراب وموجبه الوعي والفهم . ما نقوله هذا لا يخرج عن أمرين : إما أن نقوله بناء على الحسد أو بناء على الشفقة ، وحاشا أن يكون مبعثه الحسد ؛ لأن الحسد لا يجازيه غير الحسد ، ومن أسف فإن قولنا لا يستحق حسداً ؛ فماذا كان دافعه إلا غاية الشفقة والرحمة ؛ لأني أتوق إلى أن ألفت نظر صاحبي العزيز إلى المعنى.

روى أن شخصًا تاه في بريه وهو في طريق الحج وغلب عليه عطش عظيم حتى رأى من بعيد خيمة صغيرة وبالية فتوجه إليها فرأى فيها جارية فنادى أنا ضيف فنزل وجلس وطلب ماء فأعطته ماء ، كان تجرعه أشد حرقة من النار وملوحة من الملح أخذ يحرق ما غاص فيه من شفته حتى حلقه . فأخذ هذا الرجل بدافع الشفقة ينصح تلك المرأة بقوله لكم

عليّ حق الضيافة ومالقيته منكم من إكرام فقد آثرتم شفقتى فاحفظى ما أقوله لك : إن بغداد قريبة إليكم والكوفة وواسط وغيرهما ويمكنكم ولو أعجزكم المرض أن تصلوا إلى إحدى هذه المدن حبواً أو زحفًا ففيها من الماء العذب السائغ البارد الكثير ، وأخذ يحصى الأطعمة المتنوعة والحمامات والنعم والأطايب واللذائذ بهذه المدن . وبعد هنيهة قدم زوجها البدوى ببضعة من الفئران الجبلية التى صادها وأمر زوجته بأن تطبخها وتعطى شيئًا منها للضيف . فتناول الضيف منها شيئًا مكرهًا يتجرعه لا يكاد يسيغه ، وبعد أن نام الضيف خارج الخيمة فى منتصف الليل قالت المرأة لزوجها ألم تسمع بما قاله ووصفه هذه الضيف؟ وحكت ما قاله الضيف لزوجها . فقال البدوى احذرى يا امرأة أن تصدقى كلامه ؛ لأن الحساد كثيرون فى هذه الدنيا ؛ فإذا رأوا غيرهم قد بلغ السعادة والمجد حسدوه وأرادوا أن يزيلوه عن نعمائه ويحرموه مجده. ومثل هذا ترى الناس إذا نصحهم أحد شفقًا بهم فسروا نصحه حسداً منه لهم إلا من كان فيه أصل منهم فإنه يلتفت إلى المعنى فى النهاية ، ولأنه تقطرت من يوم (ألست بربكم) على قلبه قطرة فإن هذه القطرة فى العاقبة تنجيه من القلاقل والمحن ، وقائلة هلم إلينا إلى متى أنت فى قلاقل وجنون وبعد عناء واغتراب إلا هؤلاء الناس الذين إن تحدث معهم أحد بكلام نكروه ؛ لأنهم لم يسمعوا بنظيره من أحد ولا من شيخ لهم :

بما أنه لم يكن فى أصله عظمـة   فعجز عن سماع ذكر العظماء

إن الالتفات إلى المعنى برغم أنه لا يبدو فى البداية مقبولاً كثيراً، فإنه يزيد عذوبة إذا سار إليه مبتغيه فيبدو لطيفًا محبوبًا خلاف صورته الأولى ، وكلما زدت معايشة لها زدت قربًا إليه ، أين صورة القرآن وأين

مـعناه ؟ انظر فى الآدمى أين صـورته ؟ وأين مـعناه ؟ فلو كـان مـعنى الإنسان هو نفس صورته ما ترك لحظة فى منزله .

كان مولانا شمس الدين - قدس الله سره - يحكى أن قافلة كبيرة كانت متجه إلى مكان ما فلم يصادفها أرض معمورة أو ماء مشروب فوجدت فجأة بئراً بلا دلو فأتوا بسطل وحبال وأنزلوا السطل إلى مقر البئر فانقطع الحبل وسقط السطل فأنزلوا آخر فانقطع فأنزلوا من بينهم رجلاً عقدوه بحبل وهبط إلى البئر فلم يصعد . وكان فيهم عاقل قال اهبط فأنزلوه ، وكان على وشك بلوغ قعر البئر حين ظهرت له سوداة مهيبة فقال العاقل لن أنجو إلا إذا استعملت عقلى وانتبهت إلى نفسى فلأر ما سوف يحدث لى . قالت هذه السوداة أنت أسيرى فلا تحاول الفكاك ، ولن تنجو منِّى إلا بجواب صائب ولن تفلت منى بشىء غيره فقال سلينى ، قالت أى الأماكن أفضل ؟ فقال العاقل فى نفسه أنا أسير وعاجز ولو قلت لها بغداد أو غيرها فلسوف أطعن فى موضعها قال لها : أفضل الأماكن ما كان للمرء فيه مؤنس ولو كان فى قعر الأرض أو حفرة فأر فقالت أحسنت قد نجوت ، أنت الإنسان فى هذا العالم قد أطلقت سراحك وحررت الآخرين بسببك ، ولن أقتل أحداً بعد فقد عفوت عن جميع رجال العالم حباً فيك، وبعد ذاك سقت أهل القافلة من الماء. والآن فالغرض من هذه الحكاية هو المعنى ، ويمكنك أن تجلى المعنى نفسه فى صورة أخرى إلا مع المقلدين الذين يفهمون القصة على ظاهرها ومن الصعب الحديث معهم فلا يمكنهم فهم المعنى نفسه فى مثال مختلف أو حكاية أخرى .

* * *

فصل

قال المولوى : قيل لتاج الدين القبانى هؤلاء العلماء يدخلون فينا ويزيلون اعتقاد الناس فى الطريق إلى الله . قال : لا ، إنهم يدخلون بيننا ولا يزيلون اعتقادنا وإلاً حاشاهم أن ينتسبوا إلينا كمثل كلب يطوق بطوق ذهبى ظنًا أنه بهذا الطوق لن يسمى كلب صيد . إن الصيد أمر معين فيه سواء كان فى عنقه طوق ذهبى أو صوفى ، وكذاك هذا العالم فليس عالمًا بالجبة والعمامة ، وإنما العلم فضل فى ذاته لا يختلف لو كان فى قباء أو عباء ؛ وعلى عهد الرسول - ﷺ - كان المنافقون يقصدون إفساد طريق الدين فكانوا يرتدون ثياب الصلاة حتى يوهنوا التقليد والأسوة فى سلوك الدين ؛ لأنهم عجزوا أن يجعلوا أنفسهم مسلمين وإلا ما طعن أفرنجى أو يهودى فى الدين وما نزل فيهم ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ [سورة الماعون : الآية ٤ . ٥] والقول الكلى هو ذاك التنور والتأهل بالنور ، فإن عدمت الآدمية فاطلب الآدمية ، هذا هو المقصود وما خلاه تطويل وحين يزيد ترييش الكلام نسى المقصود منه .

كان بقال يحب امرأة فأخذ يرسل مع جاريتها رسائل كثيرة مفادها أننى بهذه الحال وتلك الحال وعاشق واحترق ولا أشعر براحة وأعانى

الأمرين وكنت البارحة فى هم وألم وحدث لى كذا قبل البارحة ، وأخذ يروى على مسامع الجارية قصصاً كثيرة فأتت الجارية سيديها ، وقالت : البقال يقرئك السلام ، ويقول تعالى حتى أفعل بك كذا كذا قالت بكل هذه البساطة ؟ قالت : قد أطال الكلام لكن قصده ما قلته لك ؛ فالأصل هو المقصود وما عداه صداع .

فصل

قال : تقاتل ليلك ونهارك ، وتطلب تهذيب أخلاق زوجتك ، وتطهر نجاسة امرأتك بنفسك ، وتطهر نفسك فيها ، والأفضل أن تطهرها في ذاتك ، فهذب نفسك بها ، واذهب إليها وسلّم بما تقوله هي ولو كان كلامها عندك محالاً ، وخلِّ الغيرة مع أنها صفة الرجال ؛ لأن صفات سيئة تظهر فيك بسبب هذه الصفة ولأجل هذا المعنى قال الرسول ﷺ : (لا رهبانية في الإسلام) سلوك الرهبان الخلوة ولانغزال في الجبال وهجر النساء وترك الدنيا فأبان الله- تعالى- طريقًا دقيقًا خفيًا للرسول وليس إلا الزواج بالنساء وتحمل جورهن وسماع تفاهاتهن وخرافاتهن وتعديهن وتهذيب النفوس بهن﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : الآية ٤] أن تحمل جور النساء والصبر عليهن شأنه شأن فرك نجاسة المتحمل بهن فتحسن أخلاقه بسبب تحمله وتسوء أخلاقهن بسبب تعديهن وتجاوزهن ، فإذا علمت هذا فطهر نفسك واعتبرهن مغسلة ثياب تطهر بهن قذاراتك فتتطهر ذاتك ، وإذا لم تقدر على نفسك فقرر مع نفسك بالعقل أن تفترض أنه ليس بينك وبينها زواج وما هي إلا معشوقة بغي ، وكلما غلبتك شهوتك قصدتها ، وبهذه الطريقة تدفع عن نفسك الحمية والحسد والغيرة إلى أن يحصل لك فيما بعد هذا الافتراض لذة المجاهدة

والتحمل ، وتظهر لك حالات بسبب خرافاتهن فتغدو بدون أن تفترض ذاك الافتراض مريداً للتحمل والمجاهدة والرضا بالظلم ؛ لأنك ترى نفعك كامنة فى هذا الجهاد . وفى أن الرسول - ﷺ - رجع مع صحابته من غزاة فقال أقرعوا الطبل فسوف نبيت الليلة بظاهر المدينة وندخلها غداً ، فقيل له وما سبب ذلك يا رسول الله؟ قال ربما ترون نساءكم مجتمعات مع رجال غرباء فتتألمون وتثور الفتنة . فلم يسمع ذاك أحد الصحابة ودخل المدينة فوجد امرأته مع غريب . فهذا إذن هو طريق الرسول وهو وجوب المعاناة فى دفع الغيرة والحمية ومشقة الإنفاق على الزوجة وكسوتها وتجرع آلام كثيرة حتى يتضح لك العالم المحمدى . أما طريق عيسى - ﷺ - فهو مجاهدة الخلوة وكبت الشهوة وطريق محمد - ﷺ - معاناة جور المرأة وإيلامها وإيذاء الناس ؛ فإذا عجزت عن سلوك طريق محمد - ﷺ - فاسلك طريق عيسى حتى لا تحرم من هذا وذاك . ولو كان بك من الصفاء ما يجعلك تتحمل كثيراً من الصفعات و لا ترى ثمرة أو نتيجة لصبرك وتحملك أو كنت تؤمن بالغيب وبما أمروك وخبروك به ، فاصبر على مثل هذا الأمر حتى ينفرج لك نتيجة ما أخبرت عنه ، وسترى كم سيصيبك من الغنائم والكنوز والخيرات بسبب صبرك على هذه المكارة ، ولو لم تظهر لك ثمارها وقت صبرك عليها بل ستنال أعظم مما كنت تطمع فيه وتأمل . كلامى هذا إذا لم يكن له أثر هذه الساعة ، فلسوف يؤثر بعد فترة حين تزيد حنكة عظيم الأثر . والمرأة وهذا العالم يستويان فنهما متساويان شئت أم أبيت ، ولن يتخلى أحدهما عن طبيعته ، بل ؛ فهما لا يؤثر فيهما كلام بل يزيدان به سوءاً

فتأبط مثلاً رغيفًا من الخبز وامنعه عن الناس وقل إنك لن تعطى أحدًا منه شيئًا ، ولن تظهره على أحد ولو كان الخبز ملقى به على الأبواب وتعافه الكلاب لكثرة الخبز ورخصه لكن إن توليت منعه عن الناس لرغبته وتعلقت به واسترضتك أو شنعت عليك لنيله لأنك تمنعه عنهم وتخفيه . رغبة الناس تفوق الحد فى خبز أخفيته عامًا وبالغت وأكدت فى منعه عنهم وعدم إظهاره لهم ؛ لأن الإنسان حريص على ما منع ، وكلما أمرت زوجتك بالتخفّى والاستتار زادت هى رغبة فى الظهور وزاد الناس إلحاحًا فى رؤيتها بسبب تخفيها ، وأنت بهذا تزيد الدافع والرغبة فى كلا الطرفين ، وتعتقد أنك بذلك تعمل ما فيه الصلاح وما تفعله هو عين الفساد إلا إذا كانت أصيلة الدخيلة وتأبى من ذاتها أن تفعل الشر فلسوف تمضى وفق طبعها الخيّر وأخلاقها القويمة سواء منعتها أو لم تمنعها فليطمئن قلبك ولا تنزعج . أما إذا كانت على النقيض من ذلك فلسوف تمضى على نفس ما بدخيلتها من الشر ، ولن يزيدها منعك لها إلا رغبة فيما تقصده .

هؤلاء الناس يقولون رأينا (شمس الدين التبريزى) رأيناه يا مولانا . يا أختاه أين رأيته ؟ إحداهن والتى لا ترى الجمل وهو فوق سطح دارها تقول رأيت ثقب الإبرة وأدخلت الخيط منه . قد أفكهونى بحكاياتهم هذه . ما يثير ضحكى ما يفعله شخصان : امرأة زنجية تصبغ أظافرها باللون الأسود ، ورجل أعمى أخرج رأسه من النافذة ليرى ، والناس كهذين . البواطن العمياء والدواخل الكمهاء تخرج رؤوسها من نوافذ أجسادها ، فماذا سوف تراه ؛ وما الذى سيأتى من

استحسانها أو نكرانها ؟ عند العاقل يستوى الاثنان ؛ لأن الاثنين كليهما لم يريا شيئًا ، وكلاهما يهزل . لا بد من البصيرة ثم النظر والتبصر بعد ذلك ؛ فإذا حصلت البصيرة تحقق للمبصر ما يمكن لأى مبصر بلوغه . فى العالم كثرة من الأولياء المبصرين والواصلين ، وفيه أولياء آخرون وراءهم يقال لهم (مستورو الحق) ، ويتضرع الأولياء الأولون إلى الله - سبحانه وتعالى - لكى يظهر لهم واحداً من أوليائه المستورين فلن يظهر لهم مالم يرغبوا حقًا فى ظهوره ؛ فرغم أن عيونهم مبصرة فإنهم عاجزون عن الرؤية . إن العاهرات الباغيات لا يستطيع أحد الوصول إليهن مالم يكن جديراً بهن ، وكذلك من بهم التبصر أنى لهم رؤية مستورى الحق بدون إرادة منهم ، وإدراك هذا الأمر ليس بالأمر السهل . عجز الملائكة رغم قولهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [سورة البقرة : الآية ٣٠] أى نحن عاشقون روحانيون ونور محض وهم آدميون مفسدون سافكون وكل هذا من أجل أن يقشعر جسد الإنسان وينتبه إلى ذاته ؛ فهؤلاء الملائك الروحانيون الذين ليس لهم مال أو جاه أو حجاب وهم نور محض غذاؤهم جمال الله والعشق المحض بعيدو النظر حادو البصر كانوا بين الإنكار والإقرار لكى يتيقَّظ الإنسان ويصحو فمن هو وما قدر علمه ولو أشع عليه نور وظهر به ذوق فليشكر الله كثيراً على أنه ما كان لائقًا بما ظهر له .

هذه المرة تتحدثون عن شمس الدين سوف تشعرون بسعادة غامرة ؛ لأن صارى سفينة وجود المرء هو اعتقاده ؛ فإذا وجد الصارى ساقته الريح إلى مكان عظيم ، وإذا لم يوجد ضاع الكلام هباءً . جميل ألا

يكون بين العاشق والمعشوق تكلف . فهذا التكلف لا يكون إلا مع الأغيار . حرام على العاشق كل شيء ماعدا العشق . كنت أفضي بهذا الحديث العظيم ، ولكنه كان في غير موضعه ، ولا بد من الاجتهاد في الحفر وشق الجداول للوصول إلى حوض القلب ، إلا أن القوم ملولون أو المتحدث ملول ويتذرع بالحجج وإلا فإن هذا المتحدث الذي لا يخرج القوم عن ملالتهم لا يساوي كثيراً لا يمكن القول لأحد أبداً إن العاشق دليل على جمال المعشوق ، ولا يمكن مطلقاً غرس دليل في قلب العاشق يدل على بعض المعشوق ، إذن فعلم أن الدليل هنا ليس مدار الأمر بل يتوجب وجود طالب العشق ، ولو بالغنا فما حازت هذه المبالغة في حق العاشق ، كما أننا نرى أن مريد المعنى بذل نفسه من أجل صورة الشيخ قائلاً :

(يا من نقشك أحلى من ألف معنى) ؛ لأن كل مريد يطلع على الشيخ ينتفض أولاً بسبب المعنى ويغدو بحاجة إلى الشيخ .

سأل بهاء الدين : إن المريد لا ينبعث من معناه من أجل صورة الشيخ بل ينبعث من معناه من أجل معنى الشيخ . قال : يجب ألا يكون الأمر كهذا ؛ لأنه لو كان هكذا لكان هناك شيخان ؛ فلا بد إذن من الاجتهاد في أن تحصل نوراً بداخلك حتى تنجو من نار هذه القلاقل وتأمن إن من حصل مثل هذا النور في طريقه وفحواه . إن أحوال العالم التي تتعلق بالحياة الدنيا مثل المنصب والإمارة والوزارة تشع في داخله مثل برق يومض على نفس الوتيرة ؛ فأحوال عالم الغيب من خشية الله

والشوق إلى عالم الأولياء يومض فى دخيلة أهل الدنيا وتمضى كبرق ، لكن أهل الحق تحركوا بكليتهم إلى الله ، وتوجهوا إلى الحق وانشغلوا به واستهلكوا فيه ، ورغبات الدنيا عندهم مثل شهوة العينين تلمع لكن لا تدوم وتمضى ، وأهل الدنيا على النقيض منهم أمام أحوال الآخرة .

فصل

قال شريف محترق :

ذاك المنعـم المقـدس المستغنى عن العـالم

هـو كل الـــروح وعـن الـروح مســتغنٍ

وكـــل شـــىء أحــــاط بـــه وهـمـــك

هـــو قـبـــلتـــه وعنـــــه مســـتغنٍ

هذا الشعر فاضح كثيراً وليس مدح الله أو مدح الشاعر ، أيها الرجيل كيف راق لك وجرى بذوقك أن الله عنك مستغنٍ ؟ هذا هو خطاب الأعداء وليس خطاب الأحباء ، لأن العدو هو الذى يقول أنا منك فارغ وعنك مستغن . فانظر إلى هذا المسلم العاشق المتحمس الذى يخاطب الله وهو فى حالة الذوق والمشاهدة لمعشوقه أنه عنه مستغن مثاله كمثل دلاك جلس فى الحمام ويقول إن السلطان مستغنٍ عنى أنا الدلاك وفرغ وفرغ من كل الدلاكين من أين لهذا الدلاك الحقير هذا الذوق وإن الملك استغنى عنه ؟! أجل هذا هو نفس كلام الدلاك حين يقول كنت فوق سقف الحمام فمر السلطان فألقيت عليه السلام فأمعن فىَّ النظر وتركنى ولا يزال ينظر فىَّ . هذا الكلام الذى يمنح ذاك الدلاك ذوقًا ومشاهدة خاصة

أن الملك استغنى عن الدلاكين . فكيف يكون هذا مدحًا للملك ؟ وأى ذوق يمنحه للدلاك كل شىء أحاط به ؟ وهمك أيها الحقير كيف سيمر بوهمك غير أن الرجال فى غنى عن وهمك وخيالك ولو حكيت لهم عن وهمك فسوف يملونك ويتهربون منك ؟ فأى وهم لا يستغنى عنه الله ؟!إن آية الاستغناء نزلت فى حق الكفار ، فحاشا أن تكون هى خطاب المؤمنين .اعلم أيها الحقير أنه لا استغناء ثابت إلا إذا حدثت لك حالة تساوى شيئًا فلا يستغنى عنك بقدر عزتك. كان شيخ الحى يقول إن الرؤية أولاً ومن بعدها الحوار والكلام كالسلطان يراه الجميع ولكن الخاص منهم هو من يتحدث معه . قال مولانا هو كلام معوج وفاضح ومعكوس ؛ لأن موسى عليه السلام خاطب الله – تعالى – وخاطبه ثم طلب رؤيته بعد ذاك ، وكان مقام الكلام لموسى ومقام الرؤية لمحمد – ﷺ – فكيف يستقيم هذا القول ، وكيف يكون ؟

قال أحدهم لمولانا شمس الدين التبريزى – قدس الله سره – قد أثبتُ بالدليل القاطع وجود الله . فقال فى اليوم التالى مولانا شمس الدين : نزلت الملائكة وهى تدعو لذاك الرجل قائلة : الحمد لله قد أثبت وجود ربنا مَدَّ الله فى عمره إنه لم يقصر فى حق العالمين . أيها الرجيل الله ثابت ولا ينبغى لإثباته دليل وإذا كان يمكنك فعل فثبت أنت نفسك لديه فى مرتبة ومقام وإلا فهو ثابت بدون دليل ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٤٤] . لا شك أن الفقهاء أذكياء ويرون فى فنهم رؤية دقيقة ، لكنهم أقاموا بينهم وبين الآخرة جدارًا بسبب نظامهم (يجوز ولا يجوز) فإذا لم يكن ذاك الجدار حجابًا لهم فلن يقرأ هذا

الفقه أو الجدار وسيتعطل أمره . ونظير هذا ما قاله مولانا الكبير - قدس الله سره - إنَّ الآخرة تشبه بحراً والدنيا تماثل الزبد ، وأراد الله - عز وجل - أن يعمر الزبد فأدبر قوم عن البحر من أجل تعمير الزبد ، فإذا لم ينشغلوا بعملهم هذا أفنى الناس بعضهم بعضاً فيلزم هذا الزبد بسبب هذا الخراب المتوقع ، أو كخيمة أقيمت للملك وانشغلت جماعة فى إقامة هذه الخيمة فيقول أحدهم إذا لم أفتل الحبال فكيف تسقيتم الخيمة . وقال آخر : إذا لم أصنع الأوتاد ؛ فبأى ستعقد الحبال ، ويعلم الجميع أنهم عبيد لذلك الملك الذى سيجلس بداخل الخيمة وسيتفرغ بمعشوقه ، إذن فلو ترك لطلب الوزارة النساج نسجه لعرى الناس فمنح ذوق فى قيامه بعمله حتى رضى به ، إذن خلق هؤلاء القوم من أجل نظام عالم الزبد ، وخلق العالم من أجل نظامهم ، لكن السعيد هو من خلق العالم من أجل نظامه وليس من خلق من أجل نظام العالم . إذن فكل واحد يمنحه الله تعالى الرضا والسعادة فى إتمام عمله فيظل يقوم بنفس عمله ولو عمر آلاف السنين ويزيد عشقه لعمله هذا كل يوم وتتولد له فى حرفته هذه دقائق فيسعد بها ويلتذ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٤٤] لصانع الحبال تسبيح ، وللنجار تسبيح آخر حين يصنع عمدان الخيمة ولصانع الأوتاد تسبيح آخر ، وللنساج الذى ينسج الخيمة تسبيح مختلف ، وللأولياء الذين يجلسون داخل الخيمة ويتفرجون ويسعدون ويلتذون تسبيح آخر .

هؤلاء الناس الذين يأتون إلينا أن صمتنا ملوا وغضبوا ، وإن قلنا ما يحب أن يليق بهم مللنا نحن ، فيذهبون ويشنعون علينا بأنه ملنا

ويهرب منا . كيف يهرب الوقود من القدر إلا القدر؟ فهى التى تهرب حين يضيق صبرها ، إذن فهروب الوقود والنار ليس هروبًا بل لأنه حين رأى نفسه ضعيفا فإنه يبتعد عن القدر . إذن ففى الحق أن القدر تهرب على كل حال . إذن فهروبنا هو هروبهم ونحن مرآة ، فإن ظهر فيهم هروب ظهر فينا فنحن نهرب من أجلهم والمرآة هى ما يرى الرائى فيها نفسه فإن رأونا للومين فتلك هى ملالتهم ؛ لأنَّ الملل صفة الضعف ، والضعف لا يطيق الملل ، وليس له هنا مجال .

حدث أننى كنت أتواضع فى الحمام كثيرًا للشيخ صلاح الدين فكان الشيخ يظهر فى المقابل لتواضعى تواضعًا كبيرًا ، فشكوت من ذاك فخطر ببالى أننى أتجاوز الحد فى احترامى وتواضعى ، والأولى أن يكون التواضع بالتدريج فى البداية تمسح على يده ثم على قدميه شيئًا فشيئًا بحيث تبلغ به ألا يظهر ويتبدى ، وكان هو قد تعود ذاك التواضع فلا يجب إزعاجه وجعله يعوض طاعتى طاعة منه إلىَّ بما أنك جعلته يألف ذام التواضع بالتدريج ، وينبغى أن نسلك مع العداوة نفس التدرج مع المحبة والتصرف خطوة خطوة فتبدأ أولاً بالتدرج فى نصح العدو ؛ فإذا لم يسمع تضربه فإذا لم يسمع طردته . يقول تعالى ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ [سورة النساء : الآية ٣٤] وأمور العالم تمضى بهذا النحو . ألا ترى الصلح والمحبة للربيع إن دفئًا يظهر فى البداية قليلاً قليلاً ثم يزيد الدفء وانظر أيضًا فى الشجر كيف تنمو

بالتدريج ، ثم تظهر البراعم ، ثم يحمل الأحمال من أوراقها وثمارها ؟ والمتدروشون والمتصوفون يأخذون كل شيء ثم يفقدون كل شيء لديهم.إذن كل من تعجل في أمور الدنيا والآخرة وبالغ في بداية الأمر ما تيسر له هذا الأمر . ونفس السيرة في رياضة النفس ومجاهدتها قد ذكروها، فإذا كان المريد في بدايته يأكل أرغفة كثيرة من الخبز فعليه أن يقلل كل يوم منها جزءًا بالتدرج فلا تمضي سنة أو اثنتان حتى يأكل نصف ما كان يأكله فيقلل بحيث لا يظهر على جسمه هذا التقليل وكذلك العبادة والخلوة والطاعة والصلاة ، فإذا لم يكن يؤدي الصلاة نهائيًا فإنه إن دخل طريق الحق قام بأداء الصلوات الخمس في البداية ثم يأخذ في زيادتها إلى ما لا نهاية .

فصل[1]

الأصل أن يحفظ ابن الجاويش حفظ الغيب فى حق الشيخ صلاح الدين حتى ربما ينفعه ويندفع منه هذه الظلمات والغشاوة . هذا ابن الجاويش ما يقول فى نفسه إن الخلق والناس تركوا بلادهم وأباءهم وأمهاتهم وأهلهم وقرابتهم وسافروا من الهند إلى السند وعملوا الزرابيل من الحديد حتى تقطعت ربما يلتقون رحلاً له رائحة من ذاك العالم ، وكم من أناس ما توافى هذه الحسرة وما فازوا وما التقوا بمثل هذا الرجل فأنت قد التقيت فى بيتك حاضراً مثل هذا الرجل وتتولى عنه ؟ ما هذا إلا بلاء عظيم وغفلة ، هو كان ينصحنى فى حق شيخ المشايخ صلاح الحق والدين خلد الله ملكه ، إنه رجل كبير عظيم وفى وجهه ظاهر . وأقل الأشياء من يوم أن جئت فى خدمة مولانا ما سمعته يوماً يسمى اسمكم إلا سيدنا ومولانا وربنا قط ما غيّر هذه العبادة يومًا من الأيام . أليس أن أغراضه الفاسدة حجبته عن هذا ؟ واليوم يقول عن الشيخ صلاح الدين إنه ما أساء فى حق الشيخ صلاح الدين من إساءة غير أنه يراه

(١) هذا الفصل نقل بنصّه العربى مع قليل من التصحيح للمترجم .

يقع فى الجب فيقول له لا تقع فى الجب لشفقته له على سائر الناس وهو يكره تلك الشفقة ؛ لأنك إذا فعلت شيئًا لا يرضى لصلاح الدين كنت فى قهره ؛ فإذا كنت فى قهره كيف تنجلى بل كلما رحت تغشى وتسوَّد من دخان جهنم فينصحك ويقول لك لا تسكن فى قهرى وانتقل من دار قهرى وغضبى إلى دار لطفى ورحمتى ؛ لأنك إذا فعلت شيئًا يرضينى دخلت فى دار محبتى ولطفى فمتى ينجلى فؤادك ويصير نوارنيًا . هو ينصحك لأجل عرضك وخيرك ، وأنت تأخذ تلك الشفقة والنصيحة من علة وغرض . ماذا يكون لمثل ذلك الرجل معك غرض أو عداوة ؟ أليس لأنك إذا حصل لك ذوق مامن خمر حرام أو حشيش أو من سماع أو من سبب من الأسباب فتلك الساعة ترضى على كل عدو وتعفو عنهم وتميل أن تلثم أرجلهم وأيديهم ؟! والكافر والمؤمن فى تلك الساعة فى نظرك شىء واحد ؛ فالشيخ صلاح الدين هو أصل هذا الذوق وأبحر الذوق عنده كيف يكون له مع أحد بغض وغرض ؟ معاذ الله ، وإنما يقول هذا من الشفقة والمرحمة فى حق العبيد وإلا كذلك ؛ فأى غرض يكون له مع هؤلاء الجرذان والضفادع ؟ من يكون له ذلك الملك وتلك العظمة ؛ فكيف يساوى هؤلاء المساكين ؟ أليس أن ماء الحياة قالوا إنها فى الظلمة ؟ والظلمة هى جسم الأولياء وماء الحياة فيهم ولا تقدر أن تلتقى بماء الحياة إلا فى الظلمة ، فإن كنت تكره هذه الظلمة وتنفر منها كيف يصل إليك ماء الحياة ؟ أليس أنك إذا طلبت أن تتعلم الخنوثة من المخنثين أو القحوبة

من القحاب ما تقدر أن تتعلم ذلك إلا بعد أن تتحمل ألف مكروه وضرب وما هو خلاف إرادتك حتى تفوز بما تريد ؟ كيف وأن ترد تحصيل حياة باقية سرمدية وهى مقام الأنبياء والأولياء ولا يجىء إليك مكروه ولا تترك بعض ما عندك كيف يصير هذا لك يحكم عليك الشيخ مثلما حكم به المشايخ الأولون من أنك تترك المرأة والأولاد والمال والمنصب ؛ إذ كانوا يحكمون عليه ويقولون اترك امرأتك حتى نأخذها ، وكانوا يتحملون ذلك وأنتم إذا نصحكم بشىء يصير لكم ما لا تتحملون (وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيركم). أى شىء يقوله هؤلاء الناس الذين قد غلب عليهم العمى والجهل ما يتأملون فى أن الشخص إذا عشق حبيبة أو امرأة كيف يتصنع ويتذلل ويهدى المال حتى يخدعها يبذل مجهوده لكى يحصل تطييب قلبها . ليلاً ونهارًا لا يمل من هذا ويمل من غير هذا ؛ فمحبة الشيخ ومحبة الله أتكون أقل من هذا وأدنى ؟ إن من سمع من الشيخ حكمًا أو نصيحة أو إرشادًا فيعرض ويترك الشيخ فعلم أنه ليس بعاشق ولا طالب ، ولو كان عاشقًا وطالبًا لتحمل أضعاف ما قلنا وكان على قلبه ألذ من العسل والسكر .

فصل

قال (مولانا) يجب الرحيل إلى توقات لأنها دافئة ، ومع أن أنطاكية دافئة لكن أغلب قاطنيها من الروم وهم لا يفهمون كلامنا مع أن بين الروم من يفهم . كنت يومًا أعظ جماعة وفيهم جماعة من الكافرين فكانوا يجهشون بالبكاء أثناء الوعظ ويغلبهم الذوق والوجد فسألنى أحدهم ماذا يفهمون ، وماذا يعرفون ؟ إن مثل هذا الكلام لا يفهمه من المسلمين الخواص غير واحد من الألف . ماذا فهموا حتى إنهم أخذوا فى البكاء ؟ قال لا يلزم أن يفهموا حرفية هذا الكلام ويكفيهم أن يفهموا أصله ، وفى النهاية هم معترفون بوحدانية الله وبأن الله هو الخالق والرازق ، وهذا هو صفة الله وذكره إذن ؛ فكلهم يحصل لهم الاضطراب والشوق والذوق إذا سمعوا هذا الحديث ؛ لأن رائحة معشوقهم ومطلوبهم تفوح منه . لو اختلفت الطرق لكن المقصود واحد . ألا ترى أن الطرق إلى الكعبة كثيرة فيسلك البعض طريقه من الروم وغيرهم من الشام وغيرهم من بلاد العجم وآخرون من الصين وغيرهم من البحر وآخرون من الهند واليمن ؟ فإذا نظرت فى الطرق تجد اختلافًا عظيمًا وتفاوتًا شديدًا ، لكن حين تنظر إلى المقصود فالكل متفق ومتوحد . والجميع من الداخل متفقون على الكعبة وبدواخلهم ارتباط وعشق ومحبة عظيمة

للكعبة فعندها لا يتسع المجال للخلاف وتعلقهم ذلك ليس هو الكفر ولا الإيمان أى أن ذاك التعلق لا يشوبه اختلاف الطرق الذى قلنا فإذا وصلوا الكعبة انتهى ذاك الجدال والحرب والخلاف الذى كانوا يبدونه أثناء الطريق ، فكان هذا يقول لذلك أنت على الباطل والكفر ويبدى ذلك لهذا نفس الرأى فإذا بلغوا الكعبة بات واضحًا لهم أن الجدال كان فى الطرق وإن مقصودهم هو شىء واحد كمثال الكأس لو نفخ فيها روح لصار عبدًا لصانع الكأس وتعشقه ، لكن الواقع أن هذه الكأس مصنوعة ؛ فبعض الناس يقولون يجب وضعها هكذا فوق المائدة وغيرهم يقولون لا بد من غسل باطنها ، وآخرون يقولون بل يجب غسلها من الخارج ، وآخرون يقولون بوجوب غسلها كلها ، ويقول غير أولئك جميعًا لا يجب غسلها ؛ فالاختلاف ناشب فى هذه الأمور لكن الجميع متفقون على أن للكأس خالقًا وصانعًا ، وأنها لم تخلق من غير شىء ، ولا يختلف على هذا الأمر اثنان . والأمر نفسه مع الناس هم محبون للحق تعالى بدواخلهم وبواطنهم ويطلبونه ويحتاجون إليه وينتظرون متوقعين كل شىء منه هو ، ولا يعتقدون بغيره قادرًا ومتصرفًا . وهذا المعنى ليس كفرًا وليس إيمانًا وليس له مسمى وهو فى الباطن ، لكنه حين يجرى من الباطن نحو قناة للسان ماء ذاك المعنى ويتجمد ويصير نقشًا وعبارة يحق عليه اسم الكفر أو الإيمان والشر أو الخير كالنباتات تنبت من الأرض ليس لها صورة فى البداية وحين تخرج إلى هذا العالم تبدو فى أول الأمر لطيفة رقيقة ويبيض لونها ، وكلما تقدمت خطوة فى هذا العالم وأقبلت إلى الحياة غلظت وتكثفت واكتسبت لونًا آخر . وحين يجالس

المؤمن الكافر ولا يقول أحدهما كلمة فهما نظيران متساويان ؛ لأنه لا مؤاخذة على الأفكار ، والباطن عالم حرّ ؛ لأن الأفكار لطيفة ولا يمكن الحكم عليها (نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) والحق تعالى هو الذى يخلق تلك الأفكار فيك وأنت عاجز عن دفعها عن نفسك ولو بالغت فى الجهاد والسعى . إذن يقال إن الله تعالى لا يحتاج إلى ذريعة وآلة . ألا ترى أنه حين يخلق فيك تلك التصورات والأفكار يخلقها بلا آلة أو واسطة أو قلم أو لون . تلك الأفكار ما هى إلا طيور هوائية وغزلان برية لا يحل لك بيعها شرعًا إلا بعد أن تأسرها وتحبسها فى أقفاص ؛ لأنها تخرج ما دامت بالباطن ؛ فهى بلا اسم وصفة ولا يمكن الحكم عليها لا بالكفر ولا بالإسلام . لا يقول قاض أبدًا إنك اعترفت فى داخلك بكذا أو بعت كذا أو تعال واحلف أنك لم تفكر هذا الفكر فى باطنك ، لا يقول هذا لأنه ليس لأحد حكم على الباطن . الأفكار طيور هوائية فإن دخلت فى العبارة فيمكن آنذاك الحكم عليها بالكفر أو الإسلام وبالشر أو الخير كما أن للأجسام عالمًا فإن للتصورات عالمًا وللتخيلات عالمًا وللتوهمات عالمًا ، والحق تعالى وراء كافة هذه العوالم لا هو بالداخل ولا بالخارج . فانظر فى تصريفات الحق أو فى هذه المتصورات التى يصورها بلا كيف أو حالة أو قلم أو آلة . لو شققت الصدور وطلبت هذا الخيال أو التصور وشرّحت اللحم فلن تجد بها تلك الأفكار ، لن تجدها فى الدم ولا فى العروق ولا بأعلى ولا بأسفل ولن تجدها فى أية جارحة ؛ فهى عديمة الجهة والكيف والشبه ، ولن تجدها أيضًا بالخارج ؛ إذن فبما أن تصريفاته فى هذه التصورات بهذا الحد من اللطف من عدم الصفة

فانظر إليه وهو خالق كل هذه التصورات كيف أنه بلا شبيه وصفة وكم هو لطيف . وبقدر كثافة الإجسام بالنسبة لمعانى الأشخاص فهذه المعانى اللطيفة التى بلا كيف وشبه كثيفة بالنسبة إلى لطف بارئ الأجسام والصور :

لو أجليت تلك الروح القدس من وراء الأحجبة

لاعتبرت عقول البشر وأرواحهم أبدانًا

إن الحق تعالى لا يسعه عالم هذه التصورات ولا أى عالم ؛ لأنه لو وسعه عالم التصورات للزم أن يحيط به المصور ، إذن فهو ليس خالق التصورات . إذن علم أنه أعلى من كل العوالم ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [سورة الفتح : الآية ٢٧] . يقول الجميع سندخل الكعبة ، والبعض يقول إن شاء الله سندخلها . وهؤلاء الذين يستثنون هم العاشقون ؛ لأن العاشق لايرى نفسه فوق الأمر ولا مختارًا بل يعد المعشوق هو المالك للأمور فيقول لو أراد المعشوق سوف نأتى الكعبة . والمسجد الحرام عند أهل الظاهر هو تلك الكعبة التى يذهب إليها الناس وعند العاشقين والخواص المسجد الحرام هو وصال الحق فيقولون لو أراد الحق فسوف نصله ونشرف بلقائه ، لكن قول المعشوق (إن شاء الله) فهو تفسير خاطئ كمثل حكاية الغريب التى لا بد من غريب مثله ليسمعها ويصدقها . ولله عباد معشوقون ومحبوبون ، والحق تعالى يطلبهم ويصنع لهم كل ما يجب للعشاق ويحققه من أجلهم بحيث إذا قال العاشق إن شاء الله سنصل الحق تعالى فيجيبه الحق

تعالى إن شاء الله . ولو أطلنا الشرح فى ذلك سوف يفقد الأولياء الواصلون أصل الموضوع ، فكيف يمكن شرح مثل هذه الأسرار والأحوال إلى الناس ؟! توقف القلم هنا وتحطم رأسه . إن مَنْ لا يرى الجمل وهو يعتلى المنارة أنَّى له أن يرى شعرة فى فمه ؟ ولنعد إلى حكايتنا الأولى ، إن العاشقين يقولون إن شاء الله ؛ أى يعلقون دخولهم بالمشيئة فإن أراد المعشوق دخلوا الكعبة ، هؤلاء هم الغرقى فى الحق لا يرون هناك غيره ويحرم عليهم التفكير فى غيره وأى محلّ للغير ؛ فإذا لم يفن الغير ونجح ذاته فلن يسع المعشوق ذاك المكان (ليس فى الدار غير الله ديار) . وقوله تعالى (صدق رسوله الرؤيا) ؛ فهذه الرؤيا هى رؤيا العاشقين والصادقين ويظهر تعبيرها فى الآخرة ، بل إن أحوال جملة العالم منام ، ويتبدى تفسيره فى الآخرة كما ترى فى المنام أنك تركب جوادك وتبلغ مرادك ؛ فأى نسبة بين الجواد والمراد أو حين ترى أنك أعطيت دراهم وتفسير ذاك أنك ستسمع كلاماً صحيحاً من عالم ، فكيف يشبه الدرهم بالكلام أو ترى أنك علقت بمشنقة ، فإنك تصبح رئيس جماعة وأى شبه بين المشنقة والرئاسة ، كذاك أحوال العالم فهى كما قلنا منام (الدنيا كحلم النائم) ينقلب تعبيرها فى الآخرة بحيث لا تشبهها ، ولن يعبرها غير المعبر الإلهى ؛ لأن كل شىء مكشوف عليه شأن البستانى حين يدخل بستانه ينظر فى الأشجار فيحكم بدون أن ترى ما فيها من ثمار أن هذا نخل وذاك تين وتلك رمان وهذا كمثرى وذاك تفاح ؛ لأنه تعلم هذا الفن فلا حاجة للقيامة للعشاق حتى يفهم التعبير والتأويل ويدرك مفهوم تلك الرؤيا ؛ فقد رأى فى السابق أى

مفهوم ونتيجة لها رؤية البستانى الذى يعلم مسبقًا ثمرة ذاك الغصن ما ستكون . كل أشياء العالم من المال والمرأة والكسوة تطلب لغيرها ولا تطلب لذاتها . ألا ترى أنك لو كان معك مائة ألف درهم وأنت جائع ولا تجد خبزًا فلن تستطيع أن تطعم أو تتغذى بهذه الدارهم ؟! والنساء هن للإنجاب وقضاء الشهوة والكسوة لدفع البرد ، وكذاك جميع الأشياء بالتسلسل حتى تصل إلى الحق جل جلاله الذى هو مطلوب لذاته ومحبوب من أجله هو لا شىء آخر . وبما أنه هو وراء الجميع وفوق الجميع وأشرف من الجميع وألطف من الجميع فكيف يطلب لمن هو أدنى منه ؟! إذن (إليه المنتهى) فإذا وصلوا إليه فقد وصلوا إلى المطلوب الكلى وليس وراءه شىء أو بعده مَمَرّ . ونفس الآدمى فى هذه هى محل شبهة وإشكال ولا يمكن قط إزالة الشبهة والإشكال عنها إلا إذا عشقت زال عنها الشبهة والإشكال (حبك للشىء يعمى ويصم) . لما لم يسجد إبليس لآدم وعصى ربه قائلاً ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [سورة الأعراف : الآية ١٢] فكيف يسجد العالى إلى الدانى ، فلعنه الله لهذا الإثم والمقابلة ومجادلة الله وطرد ، فقال ياربِّ أنت الذى قدرت كل ما حدث وكان الفتنة من إرادتك ثم لعنتنى وطردتنى . ولما طرد الله آدم من الجنة قال له يا آدم لما آخذتك وزجرتك بسبب ذنبك فلِمَ لم تجادلنى وكان لك حجة لم تقلها وهى أنه كل شىء منك ياربى وكل ما يجرى بالعالم هو بإرادتك ولا يقع ما لا تريد وهذه حجة صادقة مبينة حقة ؛ فلماذا لم تحتج بها ؟ قال ربِّ كنت أعلمها إلا أننى لم أترك الأدب فى حضرتك ، ولم يدعنى عشقك أن أحتج عليك .

قال : هذا الشرع مشرع ، مثاله ديوان الملك به أحكام الملك من الأمر والنهي والعقاب والعدل وإنصاف الخاصة والعامة ولا يمكن حصر أحكام الديوان الملكي وهي عظيمة قيمة ومفيدة كثيرًا ويقوم العالم بها . أما أحوال الدراويش والفقراء فهي مصاحبتهم الملك وفرق عظيم بين علم الأحكام وعلم الحاكم ومصاحبته . الأصحاب وأحوالهم كمدرسة بها الفقهاء يعطى كل فقيه نفقته بقدر استعداده يعطى أحدهم عشرة أنصبة وغيره عشرين وثالث ثلاثين ، ونحن بدورنا نقول لكل شخص بقدره وقدر استعداده كما قيل (كَلِّم الناس على قدر عقولهم) .

فصل

كل إنسان يشيد هذه العمارة بنية فيه إما لإظهار كرمه أو لأجل شهرته أو بهدف ثواب ، وقصد الحق تعالى هو رفع مرتبة أوليائه وتعظيم ترباتهم ومقابرهم ، وهم فى غنى عن تعظيم ذواتهم ؛ لأنهم معظمون فى أنفسهم والسراج لو وضع على مرتقع فإنما لأجل الآخرين وليس لأجله لأنه منير فى كل مكان علا أو سفل ، إلا أنه يريد أن يصل نوره الآخرين كهذه الشمس بكبد السماء ، ولو كان بأسفلها تبقى شمساً على حالها ، لكن العالم يحلك . إذن فكونها بأعلى السماء ليس من أجلها هى وإنما للآخرين . النتيجة هى أنهم منزهون عن العلو والدنو وتعظيم الناس وخالون من ذلك إذا ظهرت لك ذرة ذوق ولمحة من لطف العالم الآخر فإنك تنفر تلك اللحظة من العلو والدنو والرئاسة والسيادة حتى من نفسك التى هى أقرب إليك من كل شىء وتنسى كل ذلك ، فما بالك بهؤلاء الذين هم منجم ذاك النور والذوق ومعدنهما وأصلها . إنهم لا يتقيدون بالعالى والدانى ، ولا يفخرون إلا بالحق ، والحق مستغنٍ عن العالى والدانى . والعلو والدنو هما لنا نحن الذين لنا رؤوس وأرجل ، قال الرسول ﷺ (لا تفضلونى على يونس بن متى بأن كان عروجه فى بطن الحوت

وعروجى كان فى السماء إلى العرش) ؛ لأن الله تعالى ليس بالأعلى ولا بالأدنى وتجليه بالأعلى هو نفسه بالأدنى وبالعرش هو نفسه ببطن الحوت ؛ لأنه منزه عن العلو والدنو والجميع عنده واحد.كثير من الناس هم الذين يعملون أعمالاً مختلفة وليس غرضهم غير شيء واحد ، لكن مقصود الحق شيء آخر مختلف.أراد الحق جل جلاله أن يظهر دين محمد - ﷺ - على الدين كله ويبقى حتى أبد الدهر ، وانظر كم من التفسيرات وضعت للقرآن وبلغت عشرات المجلدات ولا يغرض أصحابها إلا إلى إظهار فضلهم ؛ فهذا الزمخشرى استعمل فى كشافه كثرة من دقائق النحو واللغة والعبارة الفصيحة لإظهار فضله حتى يتحقق المقصود وهو تعظيم الإسلام . إذن فيجميع الخلق تقوم بعمل الحق وتغفل عن غرض الحق ، ولهم غرض آخر يريد الحق أن تعمر الدنيا فينشغل الناس بشهواتهم واشتهاء النساء من أجل لذاتهم حتى لا ينقطع النسل كما يزعمون من أجل مصلحتهم ولذتهم فيبقى زرعهم سبب قوام العالم . إذن فهم فى الحقيقة يقومون بطاعة الحق إلا أنهم لا ينتوون نية مقصود الحق . كذاك يشيدون المساجد وينفقون عليها نفقات طائلة فى أبوابها وجدرانها وأسقفها إلا لأنها تحوى القبلة والقبلة هى المقصودة والمعظة برغم أنهم لم يقصدوا لها بالنفقات . وعظمة أولياء الله لا تكمن فى صورهم إى والله ، بل إن عظمتهم ورفعتهم قائمة فى أنها بلا كيف أو طور . هذا الدرهم هو أعلى النقود قيمة وعلوه من ناحية المعنى وليس

من ناحية الصورة ، فلو فرض أنك وضعت الدرهم على السقف والذهب بأسفل الدار ؛ فالذهب بالقطع هو الأعلى على كل حال والذهب يفوق الدرهم ، واللعل والدر يعلوان الذهب سواء كانا بالأعلى أو بالأسفل ، وكذلك النخالة بأعلى الغربال والدقيق هو الذى يهبطه للأسفل والعلو بالقطع للدقيق ولو كان انحدر للأسفل إذن فعلو الدقيق ليس ينبنى على الصورة . وفى عالم المعانى كل من كان داخله الجوهر فهو الأعلى على كل حال .

فصل

دخل إنسان فقال مولانا إنه محبوب ومتواضع بسبب جوهرة كغصن إذا كثرت ثمارة مال وإذا عدم الثمر ارتفع كالإسفندار ، وإذا كثرت الثمار عن حدها نصبت للغصن العمدان حتى لا يسقط بالكلية . وكان الرسول - ﷺ - عظيم التواضع لأن ثمار العالم جميعًا من أولها وأخرها تجمعت فيه فلا جرم أن كان أكثر الجميع تواضعًا وقيل(ما سبق رسول الله أحد بالسلام) ؛ لأن الرسول - ﷺ - كان يبادر بالسلام من غاية تواضعه ، ولو افترض أنه لم يسبق بالسلام لكان متواضعًا أيضًا ولكان سابقًا فى السلام ؛ لأنهم تعلموا السلام منه وسمعوه منه وكل مالدى الأولين والآخرين من تمسكه هو وهم ظله ولو سبق أحد ظله فى الدار فهو السابق فى الحقيقة ولو كان ظله هو السابق فى الصورة ؛ لأن الظل الأسبق منه هو فرع له وأخلاق الرسول - ﷺ - من التواضع وغيره ليست وليدة اليوم بل كانت فى ذاك الوقت التى كانت فيه فى ذرات آدم . كانت هذه الذرات فى أجزائه بعضها منيرًا والآخر نصف منير والثالث مظلم . وتبدو حينئذٍ ذرات الرسول - ﷺ - فى آدم أصفى وأنقى وأنور بنفس نورها وضوئها السابقين . ينظر البعض

إلى البداية وينظر غيرهم إلى النهاية فمن ينظر إلى الآخرة هم الأعزاء والكبار ، لأن نظرهم على العاقبة والآخرة ، ومن يلحظ البداية هم الخواص يقولون ما الحاجة إلى النظر إلى الآخرة . إن القمح إذا زرع فى البداية لن يثمر شعيراً فى النهاية وما غرس شعيراً فى الأول لن يثمر قمحًا فى العاقبة ، إذن فهم ناظرون إلى الأول . وجماعة ثالثة هم الأخص لا ينظرون إلى البداية ولا النهاية ولا يذكرون الأول والآخر هم غرقى فى الحق . وجماعة رابعة هم غارقون فى الدنيا ولا ينظرون إلى البداية أو النهاية من غاية غفلتهم وهم علف جهنم . إذن فعلمنا أن محمداً - ﷺ - كان هو الأصل (لولاك ما خلقت الأفلاك) . وكل شيء كائن من الشرف والتواضع والمقامات العليا هو من عطائه وظله لأنه ظهر منه .كذلك كل من سبق بالسلام فسبقه بسبب ظل العقل ؛ لأن العقل أظله بظله مع أنه ليس للعقل ظل ، لكن له ظل بلا ظل كما أن للمعنى وجوداً بدون وجود ، وإذا لم يكن الآدمى مستظلاً بظل العقل لتعطلت جميع جوارحه عن العمل ؛ فما بطشت يده ولا سارت قدماه ولا أبصرت عيناه ولا سمعت أذناه ؛ إذاً فبظل العقل تقوم الأعضاء بعملها على خير وجه وأليق . وفى الحقيقة فكل هذه الأعمال تتحقق بالعقل وما الجوارح إلا آلات . إن الرسول - ﷺ - إنسان عظيم وخليفة الوقت وهو كالعقل الكل وعقول الخلق كأعضائه وكل ما تفعله فبظله ، وإذا صدر عنهم عوج فالعوج آتٍ منهم هم ؛ لأن هذا العقل الكل قد رفع ظله عنهم

كإنسان به جِنَّة إذا بدأ أعماله الجنونية وصدرت عنه أعمال مشينة بات للجميع معلومًا أن عقله زايله والعقل لا يلقى بظله عليه ، وأنه ابتعد عن ظل العقل وإعانته . العقل من جنس الملائكة ؛ فمع أن للملك صورة وجناحين وريشًا وليس هذا للعقل لكنهما في الحقيقة شيء واحد ويفعلان فعلاً واحداً ولهما طبع واحد لا يجب النظر إليه بالصورة بما أنهما يفعلان فعلاً واحداً في الحقيقة فمثلاً لو أذبت صورة الملائكة لصاروا جميعًا عقلاً وما بقي الريش والأجنحة ، فتعلم إذن أنهم عقل لكنه مجسم . ويسمون بالعقل المجسم كما يشكلون من الشمع طائرًا له ريش وجناحان لكنه لا يخرج عن كونه شمعًا ألا ترى أنك لوى أذبته لتحول جناحاه وأعضاؤه إلى شمع وما بقي منه عضو ؟! فنعلم إذن أنه هو نفس ذاك الشمع والطائر المصاغ من الشمع هو نفس ذاك الشمع لكنه اتخذ شكلاً مجسمًا إلا أنه شمع . كذاك الثلج هو نفس هذا الماء ولهذا إن ذاب عاد إلى الماء لكن قبل أن يصبح الماء ثلجًا لم يكن أحد يمكنه الإمساك به بكفيه لكن لما تحول ثلجًا أمكن إمساكه ووضعه في حجر الثوب ولا يفرق بينهما إلا هذا الفرق ، لكن الثلج هو نفس هذا الماء وهما شيء واحد ، كذاك أحوال الآدمي فقد أتي بجناح ملاك وعقد بذيل حمار على أمل أن يصبح الحمار بنور الملاك وصحبته ملاكًا لأنه من الممكن أن يغدو ملاكًا :

كان لعيسى جناح من العقل فحلق فوق الفلك

ولو كان لحماره نصف جناح ما بقي في حماريته

وأى عجب فى أن يغدو الحمار آدميًا ؟ إن الله على كل شىء قدير هذا الطفل حين يولد يكون أسوأ من الحمار يمد يده إلى النجاسة ويضعها فى فيه ليلعقها فتضربه أمه وتمنعه من ذاك ، لكنْ فى الحمار نوع من التمييز ؛ فحين يبول يفتح ما بين قدميه حتى لا يتقطر عليه بوله . فكما أن الله تعالى جعل الطفل الذى هو أسوأ من الحمار آدميًا ؛ فهو قادر على أنه يجعل الحمار آدميًا ولا عجب فعند الله لا عجب من أى شىء يوم القيامة تنطق كل جوارح الإنسان كل منها على حدة ، اليد والرجل والجلد . ويتأول الفلاسفة هذا النطق بأن اليد حين تنطق فبواسطة علامة أو أثر عليها يظهر عليها تحل محل الكلام كجرح أو دمل يحدث لليد فيمكن القول إن اليد تنطق وتخبر بأنها أصيبت باحتراق حتى غدت بشكلها ذاك أو بجرح أو سواد فيقال آنذاك إن اليد تتكلم وتخبر بأن سكينًا طعنتها أو احتكت بآنية سوداء . وكلام اليد وبقية الجوارح على هذا النحو . ويقول السنة : حاشا وكلا بل إن هذه اليد والقدم تنطقان كلامًا محسوسًا كما ينطق اللسان وفى يوم القيامة ينكر الرجل أنه سرق فتنطق يده بلسان فصيح : بلى سرقت ومددتنى للسرقة فيتجه ذاك الرجل إلى جوارحه التى نطقت ويقول لها إنها لم تكن تنطق من قبل فكيف تنطق اليوم فتردُّ ﴿ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة فصلت : الآية ٢١] ، وينطق الله تعالى الأبواب والجدران والطوب والحجر فكذاك أنطقنا كما ينطق لسانك وما هو إلا قطعة من اللحم فأنا يدك ما أنا إلا قطعة من اللحم مثله والمعقول أن ما حدث منه كثير لا يبدو مستحيلاً ، ولو أن اللسان عند الحق ماهو إلا وسيلة فلما أمره بالكلام تكلم وينطق لكل أمر وحكم يحكم به تعالى .

إن الكلام يأتى على قدر الآدمى ، وكلامنا مثل الماء يجريه أمير الماء أو المتحكم فى الرى حسبما يرى ، أنَّى للماء أن يعرف أى وجهة أو سهل يسوقه أمير الماء أو إلى أى مزرعة قثاء أو كرنب أو بصل أم إلى بستان . ما أعلمه هو إن الماء إذا كثر وزاد فهناك أراضٍ عطشة كثيرة ، وإذا قل اعلم أنه الأرض التى تنتظره قليلة كحديقة صغيرة أو روضة ضيقة (يلقن الحكمة على لسان الواعظين بقدر المستمعين) أنا صانع أحذية لدى الجلد كثير لكنى لا أقطع منه وأحيك إلا بقدر القدم المحتذية :

أنا ظل شخصه وبقدره   وقامتى على قدر قامته

فى الأرض دويبة تعيش تحت طياتها وفى أكناف الظلام وليس لها عينان أو أذنان لأنها فى غنية عنهما فى مقامها ذاك فلماذا تُعطى البصر والسمع وهى لا تحتاج إليهما .ذلك ليس لأن أدوات السمع والبصر عند الله قليلة أو بسبب البخل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، إلا لأنه يعطى الشيء بقدر الحاجة إليه ؛ لأنه لو أعطاه بدون احتياج له كان عبئًا على المعطى واقتضت حكمة الحق ولطفه وكرمه أن ترفع العبء عمن لا يحتاجه . وللتمثيل إن أدوات النجار من القدوم والمنشار والمبرد وغيرها حين تعطيها للخياط تصبح عبئًا عليه ، لأنه لن يقوم بالخياطة مستخدماً إياها . إذن يعطى الله الشيء للحاجة إليه وحسب وكشأن الدود فى حشايا الأرض وتحيا فى الظلام ولا تؤثر غيره ترى خلقًا قانعين وراضين بظلمة هذا العالم ولا يحتاج إلى الآخرة ولا تشتاق إلى رؤية الله فبم تفيدهم عين البصيرة ، وإذن الفهم وأمور هذا العالم تتحقق بهذه

العين والأذن التى لهم ، وكيف يمنحون البصيرة وهم لا يعزمون بلوغ الآخرة وهى لا تفيدهم شيئًا :

حتى لا تظن أن السالكين غير موجودين

وأن الكاملين صفة وهم بدون صفة غير موجودين

فظنك منشؤه أنك لست محرم الأسرار

وتظن أن الآخرين مثلك غير موجودين

إذن فهذا العالم قائم بالغفلة ، وإذا لم تكن هذه الغفلة ما بقى هذا العالم . أما الشوق إلى الله والسكر والوجد فهو معمار ذاك العالم ؛ فلو ظهر كل ذاك العالم بالكلية لاتجهنا إليه وبقينا فيه ، لكن الحق تعالى يريد أن نبقى هنا بالدنيا لكى يقوم العالمان ؛ لهذا نصَّب ربِّى بيتين هما الغفلة واليقظة حتى يظل البيتان كلاهما معمورين .

فصل

قال إن تلطفك وسعيك وأنواع التربية التى تقوم بها جهرًا وخفية تستحق الشكر والتعظيم ، ومع ذلك ألتمس عذر التقصير ، وهذا ليس من باب الكبر فى الظاهر أو أننى أجهل حق المُنْعم الذى يستحقه فى القول والعمل ، ولكن علمت من عقيدتك الطاهرة أنك تفعل ذلك لك خالصًا وأنا أدع ذلك لله الذى يتقبل الأعذار ، ولو أننى أنشغل بذلك العُذر وأفعله بلسان الإكرام والمدح، فإن بعض ذلك يكون أجرًا يبتغى الحق منحك إياه ومكافأتك عليه ؛ لأن أنواع هذا التواضع وطلب العذر والمدح هو عمل من حظ الدنيا، ولما أن المعاناة فى الدنيا مثل بذل المال والجاه ، والذى يجازى عليه الله سبحانه ؛ لهذا السبب لا أطلب العذر فإن ابتغاء الدنيا فى طلب العُذر؛ لأنه لا يؤكل مال وهو مطلوب لغيره ، كما أنه يُشترى الجواد والجارية والغلام بالأموال ، وتُطلب المناصب حتى يمدح الأشخاص ويثنى عليهم، إذن أن الدنيا هى التى فيها إن يقال إن هذا عظيم ومحترم ويثنون عليه ويمدحونه .

وكان الشيخ النساج البخارى رجلاً عظيمًا وصوفيًا ، وكان يأتى إليه العلماء والعظماء ، وكانوا يركعون أمامه أثناء زيارتهم له، وكان الشيخ أميًا ، وكانوا يريدون أن يستمعوا منه تفسير القرآن والأحاديث

حتى يقول لهم معناها، فكانوا يترجمون الآيات ويبدأ هو فى تفسير ذلك وتحليله، وكان يقول : إن الرسول ﷺ قال هذه الآية فى المقام كذا ، وأن أحوال ذلك المقام هو كذا ، وكان يبّين ذلك المقام وطرقه وعروجه .

وذات يوم كان يمدح علوى القاضى الشهير على عمله فقال : (إنه لا يوجد مثل هذا القاضى فى العالم ، وأنه لا يرتشى ، وأنه يعدل بين الناس دون محاباة ودون ميل إلى طرف دون الآخر). وقال إن هذا الذى تقوله من أنه لا يرتشى أمر كذب ؛ فأنت رجل علوى من ذرية الرسول ﷺ وتمدحه وتثنى عليه (بأنه لا يرتشى) فأية رشوة أفضل من هذا الذى تحكيه عنه . وكان يقول شيخ الإسلام الترمذى : (إن للسيد برهان الدين - قدس الله سره - كلمات فى التحقيق طيبة، من ذلك ما تذكره كتب المشايخ ومقالاتهم وأسرارهم، فقال أحد الأفراد أنت تخبرنا ولا تسوق حديثًا عنه، قال إن له ألمًا ومجاهدة وعلمًا قال فلماذا لا تخبرنا بذلك ولا تحكى لنا من ذلك العلم (أصله) فنقوله نحن بدورنا، فتحدث أنت عن ذلك ، فليس هم تلك الدنيا واحداً بالنسبة لجميع الأفراد ؛ فالبعض جاء إلى الدنيا لأكل الطعام والبعض الآخر يريد مشاهدة هذا الطعام فيتعلمون هذا الحديث ، وهذا الحديث مثل العروس والجارية التى يشترونها بالمال لكى يبيعونها ؛ فأى مهر يدفعه كتلك الجارية وأى اهتمام يبديه نحوها ، ولما أن لذة تلك التاجر فى البيع فإنه عنين [١] :

(١) العنين : هو الرجل الذى لا يستطيع أن يجامع المرأة . (المترجم)

إذ إنه يشترى الجارية لكى يبيعها وليس لهذا الرجل رجولة ؛ إذ إنه يشترى الجارية لا يحتفظ بها .

والمخنث مَنْ وقع فى يده سيف هندى خاص وأخذه لكى يبيعه أو كأن يقع فى يده قوس بهلوانى ويريد بيعه ، ولما أن هذا الشخص ليس له ساعد لكى يشدَّ وتر هذا القوس فهو ليس له استعداد للوتر ، وهو إذن عاشق للمال .

ومثلما يبيعه ، يشترى المخنث أيضًا بقيمة ذلك الزينة من أصباغ ووسم . فأى شىء سينفعك (والعجيب عندما يبيعه فأى شىء أفضل من ذلك يريده) وقد أدركت أنه مهما فهمت فقد ابتعدت عن الفهم الصحيح .

وفهم هذا الأمر بدون إدراك هو نفسه بلاء ومصيبة ويجب التحرر من ذلك الفهم حتى تصبح شيئًا .

فأنت تقول إننى ملأت القربة من البحر ، وإن قربتى تتسع للبحر وهذا محال . الخلاصة لو أنك تقول إن قربتى قد ضاعت فى البحر فهذا أفضل، والأصل أن العقل طيب جداً ومرغوب ، وهو الذى يأتى بك على باب الملك ؛ فإذا وصلت بابه تحرر من العقل فإن هذا الوقت للعقل خسارة، فإذا وصلت له سلم نفسك له ، فليس هناك جدال أو نقاش ، فمثلاً أنت تريد لباسًا جيداً لكى تحيك منه عباءة أو جبة ؛ فالعقل يصطحبك إلى الخيَّاط وحتى هذا الوقت هذا يُحمد للفعل أن يأتى بك إلى الخيَّاط ، ويجب التخلص من هذا العقل بعد ذلك ، وأن تترك نفسك إلى الخيَّاط، وذلك مثل المريض الذى يأتى به العقل إلى الطبيب فإذا ما

وصلك، لا يهتم بالفعل ويسلم نفسه إلى الطبيب تمامًا فيستمع إلى تضرعاتك الأصحاب ، وذلك الشخص الذى يمتلك الشىء الجوهر كامن فيه، وفى النهاية بين قطيع الجمال جمل ثمل وهذا واضح من عينيه وسلوكه وحركاته ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [سورة الفتح : الآية ٢٩] . وبقدر ما يتغذى جذر الشجرة يظهر فوقها الأغصان والأوراق والثمار. وتلك التى لا تتغذى تذبل وتموت وهذه الجلبة العالية التى يثيرونها أساسها يُفهم من طبيعة الحديث ومن خلال الإشارات مثل شخص وسيط قرأ كتبًا عديدة .

مثل كلمة سمعها وقرأ شرحها فأدرك من مسألة واحدة الأصول والمسائل الأخرى وهو يقدم بالتنبيهات على ذلك الحديث ، أى أننى أفهم ما وراء هذه الأشياء وأراها ، وهذا الذى تحملت الآلام فى سبيله وأوصلت الليل بالنهار فيه ، وجدت الكنوز فى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [سورة الشرح : الآية ١] .

وشرح القلوب لا نهاية له، فإذا قرأ الشخص ذلك الشرح فهم من الرموز الكثير، وذلك الشخص المبتدئ الذى يفهم فقط اللفظ لفظًا دون سواه، فإنه يعلم من الحديث بقدر ما يستمع إليه (ولما أنه لم يجشم نفسه معاناة فإنه لن يستخرج الحكمة ؛ لأن من يعانى ويجعل الحكمة غذاءه، فإنه يغوص فيها، فإذا قال عجبًا فذلك لأنه لم يفهم الحديث ؟) . والإجابة عن هذا .. عجبًا ولماذا لم تجشم نفسك المعاناة ؟ ! فذلك الشخص الذى لم يمنحك قوة الاستماع لم يمنح حديث الداعية .

وفى عصر المصطفى- ﷺ - كان لكافر غلام مسلم وصاحب جوهر ووقت السحر قال سيده له : هات طشوت الحمام لكى تذهب إليه، فأخذ الغلام يصلى فى مسجد فى طريق المصطفى - ﷺ - مع الصحابة (رضوان الله عليهم) ، قال الغلام أيها السيد خذ هذا الطشت لحظة حتى أصلى ركعتين وبعد ذلك أقوم على خدمتك ، وعندما ذهب إلى المسجد وانتهت الصلاة خرج الرسول والصحابة وبقى الغلام وحده فى المسجد وكان السيد ينتظر الخادم على أحر من الجمر وراح ينادى اخرج أيها الغلام، قال الخادم لا يمكننى الخروج طالما أن الأمر تجاوز الحد، فتوجه السيد إلى المسجد مباشرة حتى يرى ما الموضوع فلم ير سوى حذاء وشخص واحد ولم يتحرك الشخص وفى النهاية قال : من الذى يمنعك من الخروج ، قال ذلك الشخص الذى لا يسمح لك بأن تدخل هو نفس الشخص الذى لا تراه والإنسان عاشق دائمًا للشىء الذى لم يره ولم يسمعه ولم يفهمه ، وبينما هو يطلبه ليل نهار وأنا عبد لذلك الذى أراه بينما أملُ وأهرب من الشىء الذى لا أفهمه وأراه، ومن هنا فإن الفلاسفة منكرون للرؤية ؛ لأنهم يقولون إذا رأيت شيئًا ممكنًا فإنك تزهد فيه وتمله .

ويقول أهل السنة إن الحق قد يبدو فى لون واحد وهو فى الحقيقة يبدو فى كل لحظة مائة لون ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن : الآية ٢٩] ولو تجلى مائة ألف مرة فإنه لا يبقى فى صورة واحدة ، وفى النهاية ترى فى هذا الوقت الحق فى كل لحظة مختلفًا فى كل آثاره وأفعاله . ولا يبقى فعله فى فعل واحد، ففى السعادة يكون التجلى

مختلفًا وفي وقت البكاء يكون التجلى مختلفًا ، ووقت الخوف يكون كذلك التجلى مختلفًا ، ووقت الرجاء يكون التجلى مختلفًا ، ولما أن أفعال الحق وتجلى أفعاله وآثاره مختلفة ولا تأتى على وتيرة واحدة، فإن تجلى ذاته يكون مثل أفعاله ، فقسها على هذا النحو وأنت جزء من قدرة الحق ، وأنك تتشكل في اللحظة الواحدة ألف مرة. ولست على قرار واحد، وبعض العباد يذهب للحق من القرآن والبعض الآخر من الخاصة يأتى من الحق ويجدون في القرآن الحق ويعلمون أنه هو الذى أرسله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : الآية ٩] .

ويقول المفسرون إن في الحق قرآنًا وأنه خير ، ولكننا وضعنا فيك جوهرًا أو طلبًا وتشوقًا ، وأننا حافظون لذلك ، وأننا لا نضيعه فتحط جملة البلاءات على رأسك، جاء رجل إلى الرسول ﷺ وقال : (إنى أحبك ، قال تعقل ماذا تقول وكررها ثانية إنى أحبك قال تعقل ماذا تقول ، قال إنى أحبك قال الآن اثبت فسوف أقتلك بيدك واحسرتاه عليك) ، قال رجل فى عصر المصطفى ﷺ : لا أريد هذا الدين .. والله لا أريد هذا الدين لأننى قد جئت فى دينك ولم أسترح يومًا فقد ذهب مالى وزوجتى ولم يبق لى ولد، وخارت قوتى ولم تبق لى شهوة، قال حاشا لله، إن ديننا حيثما ذهب لا يعود ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [سورة الواقعة : الآية ٧٩] مثل المعشوق (طالما بقيت فيك شعره من حبك له فإنه لا يظهر لك حتى لا تحظى بوصله) ولا يسمح لك بذلك، فتضيق تمامًا من نفسك والعالم ، وتتخذ من نفسك عدوًا حتى يصلك الحبيب، والآن فإن ديننا يستقر فى ذلك القلب المتصل بالله ولا يجب أن ينفصل عنه أو يفرط فيه ، وقد قال

الرسول - ﷺ - فى ذلك أنك لن تستريح وستحزن ؛ إذ إن الحزن استفراغ من تلك السعادات، أولاً وطالما أنه تبقى فى معدتك شىء من ذلك لا يقدمون لك شيئًا حتى تأكله، ووقت الاستفراغ فإن الشخص لا يأكل شيئًا حتى تخلو معدته عن طريق الاستفراغ للطعام الذى أكله ، فاصبر ولا تبالى فإن الحزن استفراغ وهو يحدث بعد الاستفراغ من السعادة فلا يكون هناك حزن من وراء ذلك، فإن الوردة التى ليس لها شوك لا تصلح للخمر .

وأخيراً فإنك تطلب فى الدنيا ليل نهار الفراغ والراحة ، وأن الحصول على ذلك ليس ممكنًا ، ومع هذا فإنك لا تمكث لحظة واحدة دون طلب ؛ إذ إن الراحة التى تجدها فى هذه الدنيا مثل برق يومض سريعًا ولا يستقر، وذلك البرق زاخر بالمطر والبَرَد والمحن، وعلى سبيل المثال عزم شخص التوجه إلى (إنطاكية) ، لكنه يذهب إلى (قيصرية) ويأمل أن يصل إلى إنطاكية ولا يمل السعى مع أنه ليس من الممكن أن يصل إلى إنطاكية من خلال هذا الطريق إلا أنه يذهب عن طريق إنطاكية على الرغم من أنه أعرج وضعيف أنطاكية لكنه يصل أيضًا طالما أن نهاية الطريق هذا، وطالما أن أمر الدنيا لا يتيسر دون معاناة فكذلك أيضاً أمر الآخرة لا يُدرك دون معاناة، فاهتم بالآخرة حتى لا تضيع منك، فأنت تقول يا محمد ﷺ خذ دينى فأنا لا أستريح بينما لا يحرر ديننا أحد من القيود طالما لم يصل إلى مقصوده وهدفه .

يُقال إن معلمًا فقيراً قد ارتدى دراعة فريدة من الكتّان فى فصل الشتاء فبدا مثل دُب جرفه السيل فى المناطق الجبلية وأخفى رأسه فى الماء فرأى الأطفال ظهره فقالوا للأستاذ : أيها الأستاذ إن فراءك الجلدى

قد سقط فى الماء وسيتسبب فى البرودة لك فأمسكه فبحث الأستاذ عن سبب البرودة حتى يمسك بالفراء، واصطدم دب حاد المخالب بالأستاذ ، فأصبح الأستاذ أسير الدب فى الماء، فصاح الأطفال قائلين: أيها الأستاذ تمسك بالفراء وإن لم تستطع اتركه وتعال أنت، قال الأستاذ أنا أترك الفراء .

ولكن الفراء لن يتركنى ، فماذا أفعل ؟ ومتى يتركك الاشتياق للحق وهنا موضع الشكر، وليس الأمر بأيدينا ولكن بيد الحق،مثل الطفل لا يرضع فى الصغر سوى لبن الأم، ولم يتركه الحق تعالى قط، وكم أتى به إلى تناول الطعام واللهو وأتى به من عالم الرحم إلى مقام العقل، وهكذا فإن الحق لم يترك هذا الطفل إلى ذلك العالم أو إلى ثدى الأم وهو ينبهك أن هذا كان طفلاً ولم يكن شيئًا (فعجبت من قوم يجرون إلى الجنة بالسلاسل والأغلال خذوه فغلوه ثم النعيم صلوه ثم الوصال صلوه ثم الجمال صلوه ثم الكمال صلوه) ومثل ذلك الصيادين لا يجذبون السمكة دفعة واحدة، فإذا أمسكت السنارة فى الحلقوم تترك حتى يسيل دمها وتضعف ويتركونها ثانية ويجذبونها حتى تضعف ثانية وهكذا تفعل سنارة العشق فى آمال الإنسان ؛ إذ إن الحق تعالى يشده بالتدريج حتى تضعف قواه وتسيل دماء الباطل وتخور تلك القوى فيه شيئًا فشيئًا .

﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٤٥] ، وهذا هو إيمان العامة، أما إيمان الخاصة فهو، لا إله إلا هو، وذلك كأن يرى شخص فى المنام أنه أصبح ملكًا وجلس على العرش وقد اصطفى حول العلماء والحراس والأمراء وهو يقول لنفسه أنا الملك ولا يوجد ملك غيرى ويقول هذا فى المنام فإذا استيقظ ولم ير أحداً فى البيت سوى نفسه،

فإنه يقول حينئذ لا يوجد غيرى ، والآن فإن العين المستيقظة ترى هذا بينما لا يمكن أن ترى العين النائمة هذا ، وهذا الأمر ليس من وظيفتها .

وتخطِّئ كل طائفة الطائفة الأخرى فيقولون نحن الحق ولنا الوحى وأن هؤلاء على باطل، ويقول أولئك نفس الكلام ، وهكذا تتبادل الاتهام اثنتان وسبعون ملة، ثم يتفق الجميع فيقولون ليس للجميع وحى .

ويتفق الجميع على عدمية الوحى، ومن جملة ذلك يتفق الجميع على طريق واحد، والآن يجب أن يكون المؤمن كيّساً ومميزاً ، وليعلم أن المؤمن كيِّس مميز فطِن عاقل ، وأن الإيمان هو التمييز والإدراك .

إن هؤلاء الذين لا يعرفون كثيرون ، وأن أولئك الذين يعلمون قليلون ، ولو شغلنا بهذا فإننا سوف نصبح متميزين بين أولئك الذين يجهلون ولا يملكون الجوهر وبين أولئك الذين يملكون، قال إن هؤلاء الذين يجهلون على الرغم من أنهم كثيرون .. ولكن إذا علمت القليل فقد علمت كل شىء ، مثلما إذا علمت حفنة القمح فقد علمت مخازن العالم، ولو تذوقت قطعة سكر فقد تذوقت مائة لون من الحلوى فمعرفة السكر هنا فى السكر، فإذا علم شخص ما السكر فقد أكل نوعاً من السكر، وإذا جهل السكر فربما لأن لهذا السكر نوعين .

ولو تكرر هذا الحديث لكم فإنكم لم تفهموا الدرس الأول، إذن يجب تكرار هذا الحديث كل يوم ، وقد كان هناك معلم ولديه طفل وظل يتعلم على يده ثلاثة أشهر ، لكنه لم يتعلم شيئاً ، وسرعان ما أن جاء والد الطفل وقال : إننا لم نقصر فى حقك ولو حدث أى تقصير فعلينا أن نتجاوز هذا التقصير، قال المعلم لا لم يحدث منكم أى تقصير . ولكن

الطفل قد تعثر فاستدعاه وقال قل شيئًا فصمت قال الأب إنه لا يعرف شيئًا، قال المعلم أنت ترى أنه لم يتجاوز هذه المرحلة ولم يتعلم شيئًا، بينما أنا أعلمه علمًا جديدًا، قال الحمد لله رب العالمين، قلنا لا يوجد من ذلك وقد قلت النعمة والخبز، والخبز والنعمة لا نهاية لهما ، ولكن لا توجد شهية وقد شبع الضيوف، ويقال الحمد لله على هذا الخبز والنعمة ولم يبق شيء من نعم الدنيا لأن نعم الدنيا بلا شهية ، لأنك لو أردت أن تأكل شيئًا بالقوة مثل ذلك لأن الجماد لا يمتلك الروح التي تمنعه من عمل ذلك .

وهذا يخالف النعمة الإلهية وهي حكمة الله سبحانه بالنسبة للإنسان، فمن نعم الله على الكائن الحي أنه يشتهي ويحب ويرغب في الشيء، فيصبح هذا الشيء غذاءك ، فإذا لم تشته الشيء وتميل إليه، لا يمكن أكله بالقوة ومن ثم تزهده .

حكايات الكرامات : قال إنه يذهب في يوم واحد أو لحظة واحدة إلى الكعبة ، وهذا ليس أمرًا عجيبًا بالنسبة للريح السموم - والكرامات أن تأتي بك من الحال الدنيا إلى الحال العليا، وقد سافرت من هذا المكان إلى ذاك ومن الجهل إلى العقل ومن الجماد إلى الحياة (رحلة الإنسان) وقد كنت أول الأمر ترابًا كنت جمادًا فجيء بك إلى عالم النبات وسافرت من عالم النبات إلى عالم العلقة والمضغة ومن العلقة والمضغة إلى عالم الحيوان ثم سافرت من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان، وهذه هي الكرامات .

وقد قرّب عليك الحق تعالى مثل هذا السفر، ولم تكن تدري أنك ستقطع كل هذا المنازل والطرق التي مررت بها .

ولم تكن تدرى من أى طريق جئت أو كيف جئت ؟ وجىء بك وسوف تُنقل بعد ذلك إلى مائة عالم آخر مختلف فلا تنكر ذلك. ولو أُخبرت بذلك فاقبله .

وقد جىء إلى عمر -ﷺ- بإناء مملوء بالسُّم فى هدية فقال لِمَ هذه الهدية ؟ قالوا هذه للشخص الذى لا يُرى مصلحة فى قتله جهرًا بل يجب قتله خفية ولو كان عدوًا فلا يجب قتله بالسيف بل يجب قتله خفية ، فقال اعطونى السُّم الذى أحضرتموه لى حتى أتجرعه ؛ إذ إن فىَّ عداوة ولا يمكن أن يطولنى السيف البتَّار، ولا يوجد فى العالم شخص أعدى لى منه، قالوا ليست هناك حاجة لكل هذا، فتجرع مرة واحدة وذرة من هذا تكفى وهذا كافٍ لمائة ألف شخص .فقالوا إن ذلك ليس عدوًا لشخص واحد بل إنه عدو لألف ميت، وقد قضى على مائة ألف شخص وأخذ ذلك الإناء واحتساه مرة واحدة فأسلمت تلك الجماعة كلها التى كانت موجودة هناك ، وقالوا إن دينك هو الدين الحق، فقال عمر لقد أسلمتم جميعًا ومازال هذا الكافر لم يسلم .

والآن فإن هدف عمر -ﷺ- لم يكن ذلك الإيمان، إيمان العامة بل كان إيمان الصديقين ، وكان هدفه هو إيمان الأنبياء والخاصة وعين اليقين وكان يتوقع ذلك وينتظره .

وكما أن زئير الأسد(١) قد شاع فى أنحاء العالم وأن الناس قد توجهوا من أقصى البلاد إلى تلك العربية ، وقد تجشموا مشقة سير عام

(١) الأسد فى الأدب العرفانى والصوفى رمز الله جل شأنه . (المترجم)

كامل لرؤية ذلك الأسد، وقطعوا المنازل ، وعندما وصلوا إلى تلك العربية ورأوا الأسد من بعيد، توقفوا ولم يستطيعوا أن يتقدموا أكثر من ذلك، قالوا فى النهاية قطعتم كل هذه المسافة ، وذلك من أجل عشق هذا الأسد ومن خصال هذا الأسد أنه كل من يتقدم منه يصبح شجاعًا وإن ذلك الأسد لا يؤذى أحدًا، بينما لو أن أحدًا فزع وخاف فإن الأسد يغضب منه ويقصد البعض قائلاً : ماذا تظنون بى لقد تجشمت سير عام كامل والآن اقتربت من الأسد فلِمَ هذا التوقف ؟

فتقدم خطوة أكثر فلا مجال للخوف هنا، لو تقدمت خطوة واحدة، وقالوا لقد قطعنا كل تلك الخطوات ، وكانت كلها سهلة ولا نستطيع أن تخطوا تلك الخطوة، والآن فإن هدف عمر -رضي الله عنه- من ذلك الإيمان هو تلك الخطوة التى يخطوها الإنسان فى حضور الأسد، وأن تلك الخطوة عظيمة ونادرة وهى ميسورة فقط على الخاصة والمقربين ، وأن ذلك الإيمان هو إيمان الأنبياء والرسل الذين يضحون بأرواحهم والحبيب يهوى الحبيب ويعشقه ؛ لأنه متأثر بالتفكير فى الحبيب، وأنه يستمد الحياة منه فلا عجب أن يستمد المجنون[1] القوة من التفكير فى ليلى ويعيش بها ، وأن هذه القوة وهذا التأثير بالنسبة للعاشق بسبب التفكير فى المعشوق وهو تفكير غير حقيقى ومنه يستمد الحبيب القوة .

وأى عجب لك للحبيب الحقيقى الذى يمنح قوته، وأى موضع للخيال فى حضوره وغيبته وذلك هو روح الحقائق[2]، ولا تظنوا أن العالم قائم

(١) عاشق ليلى (المترجم) .
(٢) الله جل شأنه (المترجم) .

على الخيال وأنت تعتبر هذا العالم حقيقيًا لأنه يبدو محسوسًا، وتلك المعانى التى تظنها جزءًا من العالم هى أمر على عكس ما يبدو لنا، ورؤيتنا لهذا العالم أنه يتصف بمئات المعانى فقد يصبح عدمًا وخرابًا ثم يعود عالمًا جديدًا .

وهذا العالم لا يقْدمُ ومنزّه عن الجدة والقدم وإنْ اتصفت فروعه بالقدم والجدة و(الله) محدث لهذه الفروع، والله منزه عن القدم والجدة، ولو أن مهندسًا خطط بيتًا وظن أن عرضه كذا وطوله كذا (ويتصف بكذا) فلا تظنوا أن فناءه سيكون كذا ؛ لأن تلك الحقيقة تفوق الخيال وفرع هذا الخيال، أجل لو أن شخصًا ليس مهندسًا ويتخيل مثل تلك الصورة للبيت، فسوف يقال عن ذلك إنه خيال ، وسوف يقول الناس عن مثل هذا الشخص الذى ليس بنّاءً وليس لديه علم : إنك ذو خيال .

فصل

قال الجرّاح المسيحى، شرب عندى طائفة من أصحاب الشيخ صدر الدين وقالوا لى : لو كان عيسى هو الله كما تزعمون ونحن نعرف أن ذاك حق ، ونكتم وننكر من أجل المحافظة على الملة .

قال مولانا -ﷺ-كذب عدو الله وحاشا لله هذا كلام من سكر من نبيذ الشيطان الضال الذليل المذل المطرود من جانب الحق ، وكيف يجوز أن يكون شخص ضعيف يهرب من مكر اليهود من بقعة إلى بقعة وصورته أقل من الذراعين حافظًا السموات السبع تخانة كل سماء خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام ، تخانة كل أرض خمسمائة عام ، وبين كل أرض وأرض خمسمائة عام ، وتحت العرش بحر عمقه هكذا ولله ملك ذاك البحر إلى كعبه وأضعاف هذا، كيف يعترف عقلك أن يكون مصرفها ومدبرها أضعف الصور ثم قبل عيسى من كان خالق السموات والأرض سبحانه عما يقول الظالمون قال المسيحى :(ذهب التراب إلى التراب والطهر إلى الطهر). قال إذا كان روح عيسى هو الله فأين راح روحه ؟! وإنما يروح الروح إلى أصله وخالقه ، وإذا كان الأصل هو والخالق أين يروح ؟!

قال المسيحى نحن وجدناه هكذا فاتخذناه ملة ، قلت أنت إذا وجدت وورثت من تركة أبيك ذهبًا وقلبًا أسود فاسدًا ما تبدله بذهب صحيح المعيار صافيًا عن الغل والغش بل تأخذ القلب وتقول وجدنا هذا أو بقيت من أبيك يد شلاء ووجدت دواءً وطبيبًا يصلح يدك الأشل ما تقبل وتقول وجدت يدى هكذا أشل فلا أرغب إلى تبديله أو وجدت ماء مالحًا فى ضيعة مات فيها أبوك وتربيت فيها ثم هديت إلى ضيعه أخرى ماؤها عذب ونباتها حلو وأهلها أصحاء ما ترغب إلى النقل إليها والشرب من الماء العذب يذهب عنك الأمراض والعلل بل تقول إنا وجدنا تلك الضيعة وماءها المالح المورث للعلل فتمسك بما وجدنا ، حاشا لا يفعل هذا ولا يقول هذا من كان عاملاً أو ذا حسٍ صحيح : إن الله تعالى أعطاك عقلاً على حدة غير عقل أبيك ونظرًا على حدة غير نظر أبيك وتمييزًا على حدة فلمَ تعطل نظرك وعقلك وتتبع عقلاً يرديك ولا يهديك ؟ يوراش كان أبوه إسكافيًا فلما وصل إلى حضرة السلطان وعلّم آداب الملوك والسلاح دراية وإعطاء على المناصب قط ما قال أنّا وجدنا آبانا إسكافيًا فلا نريد هذه المرتبة بل أعطنى أيها السلطان دكانًا فى السوق أتعانى السكافة بل الكلب مع كمال خسّته إذا علم الصيد وصار صيادًا للسلطان نسى ما وجد من أبيه وأمه وهو السكون فى المتبن والخرابات والحرص على الجيف بل يتبع خيل السلطان ويتابع الصيود ، وكذا الباز إذا أدبه السلطان لا يقول إنّا وجدنا من آبائنا قفار الجبال وأكل الميتة فلا نلتفت إلى طبل السلطان ولا إلى صيده فإذا كان عقلى الحيوان يتشبث بما وجد أحسن مما ورث من أبويه ؛ فمن السمج الفاحش أن يكون الإنسان

والذى تفضل على أهل الأرض بالعقل والتمييز أقل من الحيوان، نعوذ بالله من ذلك نعم يصح أن يقول رب عيسى (أعزّ عيسى وقرّبه فمن خدمه فقد خدم الرب ومن أطاعه فقد أطاع الرب فإذا بعث الله نبيًا أفضل من عيسى أظهر على يده ما ظهر على يد عيسى والزيادة يجب متابعة ذلك النبى لله تعالى لا لعينه ولا يُعين لعينه إلا الله ولا يُحب إلا الله ، وإنما يحب غير الله تعالى ، وأنّ إلى ربك المنتهى ، يعنى منتهى أن تحب الشىء لغيره وتطلب لغيره حتى ينتهى إلى الله فتحبه لعينه) .

(من الهوس كساء كعبه وتكفى ياء بيتى لحمل كعبه) ليس التكحل فى العينين كالكحل ، كما أن خلافة الثياب ورثاثتها تكتم لطف الغناء والاحتشام ؛ فكذلك جودة الثياب وحُسن الكسوة تكتم سيماء الفقراء وجمالهم وكمالهم إذا تخرّق ثوب الفقير انفتح قلبه .

فصل

هناك رأس تنزين بالقلنسوة المذهبة وتاج مرصع بجمال الشعر ؛ لأن شعر الحسان جاذب للعشق وهو عرش القلوب والتاج المذهب جمال يزين فؤاد المعشوق، وقد بحثنا عن خاتم سليمان (عليه السلام) فى كل الأشياء فوجدناه في الفقر ، وقد شهدنا على هذه المعاناة ، وأنه لم يرض بأى شيء بديل، وكان عملى منذ الصغر هو فاحشة عبثى ، وأعلم أن هذا يقوّض الموانع والعراقيل ويحرق الأستار وأصل كل الطاعات، وباقى الفروع مثل حلق خروف برّى ، وفى النهاية فإن كل الخزائن والسعادات هناك .

والله مع الصابرين، وكل ما فى السوق والدكان من مأكل ومشرب أو أثاث أو متاع ، كل شيء من تلك الأشياء يعد حاجة فى نفس الإنسان ، وذلك رغبة أو مقصود كامن فيه ، وطالما أن ذلك الشيء لم يظهر فإن ذلك المقصود لا يظهر ولا يتحرك مثلما لكل ملة ولكل دين ولكل كرامة معجزة للأنبياء، وهى مقصود فى الروح الإنسانية، فظهور ذلك مرتبط بظهور الأنبياء ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [سورة يس : الآية ١٢] .

قال : هل فاعل الخير والشر شيء واحد أم شيئان ؟ والإجابة على هذا النحو، ولاشك أنه عند التردد فى المناظرة سيكون الفاعل شيئين ؛ لأن الشخص الواحد لا يخالف نفسه وبها لا ينفعك الشر عن الخير، لأن الخير هو ترك الشر وترك الشر بدون شر أمر مستحيل، وتوضيح ذلك أن

الخير هو ترك الشر فإنْ لم يكن الداعية شريراً فإنه لن يترك الخير . إذن فإن فاعل الخير والشر ليس شيئين ، كما قال المجوس إن إله الخير (يزدان) خالق جميع أنواع الخير، وإن إله الشر (أهرمن) خالق الشرور والمكروهات، فأجبنا ، إن المحبوبات لا ينفصلن عن المكروهات ؛ لأن المحبوب بدون مكروه أمر مستحيل؛ لأن المحبوب هو زوال المكروه وزوال المكروه بدون مكروه أمر مستحيل .

والسعادة هي زوال الحزن وزوال الحزن بدون حزن أمر مستحيل، إذن فإنه شيء واحد لا يتجزأ . قلت : طالما لم يفن الشيء لا تظهر فائدته وكذلك فإن الحديث طالما لم تفن حروفه، لا تصل فائدته إلى المستمع في النطق . وكل من يسيء للعارف فذلك مدح للعارف، وفي الحقيقة لأن العارف يهرب من تلك الصفة ، كما أن الذم لا يحط على طرفه، والعارف عدو لتلك الصفة والمسيء لتلك الصفة هو المسيء لعدو العارف، وهو مادح للعارف، وذلك العارف يهرب من مثل هذا الذم، والهارب من المذموم محمود (وبضدها تتبين الأشياء) إذن يعلم بحقيقة العارف مَنْ ليس عدواً وليس ذامًا ، فأنا مثل بستان نخل وحولي جدار وحول ذلك الجدار زينة وأشواك وكل من يمرٌ لا يرى البستان ويرى ذلك الجدار والزينة فيسيء إلى ذلك الجدار حتى يصل إلى هذا البستان فالذم هنا لأنه لم ير البستان ، وبذلك فهو يهلك نفسه .

وقد قال المصطفى ﷺ : « إنَّ الضحوك القتول أي ليس لي عدو إلا ويغضب لغضبه ويقتل الكافر بحيله ما حتى لا يقتل الكافر بمئات الحيل ولاشك أنه ضحوك في هذا القتل » .

فصل

دائمًا يبحث رجل الشرطة عن اللصوص حتى يقبض عليهم ويهرب اللصوص منه. وحدثت هذه الطرفة أن لصًا أخذ يبحث عن أحد رجال الشرطة ويريد أن يلقى القبض على رجل الشرطة وأمسك به ، وقد قال الحق تعالى لبا يزيد : يا بايزيد ماذا تريد قال أريد أن لا أريد ، والآن ليس للإنسان أمامه سوى حالتين إما يريد أو لا يريد، والجميع لا يريد وهذه ليست صفة الإنسان الذى فرغ من نفسه وفنى تمامًا؛ فلو بقى لبقيت فيه تلك الصفة الإنسانية فهو يريد ولا يريد، والآن فإن الحق تعالى كان يريد أن يصل بالإنسان إلى درجة الكمال .

وقد حدث للشيخ حالة لم يستطع معها أن يصبر على الفراق فكان ذلك وصل له واتحاد؛ لأن كل الآلام تأتى من ذلك السبب ؛ فأنت تريد شيئًا ولا تستطيع تحقيقه ، وعندما لا تريد لا تعانى ، والناس منقسمون حول ذلك ولهم فى هذا الطريق مراتب. والبعض يصل بالجهد والسعى أى ما يريدون من الداخل ولا يتحققون ذلك بالفعل ، وهذا مقدور البشر وعلى الجانب الآخر ليس فى مقدور الإنسان أن يحقق مطالبه وأفكاره ويحدث للإنسان جذب من الحق سبحانه، ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٨١] .

ادخل يا مؤمن فإن نورك إطفاء لنار المؤمن ، وعندما يحدث له إيمان حقيقى فإنه يفعل نفس الفعل، فإرادة الحق جذبته والحق طلب هذا الجذب، ويقال بعد المصطفى ﷺ والأنبياء عليهم السلام لم ينزل وحى، فلماذا لم ينزل الوحى، إلا يعتبرون ذلك وحيًا، ويقول الرسول ﷺ : المؤمن ينظر بنور الله ، وعندما ينظر بنور الله فإنه يرى الجميع ولا يخفى عليه من نور الله شىء، فهو يرى الأول والآخر والغائب والحاضر ، ولو كان يخفى عليه شىء من ذلك فإن ذلك لا يعد من نور الله ، وهذا هو معنى الوحى على الرغم من أنهم لا يعتبرون ذلك وحياً .

وعندما أصبح عثمان -رضي الله عنه- خليفة ذهب لكى يعتلى المنبر ، إلا أنه سكت ولم يقل شيئًا ونظر إلى الناس، وحدث للناس حالة من الوجد فلم يعودوا يهتمون بأن يخرجوا ولم يعرفوا شيئًا عن بعضهم البعض ؛ فمثلاً لا يعرفون أين جلسوا وقد تكشف لهم أسرار وحظوا بفوائد عديدة لا يمكن أن يحظوا بها من كثير من الخطب والوعظ والتذكير حتى إنه فى آخر المجلس هكذا أخذ ينظر عثمان بن عفان ولم يقل شيئًا وعندما أراد أن ينزل من على المنبر قال للناس :

" إن لكم إمامًا فعَّالاً ، خير إليكم من إمام قوال ".

وقد صدق فى قوله ؛ لأن المراد من القول الفائدة والرقة ، وقد تبدلت الأخلاق تمامًا بدون حديث او قول دون أن يتحدث وما قاله هو عين الصواب، إذا قال لقد جئنا وقال الإمام الفعَّال خير من الإمام القوَّال وفى تلك الحالة قد كان على المنبر ولم يفعل شيئًا ، وفى الظاهر يمكن رؤية ذلك بالنظر ، وأنه لم يصل ، ولم يذهب إلى الحج ، ولم يتصدق ،

ولم يرد على لسانه أى نكر ، ولم يخطب . إذن لقد علمنا أن العمل والفعل ليسا بهذه الصورة ، وأن الأساس هو العمل ، وأن ذلك العمل هو ما يقوله الرسول ﷺ ، (أصحابى كالنجوم بأيّهم اقتديتم) اهديتم، فإذا نظرت إلى أولياء الحق فإنهم يؤثرون فيك بدون كلام أو مجادله أو قيل وقال فيحدث المقصود ويأتى ذلك إلى مقام الوصل :

فمن شاء فلينظر إليَّ فمنظرى

نذير إلى من ظن أن الهوى سهل

وفى عالم الله ليس هناك أصعب من تحمل المحال، وعلى سبيل المثال أنت قد قرأت كتاباً وصححته وجاء شخص وجلس بجوارك فقرأ ذلك الكتاب أكثر ولم يكن له قدرة على تحمل ذلك .

ولو أنه لم يقرأه لما اختلف عنك، فلو قرأه بطريقة معوجة أو بطريقة مستقيمة فإنك لن تميز المعوج من المستقيم، إذن تحمل المحال مجاهدة عظيمة .

والآن فإن الأنبياء والأولياء هم أكثر الناس مجاهدة للنفس وأول مجاهدة هى قتل النفس وترك النزوات والشهوات ، وذلك هو الجهاد الأكبر ، ولما أنهم وصلوا وأصبحوا آمنى المقام فقد كشف لهم المعوج من المستقيم . وهم يعلمون المعوج من المستقيم ، ويرون فى ذلك مجاهدة عظيمة ؛ لأن أفعال الناس أفعال معوجة، ويرى الأنبياء ذلك ويتحملون ، ولو أنهم يبوحون بأخطاء الناس وإعوجاجاتهم لترتب على ذلك أمور ليست طيبة بالنسبة للناس ، ولو أن الشخص المسلم لم يضطرب فإن

الحق سبحانه يمنح هؤلاء الناس الصبر والطاقة حتى يتحملوا فهم يعتبرون مئات الإعوجاجات اعوجاجًا أو انحرافًا واحدًا .

وذلك حتى لا يصبح الأمر صعبًا عليهم ؛ فهو يخفى عنهم باقى الاعوجاجات ، بل إنها تبدو لهم مدحًا حتى إن ما هو معوج لك يصبح مستقيمًا ، وشيئًا فشيئًا تنتهى هذه الإعوجات ، وهذا الأمر يشبه عمل المعلم يعلم الطفل الصغير الخط فإذا وصل لسفر فإن الطفل يكتب السطر، وواضح أن ما كتبه الطفل معوج بالنسبة للمعلم ولا يعُد شيئًا ، ولكن المعلم يدارى ذلك ويقول إنها جملة حسنة وأحسنت الكتابة : أحسنت أحسنت وهذه الإشادة من قبل المعلم تدفع الطفل لأن يتحسن ويصبح أفضل ، وشيئًا فشيئًا فإنه يتعلم ويصبح أفضل من ذى قبل .

وإن شاء الله نأمل أن الحق سبحانه قد يسَّر للأمير مقصوده، وإن كل ما يأمله ويريده يتيسر له، فإذا رأى ذلك فإن العطايا سوف تصل له فيخجل من مطالبه وتمنياته وحدث هذا بالنسبة لى قبل ذلك عجبًا ؛ فقد تمنيت كل هذه النعم ثم خجلت من نفسى . والآن فإن الإنسان لا يدرك هذه العطاءات الإلهية ؛ لأن ما يتخيله الإنسان هو مثل قدرته كإنسان فقط وليس مثل قدرة الله جل شأنه صاحب العطاء الجزيل والوفير ، والذى هو لائق بالحق وليس بى (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) .

فصل

إن صفة اليقين للشيخ الكامل هى الظنون الحسنة بالمريدين وكل ظن يزيد قربًا إلى اليقين وبُعدًا عن الإنكار (ولو وزن إيمان أبى بكر) وعندما تزيد الظنون تصبح يقينًا ، ويظل هذا الظن فى زيادة فى العلم والعمل حتى يتحول إلى يقين ، وعندما تغنى الظنون تمامًا عن اليقين فإن الظن يزول تمامًا ، وبدا هذا الشيخ ومريدوه فى عالم الأجسام نقوشًا ومريدوه دليلاً على أن هذه النقوش تتبدل وتتغير دورًا بعد دور وقرنًا بعد قرن ، وأن الشيخ وأبناءه هم ظنون صحيحة قائمة فى العالم على مر الأدوار والقرون من غير تبدل والظنون مضُلة ومنكَرة من قبل دراويش الشيخ، وكل يوم يمر فإن هذا الظن يزيد ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٠] .

والآن فإن السادة يأكلون البلح ويصبحون أسرى ذلك الشوك قال الله تعالى : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [سورة الغاشية : الآية ١٧] ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [سورة الفرقان : الآية ٧٠] ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [سورة مريم : الآية ٦٠] .

وكل محاولة قام بها الفرد فى سبيل إفساد الظن هى إصلاح للظن مثل لص كبير وقد تاب وأصبح حارسًا فتحولت توبة هذا اللص

ومساواته بعد ذلك إلى نوع من الإحسان والعدل والفضل ؛ إذ إن مثل هذا النوع من الأشخاص لم يكن فى بداية الأمر لصًا ؛ لأن ذلك الحارس الذى مارس السرقة يعلم طريقة اللصوص ، وأن أحوال اللصوص قد غابت عنه ، وأن مثل هذا الشخص لو أصبح شيخًا لأصبح كاملاً ومرشداً للعالم ومهدىً الزمان .

فصل

وقـــــــالـوا تجنبـنـا ولا تـقـــــــــربـنـا

فـكـيف وأنـتـم حـــــــاجـــــــتى أتجـنـب

ينبغى العلم أن كل شخص وكل مكان يبحث عن حاجة وكل حيوان ملازم لحاجة أقرب إليها من أبيه وهو ملتصق بها التصاقه بأمه ، وتلك الحاجة قيده الذى يقتله ، وهذا هو الوثاق والرباط ومن المستحيل أن الشخص يقيِّد نفسه ؛ لأنه بطبعه يطلب الخلاص من القيود، فمن المستحيل أن مَنْ يطب الخلاص يطلب القيود، إذن من المؤكد أنه يكون قد قيَّد شخصًا آخر، ومثلاً أن الإنسان يطلب الصحة وهو لا يؤلم نفسه ؛ لأنه من المستحيل أن يكون طالبًا للمرض وفى الوقت نفسه طالب للصحة . ولما أن هذا الإنسان ملازم لحاجته فهو أيضًا ملازم لقيده وهو ملازم للقيد الذى يقتله، وتلك نظرته للقيد وإلا خلّص نفسه أو خلص نفسه من الشىء المهلك له .

وقد وضع هذا القيد؛ لأنه يذهب وراء القيد المهلك له وهو لا ينظر لذلك نظرة صائبة لا جرم ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ [سورة القلم : الآية ١٦]

يقـولون هل بعد الثـمـانين ملعب

فـقل وهل قـبل الثـمـانين ملعب

إن الحق سبحانه وتعالى يمنح الشباب للشيوخ من فضله ، وهذا ما لا يعلم به الشباب ؛ لأن الشباب يتجدد بذلك السبب فُيقبل الشخص على الحياة لأنه يرى الدنيا من جديد أو بنظرة جديدة ولا يملٌ، وعندما يرى هذا الشيخ الدنيا بهذه النظرة الجديدة فإنه يأمل فيها ويطمح ويزيد جلده ولحمه .

لقد جلً خطبُ الشيب إن كان

كلما بدت شيبة يعْدُو من اللهو مركب

إذن تتزايد جلالة الشيخوخة من جلالة الحق ؛ حيث يظهر ربيع جلال الحق ويغلب خريف الشيخوخة على ذلك .

فيسود الخريف وضعف الربيع هو من فضل الله ، حيث تتساقط الأسنان بالنسبة للإنسان ويظهر الشعر الأبيض ، وهذا أيضًا من فضل الله ويغسل المطر الخريفى وجه حديقة الحقائق، تعالى الله عما يقول الظالمون [١] .

(١) علوًا كبيرًا ، والله أعلم .

فصل

رأيته على صورة حيوان وحشى وعليه جلد الثعلب فقصدت أمسكه وهو على مسافة صغيرة ينظر من الدرج، فرفع يده وهو يقفز كذا وكذا ثم رأيت جلال التبريزى عنده على صورة دابة فنفرتْ فأمسكتها وهى تقصد أن تعضنى فوضعت رأسها تحت قدمى وعصرتها عصرًا كثيرًا حتى خرج كل ما كان فيها، ثم نظرت إلى حسن جلدها، وجدت أنه يليق بهذه أن تُملأ ذهبًا وجوهرًا ودرًا أو ياقوتًا وأفضل من ذلك ثم قلت أخذت ما أردت، فانظر يا نافر حيث شئت واقفز إلى أى جانب ما رأيت وإنما قفزاته كانت خوفًا من أن يغلب وفى المغلوبية سعادته لاشك أنه يصور من دقائق الشهابية وغيره وأشرب فى قلبه وهو يريد أن يدرك كل شىء أخذه من ذلك الطريق الذى اجتهد فى حفظه والتذّ به ولا يمكنه ذلك الآن. للعارف حالة لا يصطاد بتلك الشبكات ولا يليق إدراك هذا الصيد بتلك الشبكات وإن كان صحيحًا مستقيمًا ؛ فالعارف مختار فى أن يدركه مدرك لا يمكن لأحد أن يدركه إلا باختياره أنت قعدت مرصادًا لأجل الصيد يراك ويرى بيتك وحيلتك وهو مختار ولا ينحصر طريق عبوره ولا يعبر من مرصدك إنما يعبر من طريق طرقها هو وأرض الله واسعة ﴿ ولا يُحيطُونَ بشيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٥٥] .

ثم تلك الرقائق لما وقعت في لسانك وإدراكك ما بقيت دقائق بل فسدت بسبب الاتصال بك ، كما أن كل فاسد أو صالح وقع في فم العارف ومدركه لا يبقى على ما هو بل يصير شيئًا آخر متدثرًا متزملاً بالعنايات والكرامات ، ألا ترى إلى العصا كيف تدثرت في يد موسى ولم تبق على ما كان من ماهية العصا ؟ وكذا أسطوانة الحنّانة والقضيب في يد الرسول - ﷺ - والدعاء في فم موسى والحديد في يد داود والجبال معه ما بقيت على ماهيتها ، بل صارت شيئًا آخر غير ما كانت ؛ فكذا الدقائق والدعوات إذا وقعت في يد الظلماني الجسماني لا تبقى على ما كان.

مع طاعتك الكعبة حانات

حتى تكون رفيقًا لك في ذاتك

الكافر يأكل في سبعه أمعاء ، وذلك الجحش الذي اختاره الفراش الجاهل يأكل في سبعين أمعاء ولو أكل في إناء واحد لكان أكله في سبعين أمعاء ؛ لأن كل شيء من المبغوضين مبغوض كما أن كل شيء من المعشوق محبوب ولو كان الفراش ها هنا لدخلت عليه ونصحته ولا أخرج من عنده حتى يطردة ويبعده لأنه مفسد لدينه وقلبه وروحه وعقله ، ويا ليت كان يحمله على الفسادات غير هذا مثل شرب الخمر والقيان كان يصلح ذلك إذا اتصلت بعنايات صاحب العناية ، لكنه ملأ البيت من السجادات ليته يلف فيها ويحرق حتى يتخلص الفراش منه ومن شره ؛ لأنه يفسد اعتقاده عن صاحب العناية ويهمزه قدامه وهو يسكت ويهلك نفسه وقد اصطاده بالتسبيحات والأوراد والمصليات لعل يومًا يفتح الله

عين الفراش ويرى ما خسره وبُعده عن رحى صاحب العناية فيضرب عنقه بيده ، ويقول أهلكتنى حتى اجتمع علىّ أوزارى وصور أفعالى كما رأوا فى المكاشفات قبح أعمالى والعقائد الفاسدة الطاغية خلف ظهرى وهو يطلع على ما أخفيه عنه ويقول (إيش تخفى) [1] فو الذى نفسى بيده لو دعوت تلك الصور الخبيثة يتقدموا إلىّ واحداً واحداً رأى العين ويكشف نفسها ويخبر عن حالها وعما يكتم فيها، خلص الله المظلومين من كل هؤلاء القاطعين الصادّين عن سبيل الله بطريقة تعبد الملوك يلعبون بالصولجان فى الميدان ليلهى أهل المدينة الذين هم لا يقدرون أن يحضروا الملحمة والقتال تمثالاً لمبارزة المبارزين وقطع رؤوس الأعداء ودحرجتها تدحرج الأكرة فى الميدان وطرادهم وكَرِّهم وفرِّهم ؛ فهذا اللعب فى الميدان كالإسطرلاب للجد الذى هو فى القتال ، ولذلك الصلاة والسماع لأهل الله إرادة للناظرين بما يفعلون من السر من موافقة لأوامر الله ونواهيه المختصة بهم والمغنى فى السماع كالإمام فى الصلاة والقوم يتبعونه إن غنَّى ثقيلاً رقصوا ثقيلاً وإن غنى خفيفًا رقصوا خفيفًا تمثالاً لمتابعتهم فى الباطن لمنادى الأمر والنهى .

(١) أى ماذا تخفى ؟

فصل

عجبت من أمر هؤلاء الحافظين الذين لا يدركون أحوال العارفين كما يقول القرآن الكريم ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [سورة القلم : الآية ١٠] . غماز ولا تسمع كل ما يقوله فلان أنه معك كما يقول القرآن الكريم ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ [سورة القلم : الآية ١١، ١٢] ، باستثناء القرآن الكريم الذى وصف بأنه سحر. كما يقرأ فى أذن الخصم مالا يفهمه ولا يعلمه و(يعجز عن الاستمتاع بذلك) ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٧] .

وليس عجيبًا أن الله ختم على قلوبهم ؛ فمثل هذا الشخص يسمع ولا يفهم ويبحث ولا يفهم والله لطيف وقهره لطيف وفتحه لطيف ، ولكن ليس مثل (فتح القفل) فمثل هذا اللطف لا يمكن وصفه لو تحدثت عن تفاصيله . إن هذا اللطف لا نهاية له ولا مثيل له، فحذار أن تتهم المرض والموت فى حقى أن ذلك غطاء أو عرض وليس جوهراً؛ فهذا اللطف هو الذى يقبلنى ولا مثيل له، إنه سكين أو سيف لدفع عين الأغيار حتى لا تفتك أعين نحس الغرباء بمن تنظر إليه .

فصل

لقد جاءت الصورة فرعًا للعشق ، وبدون العشق لا قيمة لهذه الصورة وفرعها لا يمكن أن يكون بدون أصل، إذن لا تقل إن الصورة لله، ولما أن صورة الفرع لا يمكن القول إنها فرع له، قال : إن العشق لا يمكن تصوره بدون صورة قلنا لماذا لا يمكن تصور العشق بدون صورة ؟ بل إنه مثير للصورة ، ويصدر عن العشق مئات آلاف الصور حينًا ممثلة وحينًا محققة ، وعلى الرغم من أن النقش لا يكون بدون نقاش، فإن النقاش لا يكون بدون نقش ، ولكن النقش فرع والنقاش هو الأصل (كحركة الأصبع مع حركة الخاتم) ، وطالما لم يكن للعشق بيت فلا يستطيع المهندس أن يتصور صورته، وهو مثل القمح عامًا بقيمة الذهب وعامًا بقيمة التراب في حين أن صورة القمح لم تتغير . إذن فإن قيمة صورة القمح قد ارتبطت بالعشق وبالكلل ، فإن الفن الذى تطلبه وتعشقه له نفس قيمة القمح .

وفي الوقت الذى لا تطلب فيه الأدب فإن ذلك الأدب لم يتم تعليمه أو ممارسته .

ويقال إن العشق افتقار وحاجة إلى شيء ، إذن الحاجة هي الأصل والمحتاج إليه فرع، قلت إن هذا الحديث الذى تقول إنه مرتبط بالحاجات، حديث من حاجتك .

وعندما تميل لهذا الحديث فإن هذا الحديث قد زاد ، إذن الحاجة مقدمة، والحديث مرتبط بالحاجة . إذن العشق والحاجة ليسا فرعًا له، قال فى النهاية إن المقصود من تلك الحاجة هو هذا الحديث، إذن المقصود فرع مثيل قلت إن الفرع دائمًا هو المقصود، والمقصود من جذر الشجرة هو فرع الشجرة .

فصل

قال عن قضية هذه الجارية التى افتعلوها على الرغم من أنها افتراء ولم تحدث بل إن شيئًا ما قد ثبت فى أذهانهم وفى عقول هذه الجماعة . وهذا الوهم أو باطن الإنسان هو مثل الدهليز أولاً هم يأتون إلى الدهليز ويذهبون إلى البيت ، وكل هذه الدنيا مثل بيت واحد، وكل من يدخل البيت لابد وأن يرى الدهليز فى البيت، فمثلاً إن هذا البيت الذى جلسنا به، ظهرت صورته فى مخيلة المهندس وحينئذ شيد هذا البيت ، وكل ما رأيته فى الدهليز وقد ظهر لك يظهر فى البيت ويعلم ذلك المحيط بحقائق الأمور، وكل هذه الأشياء التى تظهر فى الدنيا من خير وشر ظهرت كلها فى الدهليز أى المكان .

عندما يريد الله – سبحانه وتعالى – أن يظهر فى العالم الأشياء المختلفة من الغرائب والعجائب والحدائق والبساتين والرياض والعلوم والتصانيف المختلفة فقد صورها بالشكل الذى ظهرت فى داخل هذا العالم، وكل ما تراه فى هذا العالم هو مثل الذرة فى هذا الكون وما تراه فى قطرة الماء تراه فى اليمِّ، مثل ذلك مثل خلق السموات والأرض والعرش والكرسى والعجائب الأخرى كل هذه الأشياء وصفها الله سبحانه فى أرواح السابقين ، ولهذا ظهر العالم بما تراه نحن .

والناس الذين يقولون إن العالم قديم متى كان كلامهم صحيحًا؟ ففريق منهم يقول : إن العالم حادث وأولئك الأولياء والأنبياء الذين هم أقدم من العالم ، والله سبحانه وضع خلق العالم فى أرواحهم ، وحينئذٍ ظهر هذا العالم .

وهم يعلمون فى الحقيقة أن العالم حادث وهم يدللون على كلامهم ؛ فمثلاً نحن الذين جلسنا فى هذا البيت ما بين ستين أو سبعين عامًا ما رأيناه لم يكن بيتًا بل كان عدة سنين، ولو أننا رأينا فى هذا البيت العقارب والفئران والحيات والحيوانات الأخرى التى تعيش فى هذا البيت، لاعتبرنا أن هذا البيت عامر رغم ما به .

ولو أنهم يقولون إن هذا البيت قديم فليس لهم حجة علينا ؛ لأننا رأينا أن هذا البيت حادث ، وأن تلك الحيوانات التى تحررت من أبواب هذا البيت وجدرانه لا يرون فيها شيئًا سوى مثل هذا البيت .

والناس الذين تحرروا من بيت هذه الدنيا لا يوجد فيهم جوهر سواء كان منبتهم هذا المكان أو ذاك .

ولو أنهم يقولون إن هذا العالم قديم إشارة إلى الأنبياء والأولياء الذين سبق وجودهم قبل العالم بمئات الآلاف من السنين فكم يا تُرى عدد تلك السنين ؟ ! فليس هناك تخمين ولا حجة على أنهم رأوا حدوث العالم .

وهذا يشبه حدوث البيت بالنسبة لك، وبعد ذلك يأتى أحد الفلاسفة ويدعى قدم العالم أو حدوثه فبأى علم - أيها الحمار[1] - ادعيت أن هذا العالم قديم أو حادث ؟ !

(١) هذا نص المتن (المترجم) .

فلو قلت إنه قديم فهذا يعنى أنه ليس حادثًا . وهذا دليل على النفى والدليل على الإثبات أسهل، والقول بالنفى يعنى أن هذا الرجل لم يفعل ذاك الأمر ، وأنه يعلم بجذور المشكلة ، وأن هذا الشخص منذ بداية عمره حتى نهايته كان ملازمًا لذاك الشخص ليل نهار فى النوم واليقظة والحقيقة ليست هكذا .. لأنه ظن أن هذا حكم أو أن ذلك الشخص قد ذهب لحاجة إلى البيت ، وهذا ليس ممكنًا ، كما أن ملازمته ليست دليلاً على النفى ؛ لأنه ليس سهلاً بينما الدليل على الإثبات مقدور عليه وسهل ؛ لأنه يقول كنت معه لحظة بلحظة وإنه قال كذا وفعل كذا ، ولا شك أن هذا الدليل مقبول ؛ لأنه فى مقدور الإنسان، والآن أيها الكلب تقول بالحدوث وذلك أسهل من قولك إنه قديم لأن محصلة أدلتك أنه ليس حادثًا وقد أثبت النفى وليس هناك دليل على القدم والحدوث ، كما أنك لم تر إن كان العالم قديمًا أو حادثًا ؛ فبأى برهان تدعى أن العالم حادث أو قديم أيها المزيّف؟ وفى النهاية فإن قضيتك أكثر إشكالاً واستحالة .

فصل

كان قد جلس الرسول ﷺ مع الصحابة، فأخذ الكافرون يعترضون، فقال ﷺ أنتم جميعًا متفقون على أنه يوجد فى العالم شخص واحد هو صاحب وحى، وأن الوحى ينزل عليه ولا ينزل على أى شخص آخر، وأن هناك علامات وإشارات لصاحب الوحى فى فعله وفى قوله وفى سيماه بل إن هناك علامات على كل أجزاء جسمه، والآن لما أنكم رأيتم تلك العلامات عليه يجب عليكم أن تؤازروه وتقوّوه حتى يأخذ بأيديكم . فأصبح ذا حجة على الجميع، ولم يصبح لاعتراضاتهم أى مبرر، واستعدوا للقتال فأثاروا الصحابة وراحوا يستخفون بالرسول ﷺ ، فقال الرسول ﷺ : « اصبروا حتى لا يقولوا إنهم تغلبوا علينا بالغلبة وأنهم يريدون أن ينشروا الدين (بهذه الطريقة) فى حين أن الله سوف ينشر الدين، فأخذ الصحابة يصلّون مدة فى الخفاء ، وكانوا يخفون اسم الرسول ﷺ » .

حتى جاء الوحى بعد ذلك للرسول فقال للصحابة جردوا السيوف وحاربوا .

والمصطفى ﷺ الذى يقولون عنه إنه أمى، لا يقولون إنه غير قادر على الكتابة والعلوم ، والأمى هو الذى ولد بهذا الشكل وهو ليس مكتسبًا

ومع ذلك فإن مَنْ يستطيع الكتابة لم يصل إلى ما وصل إليه الرسول ﷺ ، ومَنْ فى هذا العالم لم يتعلم منه والجميع تعلم منه ، والعجيب فى الأمر أن العقل البسيط ليس مثل العقل الكلى، والعقل الجزئى لا يستطيع أن يخترع شيئًا من نفسه لأنه لم يرد هذا الشىء ، وأن هؤلاء الناس الذين كتبوا المؤلفات ووصفوا علوم الهندسة وأسسها الحديثة - يعد هذا التصنيف ليس جديدًا - لأنهم رأوه قبل ذلك فزادوا عليه فهم يخترعون الجديد من أنفسهم وهؤلاء أصحاب العقل الكلى ، والعقل الجزئى قادر على التعلم ومحتاج ، والعقل الكلى معلم وليس محتاجًا ، وقد كانت الأمم السابقة هى الأصل وبداية ذلك الوحى والأنبياء هم المعلمون وهم العقل الكلى .

وهناك حكاية الغراب حيث قتل قابيل هابيل ، واحتار ماذا يفعل حتى قتل غراب غرابًا ودفنه أى دفن ذلك الْغُراب وأهال التراب على رأسه فتعلم الإنسان من ذلك الغراب بناء القبر والدفن .

ومثل هذه الأمور هى حِرَف بالنسبة للعقل الجزئى يحتاج فيها إلى التعليم والعقل الكلى واضع كل هذه الأشياء ، وهؤلاء هم الأنبياء والأولياء الذين ربطوا عقلهم الجزئى بالعقل الكلى. فأصبحوا وحدة واحدة معه ، فعلى سبيل المثال فإن حواس الإنسان من يد وقدم وعين وأذن كلها تتعلم من القلب والعقل أو أنها تتعلم السلوك من العقل وتتعلم اليد من القلب والعقل وتتعلم العين والأذن الرؤية والسماع ، ولكن عندما لا يكون هناك قلب أو عقل فإن أى من هذه الحواس لا يستطيع أن يؤدى الوظيفة السابقة .

وهذا الجسم بالنسبة للعقل والقلب شيء مادى وغليظ بينما العقل والقلب شيء لطيف ، وهذا الشيء المادى الغليظ مرتبط بذلك اللطيف ولو كانت هناك ميزه لهذا الجسم فذلك من الشيء اللطيف (العقل أو القلب) وبدونه فالجسم معطل وقذر غليظ ولا يعد شيئًا ومثل العقول الجزئية بالنسبة للعقل الكلى آلة تتعلم منه وتستفيد وهى قذرة وغليظة أمام العقل الكلى .

وكان يقول أحد الأشخاص نحن أصل الهمة فإن لم يكن هناك حديث فإن الحديث فرع، وقال لقد كانت هذه الهمة فى عالم الأرواح قبل عالم الأجسام ثم جيء بنا إلى عالم الأجسام دون مصلحة وهذا مستحيل ، ويكون الحديث مفيداً لو زرعت بذرة مشمش وقد نزعت منها لبها فإنها لن تنمو وحدها فى الأرض بل تنمو لو كانت بذرة المشمش موجودة (اللب مع القشر) إذن علمت أن الصورة فى العمل والصلاة أيضًا من الباطن (لا صلاة إلا بحضور القلب ، ولكن لابد أن تأتى بالصورة وتركع وتسجد ، ومن ثم تستفيد وتصل إلى بغيتك وهدفك ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [سورة المعارج : الآية ٢٣] .

وهذه الصلاة روح الصلاة والصورة مؤقتة وليست دائمة ؛ لأن الروح بحر لا نهاية له والجسم ساحل واليابسة محدودة فيه ومقدرة، إذن الصلاة الدائمة ليست إلا روحًا ، والروح ركوع وسجود ، ولكنها تظهر فى صورة ركوع وسجود. ولأن المعنى يتصل بالصورة وطالما أنهما لم يتصلا فلا قيمة ولا فائدة وما تقوله صورة الفرع وصورة الرعية وقلب الملك هو هذه الأسماء الإضافية .

ولما أنك تقول إن هذا فرع ، فلا يكون الفرع فرعًا حتى يقترن بالاسم الأصلى، إذن الأصل أصبح من هذا الفرع ، ولو لم يكن ذلك الفرع لانعدم اسمه (لأن المرأة لابد وأن يكون لها زوج ، ولابد للرب من مربوب ، ولابد للحاكم من محكوم) .

فصل

قبل أن يصل حسام الدين أزرنجانى إلى خدمة الفقراء ويتحدث معهم كان باحثًا عظيمًا ، وحيثما كان يجلس يناظر ويبحث بجد ، وقد أحسن ذلك ، وكان يُحسن القول لكنه عندما جالس الدراويش تغير حالة وتغير صراع عشقه إلى عشق آخر(مَنْ أراد أن يجلس مع الله تعالى فليجلس مع أهل التصوف وهذه العلوم بالنسبة لأحوال الفقراء لهو وتضييع للعمر (إنما الدنيا لعب) [١] .

فإذا بلغ الإنسان وأصبح بالغًا وعاملاً وكاملاً فإنه لا يلعب ، ولو فعل فإنه يغرق فى الخجل ويدارى ذلك حتى لا يراه أى شخص وهذا العلم والقيل والقال والتعلق المبالغ فيه بالدنيا هباء والإنسان تراب، وعندما يمتزج الهباء بالتراب ، وحيثما يصل أو يبلغ فإنه يتعب عينيه ولا يكون لوجوده سوى التشويش والاعتراض . والآن على الرغم من أنه تراب فكل حديث يسمعه يبكى ويسيل دمعه مثل الماء الجارى .

﴿ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ [سورة المائدة : الآية ٨٣] .

(١) ﴿ إنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ سورة محمد ، آية [٣٦] .

والآن إذا سقط المــاء على التراب بدلاً من الريح فإن الأمر سيكون على عكس ما يُراد منه، ولاشك أنه عندما وجد التراب الماء فإن الخضرة والريحـان والبنفسج وورد البسـاتين ستنمـو ، وهذا طريق الفقـر ، وهو الطريق الذى فيه تحقق كل الآمال وتحقق كذلك كل شىء تتمناه، ولاشك أن هذا الطريق سيـصل بك إلى هزيمـة الجـيـوش والظفـر على الأعداء والاستيلاء على البلاد وإخضـاع الناس والتفوق على الأقران والفصاحة والبـلاغة وكل مـا يـتعلق بـذلك، ولما أنك اخـتـرت طريق الفـقر فـإن كل تلك الأشـيـاء سـوف تتـحقق لك وكل من لم يسـر فى هذا الطريق فإنه يشكو خلافًا للطرق الأخرى، وكل من سـار فى هذا الطريق وسعى فإن شخصـاً واحـداً من بين مـئـات الآلاف يـحقق هـدفه ، كـمـا أن قلبَ ذلك الشـخص سوف يستقر ويهدأ ؛ لأن كل طريق له أسبابه، وهناك طريق لحصول ذلك المقصود ولا يتـحقق ذلك المقصود إلا عن طريق الأسـبـاب ، وذلك الطريق طويل وزاخـر بـالمخـاطر والموانع ، وأن تلك الأسـبـاب تتـعـدد فـيـمـا يتـعلق بتحقيق المقصود . والآن عندما جئت إلى عـالم الفقر وعشت فيه، فإن الحق سبـحـانه يمنحك الملك والعـالم الذى لم تتـخيله ولـم تكن تتمنى أكثر منه وتطلبه ثم خجلت من طلبك لمثل هذا الشىء الحقير ، والآن فإن الحق تعالى يقول لو كنت منزهًا عن ذلك ولم تطلبه وضقت به ، ولكن الآن يجول بخـاطرك ثم تركت هذا الشىء من أجلنا فـإن كـرمنـا لا نهـاية له ولاشك أننى سـوف أيسِّر لك ذلك، وشـبيه بـهـذا أن المصطفى ﷺ قبل وصـوله وشـهرته كان يرى الفصاحة وبلاغة العرب ويـتمنى ذلك لنفسه وقد تحققت له تلك الفصـاحة والبلاغة ، ولكن عندمـا كُشف له عالم الغيب وأصبح ثملاً بالله فإن كل الأشيـاء التى كـان يطلبها ويتمناها قد نفر منها، وقد قال

الحق تعالى إن تلك الفصاحة والبلاغة التى كنت تطلبها قد وهبتك إياها، قال يارب ماذا أفعل بها ولست فى حاجة إليها ولا أريدها، وقال الحق تعالى لا تحزن أن ذلك سيكون ولن تخسر شيئًا فحدثه الحق تعالى قائلاً : إن جميع العالم منذ القدم حتى هذا العهد والذى كُتب فى شرحه العديد من المجلدات ولا يزال يُكتب، مازال الجميع قاصرين عن إدراكه، وقد قال الحق تعالى إن الصحابة قد ذكرت اسمك فى الأذان خفية وذلك خشية الحاسدين وسأنشر عظمتك إلى الحد الذى معه تؤذّن فوق المنابر العالية فى الأقاليم الخمسة من العالم ، وسوف يصبح ذلك مشهوراً فى أصوات عالية وألحان لطيفة فى المشرق والمغرب .

والآن فإن كل من خسر ذاته فى هذا الطريق، فقد تيسرت له كل الآمال الدينية والدنيوية ، ولم يشكُ شخص فى هذا الطريق فأحاديثنا كلهما نقد وأحاديث الآخرين نقل ، وهذا النقل فرع للنقد ، والنقد مثل قدم الإنسان ، والنقد بمثابة قالب خشبى على هيئة قدم الإنسان، والآن فقد سُرقت تلك القدم الخشبية من هذه القدم الأصلية وأخذوا مثيلها. ولو لم يكن فى العالم قدم، فمن أين كانوا يعرفون هذا القالب، إذن بعض الأحاديث نقد والبعض نقل وهى تشبه بعضها الآخر والمؤمن هو الذى يفرّق بين النقد والنقل ، والكفر هو عدم التعييز .

ألا ترى أنه فى عصر فرعون عندما أصبحت عصا موسى حية تسعى، وأصبحت أخشاب السحرة وأحبالهم حيات تسعى ؟ إن ذلك لم يميز ورأى الجميع لونًا واحداً ولم يفرق ، وأن ذلك قد ميز ففهم السحر عن طريق الله وآمن بواسطة التمييز .

إذن علمنا أن الإيمان تمييز ، وكان هذا الفقـه فى الأصل وحيًـا ، ولكن عندما امتزج مع تلك الأفكار والحواس وتعرف الناس فقد تبدد ذلك اللطف، فانظر مـاذا تبـقى من لطف هذا الوحى، إن هذا يجسـده الماء الذى يجـرى نحـو المدينة حيث نبع الماء الصـافى واللطيف، ولكن عندمـا يدخل المدينة ويمر من الحدائق والمحـال ومنازل أهل المدينة فإن العـديد من الناس يغسلون فيه أيديهم ووجوهـهم وأعضاءهم وملابسـهم وسجادهم ويلقون فيه نجاسة الخيول والبغال فتمتزج به .

وعلى الرغم من أن هذا المـاء يُنبت الورد ويحـيى الأرض ويروى العطشـان ويجعل الصـحراء خـضراء ، فإن الشـخص المميز (المؤمن) سيدرك أن هذا الماء لم يعد فى صفائه ونقائه ؛ إذ إن أشياء عديدة سيئة قد امتزجت به، المؤمن كيس مميز وفطن وعاقل . وذلك الشيخ ليس عاقلاً عندما يظل مشغولاً باللعب ولو بلغ المائة عام ؛ فهو لا يزال طفلاً غرًا ولو أن طفلاً لم يكن مشغولاً باللعب فهو شيخ ولا اعتبار لسنه، ﴿ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ [سورة محمد: الآية ١٥] .

ويجب أن يكون الماء غير آسن حتى ينظف جميع قذارات العالم ولا يؤثر فيه شىء فيكون صافيًا ولطيفًا فلا يضمحل فى المعدة أو يفسد، وذلك ماء الحياة،صاح رجل أثناء الصلاة وبكى ؛ فهل صلاته صحيحه أم باطلة ؟ !

والجواب لو أن بكاءه فى الصلاة ، فإن هذا يعنى أن عالمًا آخر ظهر له خارج المحسوسات والآن هو يبكى لهذا السبب ، ويقولون طالما أنه رأى مثل هذا الشىء فإن هذا الشىء من جنس الصلاة ومكمل لها .

والمقصود من تلك الصلاة أي صلاته صحيحة وكاملة ، ولو أنه رأى شيئًا آخر فبكى من أجل الدنيا أي من عدو تغلب عليه وكان بكاؤه من حقد أو حسد على شخص لهذه الأسباب المتعددة له فإن صلاته تعد بتراء وناقصة وباطلة .

إذن علمنا أن الإيمان تمييز ، وهو الذي يفرق بين الحق والباطل وبين النقد والنقل وكل من كان غير مميز فهو محروم، والآن فإن تلك الأحاديث التي نتكلم عنها، يستفيد منها كل مَنْ كان مميزًا ويحرم منها كل من كان غير مميز، ويشبه هذا كأن يذهب شخصان عاملان إلى المدينة ومن باب الشفقة يشهدان لمصلحة رجل قروي ، ولكن الثاني من باب الجهل يقول شيئًا يخالف شهادة الرجلين فتتبدد حينئذ نتيجة شهادة الرجلين ويضيع سعيهما وتعبهما، وبهذا الشكل يقولون إن ذلك القروي شهد على نفسه، إلا أنه عندما استولت عليه حالة السكر قد تغيرت حالته، فهل هذا مميز أم لا، هل يستحق هذا الحديث وأهله أم لا ؟ ومثل ذلك امرأة امتلأ ثدياها الزاخران باللبن وتتألم، فتتجمع جيران المحلة وتسكب لهم اللبن، والآن فإن هذا الحديث قد سقط في يد غير مميز ومثل ذلك مثل الدُر الثمين الذي وقع في يد طفل ، ولكنه لا يقدر قيمته ، ويضعون تفاحة في يده ويأخذون ذلك الدر منه ؛ لأنه لا يميز إذن التمييز شيء عظيم. أخذ والد أبي يزيد إبنه في عهد الطفولة حتى يعلمه الفقه . ولما ذهب إلى مدرسته هناك قال أهذا فقه الله ؟ قالوا هذا فقه أبي حنيفة قال أنا أريد فقه الله ، وعندما علموه النحو قال أهذا نحو الله، قال هذا نحو سيبويه قال (ما أريد)[1] .

( ) أي لا يريده (المترجم) .

وحيثما ذهب به والده كان يقول نفس هذه العبارة، فعجز عنه والده وتركه لشأنه وبعد ذلك ذهب (أبو يزيد) إلى (بغداد) وعندما رأى الجُنيد صاح قائلاً هذا فقه الله. وهذا يشبه الحمل الذى لا يعرف أمه وهو مثل الطفل الرضيع المولود من العقل والتمييز .

كان هناك شيخ وله مريدون وتركهم وذهب للخدمة فقالوا أيها الشيخ لماذا لا ترشد هذه الجماعة ؟ فهذا ليس من رسم الدراويش، وهذا الأمر من عادة الأمراء والملوك . قال لا اصمتوا أنا أريد أن يعظموا هذا الطريق حتى يستفيدوا على الرغم من أن التعظيم فى القلب ، ولكن الظاهر عنوان الباطن، فماذا يعنى العنوان أى يعرفونه من عنوان الرسالة ويعرفون من عنوان الكتاب الرسالة لمن وعند مَنْ ؟ وكم تبلغ أبوابها وكم تبلغ فصولها من تنظيم الظاهر والطاعة والانصياع ؛ فكم من التعظيم يكون لمثل هؤلاء الأفراد من الباطن ، وكيف يعظمون الحق حتى لو كانوا فى الظاهر لا يعظمونه ، ومعلوم أن الباطن الذى لا يخشى لا يعلم الحق فى الظاهر .

فصل

سأل جوهر خادم السلطان أحد الأشخاص قبل أن يموت خمس مرات ، وكانوا يلقنونه فلم يفهم الحديث ولم يؤده ، وبعد الموت نسى كل الأسئلة التى تعلمها، وطالما أنه كان قد ينسى تلك الأسئلة الملقنة له، فلا شك أنه إنسان نقى وجدير بالاحترام .

فأنت قد تقبل السؤال الذى تجهله لمجرد أنك سمعت كلماته منذ تلك الساعة حتى هذا الوقت ؛ لأنك سمعت مثيلاً له وقبلته ، وقد تقبل نصف القبول وتتوقف عند بعضه ولم يسمع أى شخص هذا الرفض وهذا القبول والبحث الباطنى لك ومهما كانت لك إذن فلن تسمع شيئًا ، ولو دققت البحث فلن تجد أى متحدث، ومجيئك هذا للزيارة هو عين السؤال بدون أن تسأل ؛ إذ إنك تدلنا على الطريق وتجعله أكثر وضوحًا، وهذا الجلوس صامتًا معنا هو رد على تلك الأسئلة الخفية لك ، وعندما تذهب ثانية إلى خدمة الملك فذلك سؤال للملك والجواب للملك عنه (الموافقة على الخدمة) بدون حديث أو كلام ، وكل يوم هناك سؤال من عبيده سواء وقفت أو أكلت أو نظرت ، ولو كانت نظرة الشخص غير صائبة فلابد أن يكون الرد عليها غير صائب، ولا يظهر للشخص إنْ كان الجواب صحيحًا أم لا ، وذلك مثل الشخص المقطوع اللسان فمهما أراد أن

يتحدث حديثًا صحيحًا فإنه لا يستطيع، وذلك مثل الجواهرجي الذى يضرب بالحجر (لطرق الذهب) ، فهذا أيضا سؤال الذهب والذهب يجيبه أنه خالص أو مخلوط (بمعادن أخرى) .

(وفي الدقيقة نفسها تقول لك إن كان الحجر صافيًا وهل هو ذهب أو نحاس) .

والجوع هو سؤال الطبيعة، ومن لديه خلل في بيته يستوي عنده الأخضر واليابس، والأكل جواب ، ولنفترض أنه لم يأكل فهذا جواب .

ولا حاجة لقطعة الحجر طالما أنها لم تجف ولا يجوز الدق عليها، والطبيب يأتي ويقيس النبض وذلك سؤال ، وتحريك العروق جواب ؛ والنظر إلى القارورة سؤال وجواب محدد وإلقاء البذور في الأرض .

كما أنه عندما تثمر الشجرة وتأتي بالثمر فإن ذلك جواب بلا حديث ؛ لأن الجواب بلا حديث له سؤال بلا حديث .

وحتى إنه إذا لم تثمر هذه الشجرة وكانت البذرة متعفنة فإن ذلك سؤال وجواب، أما علمت أن ترك الجواب جواب ؟

قرأ ملك رقعة ثلاث مرات ولم يجب عليها وشكر صاحبها ثلاث مرات وسوف أعرض الرقعة عليه وسواء قبل أو رفض فقد كتب الملك شيئًا على ظهر الرقعة، أما علمت أن ترك الجواب جواب ى جواب الأحمق السكوت، وعدم إثمار الشجرة هو ترك الجواب ، ولاشك أن ذلك جواب وكل حركة يقوم بها الإنسان سؤال ، وكل شيء يحدث له من حزن هو جواب فلو سمع جوابًا حسنًا فيجب عليه أن يشكر ، ويجب أن يكون شكره من نفس جنس السؤال . ولو وجد جوابًا عن ذلك السؤال، فكان

الجواب سببًا فيجب عليه أن يستغفر بسرعة وأن لا يسأل نفس هذا السؤال ثانية ، ﴿ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم ﴾ [سورة الأنعام : الآية ٤٣] .

أي أنهم لم يفهموا ، وكان الجواب مطابقًا لسؤالهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، أي أنهم رأوا الجواب عن سؤالهم فقالوا إن هذا الجواب سيىء ولا يليق بالسؤال ولم يعلموا أن الدخان من الحطب وليس من النار مهما كان هذا الحطب جافًا، ولو أن البستان لم يأتي بثمر فإن العيب في البستاني وليس البستان ؛ لأن هذا البستان كان متروكًا في يد البستاني قال لماذا قتلت أمك ؟ قال رأيت شيئًا لا يليق بها ، وقال يجب قتل ذلك الغريب . قال كل يوم أقتل شخصًا .

أدب نفسك حتى لا تتصارع كل يوم مع أحد الأشخاص ، وكل ما يحدث لك لو يقولون إن كل شيء من عند الله، نقول إن معاتبة النفس والتحرر من العالة أيضًا من عند الله ، ومثل ذلك أن أحد الاشخاص رأى فاكهة في طريقه وقد سقطت من الشجرة فأكلها فعاتبه صاحب الحديقة قائلاً ألا تخشَ الله قال : لماذا أخشاه والشجرة من عند الله وأنا عبده وقد أكلتها والمال مال الله ؟ !

قال السيد قبل أن أجيبك أحضروا الحبال وأوثقوه على هذه الشجرة واضربوه حتى يجهر بالجواب (الصادق) أأنت لا تخشى الله ؟ قال ولماذا أخشاه وأنت عبد الله قال وهذه خشية الله وأنا أضرب بها عبد الله، الحاصل أن العالم مثل جبل وكل ما تقوله من خير وشر تسمعه من نفس هذا الجبل ؛ ولو تعتقد أنني أحسنت الجواب فإن الجبل أجاب بأن

ذلك مستحيل ؛ إذ إن البلبل يغرّد فوق الجبل، ويأتيك منه صوت الغراب أو صوت الإنسان أو صوت الحمار، إذن اعلم يقيناً أنك قلدت صوت الحمار.

(عندما تأتى إلى الجبل استمع للصوت العذب وما يقول صوت الحمار للجبل) وصوتك العذب هو صوت الطبيعة .

فصل

نحن مثل إناء يطفو الإناء فوق الماء ولا يطفو فوق الماء بحكم الإناء بل بحكم الماء، قال هذا كلام عام إلا أن البعض يعتبر ذلك صحيحًا والبعض لا يعد ذلك صحيحًا، ولو كان هذا الكلام عامًا لما كان تخصيص قلب المؤمن بين إصبعين (من أصابع الرحمن) كلامًا صحيحًا وأيضًا قال ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [سورة الرحمن : الآية ١] .

ولا يمكن اعتبار ذلك كلامًا عامًا ؛ فقد علَّم جميع العلوم للإنسان فما هو تخصيص القرآن وبالمثل خلق السموات والأرض، وهو تخصيص السماء والأرض، وما هو تخصيص السماء والأرض طالما أنه خلق كل الأشياء على العموم .

ولاشك تسيير الآنية فوق الماء عبارة عن قدرة ومشيئة إلا أن الناس أضافوا شيئًا زهيدًا إلى جوار خلق الرحمن، يا خالق السرقين والضراط والفسا ألا يا خالق السموات ويا خالق العقول. إذن لهذا التخصيص فائدة، على الرغم من أنه عام ، فإنه تخصيص شيء دليل على اختيار ذلك الشيء ، الحاصل أن الإناء يطفو فوق الماء وأن الماء يحمله بالشكل الذى تنظر معه كل الآنية الأخرى إلى ذلك الإناء ، ويحمل الإناء فوق الماء بالشكل الذى تهرب معه كل الآنية وتخجل معه، ويُلهم الله

ذلك الماء ريضيع قدرته فيه اللهم زدنـا منه بُعـداً واللهم زدنـا منه قرباً أيضـاً (أولاً) .

و لآن فإن ذلك الشـخص الذي يرى أن ذلك أمـر عـام يقول كـلاهمـا سُكّر الماء فيجيب لو رأيت أنت الصفاء والحسن المرتبطين بهذا الإناء لما اهتممت بصفة العام .

ويمثل ذلك مثل الشخص المعشوق الذي يشترك في صـفـة (كل القذارات والفضـلات من إنسـان وحيوان)، و يظن دائمًـا العـاشق من حيث وجوده أنه يشترك مع المعشوق في تلك الصفات.

إن العاشق والمعشوق يشتركان في صفة الجسم ، وإنهما حادثان وفانيان . وغير ذلك من الأوصاف العامة. وكل من يذكر له صفة العمومية هذه يعده عدوه، بل يعدوه إبليس نفسه . لما أن هذا ينطبق عليك فقد نظرت تلك النظرة : العـامـة وأنت لست من أهل النظر الحسن الخـاص بنا ، فلا يجوز لك المناظرة لأن المناظرات قد امتزجت بالحُسن وإظهار الحُسن في غير أهله ظلم، فلا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، وهذا علم النظر وليس علم مناظرة، والفاكهة والثمار لا تتفتح خريفًا : لأن هذه مناظرة أي أن ذلك يخالف فصل الخريف وليس ذلك الطلع للورد فتناظره مع الخريف، إذا أن إشراق الشمس فيها حياة الورد وذلك أمر مرتبط باعتدال المناخ وإلا ذبلت وتساقطت تلك الورود وذهبت إلى أصلها : حيث يقول لها الخريف لو أنك لست غاضباً يابسًا، اخرج أمامي لو كنت رجلاً ، فيقول أنا أمامك غصن يابس ولست إنسانًا فقل ما تريد .

(أيها الملك الصادق أرأيت منافقًا مثلي : فأنا حي مع الأحياء وميت مع الأموات) .

وأنت يا بهاء الدين لو أن عجوزًا ليس لها أسنان ووجهها مثل ظهر التمساح زاخر بالتعاريج وتأتي وتقول لك لو كنت رجلاً وشابًا : فها أنا ذا جئت لك ، وها هي الفرس ، وها هو الميدان، فاظهر أمامي لو كنت رجلاً معاذ الله والله أنني لست رجلاً وما حكوا كان كذبًا ، وعندما أصبح سقف بيتك المتهاوي منيفًا، جاء العقرب وحمل ذنبه ليسير على أحد أعضائك.. إذ إنني سمعت أن رجلاً يضحك كثيرًا حتى رأيت ضحكه ، ويقول عندما جئت لم أكن أضحك قط ، ولم يكن طبعي حسنًا وما قالوه قد كذبوا فيه .

فالجميع مشغول بأسباب ضحكي، على أمل أن تذهب وتبتعد عني، قال لقد تأوهت فذهب الذوق، لا تتأوه حتى لا يذهب الذوق، قال أحيانًا إذا لم تتأوه فإن الذوق يذهب على اختلاف الحال ولو لم يكن هكذا لما قال الله سبحانه ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : الآية ١١٤] .

ولا يجب إظهار أية طاعة فإن كل ذلك إظهار للذوق وإن هذا الحديث الذي تقوله، تقوله حتى يأتي الذوق ، ولو أنك تلاحظ حامل الذوق حتى يأتي الذوق فإن هذا يُشبه مَنْ يُوقظ نائمًا قائلاً له استيقظ فقد سطعت شمس يوم جديد ، وأن القافلة سوف تسير فيرد على هذا الشخص الموقظ للنائم لا تصح أنه في حاله ذوق وقد أقبل ذوقه ويقول إن ذلك الذوق هلاك وخلاص من الهلاك .

ويقول لا تضطرب إن النداء يحول دون استغراق النائم في التفكير، ويقول أيضًا، بهذا الصوت يستغرق النائم في التفكير ! وإلاَّ فأى تفكير له في هذا النوم بعد أن يستيقظ، والنداء على نوعين فلو كان المنادى قادمًا من أعلى فإنه في العلم باعث على زيادة الفكر ؛ لأن منبهه صاحب علم فهو يوقظه ؛ فعندما أيقظه الله من نوم الغفلة ليعلم بما يدور حوله في عالمه، إذن التفكير هنا يأتي من علٍ ؛ لأن النائم تمَّ إيقاظه من مكان عالٍ ولكن لو حدث العكس وإنْ كان الموقظ من أسفل (من الدنيا) فإن فكر هذا النائم سيكون من جنس الموقظ أى فكر دنيوى غير عال أو سامٍ ؛ لأن الموقظ هنا دنيوى (من أسفل) ، وطالما كان الموقظ هكذا فلابد أن يكون فكر النائم سفلى ويتجه فكره أيضًا للعالم السفلى .

فصل

هؤلاء الأشـخـاص الذين حـصّلوا العلوم ويحـصلونـهـا لو أنهم لم يتابعوا ذلك فإنهم ينسون العلم ! ويتركونه ولما أن علومهم كلها مرتبطة بالروح، فإن العلوم كلها نقش مثـل الـروح يأخـذونـهـا والقلب الخالى من الروح يقبل الروح وأصل كل العلوم فـهـذا العـالم عـالم بلا حـديث أو صوت ، وقد روى أن فى ذلك العالم لا يوجد حديث أو أصوات كما قال : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النساء : الآية ١٦٤] .

وكـان هـذا الحـديث من الله بدون أصـوات ، ولم تكن هـناك اللغـة المعروفة لنا ؛ لأنه لكى يكون هناك حديث فـيـجب أن تكون هناك رغبـة وتتحدث حتى يظهر الحديث بالشكل المعروف سبحانه وتعالى وتقدس وهو المنزه عن الشفاه والفم والرغبات، إذن الأنبيـاء لهم عـالم بلا حـديث أو صوت أو حوار مع الحق ولا تدرك مثل هذه العقول الجزئية هذا الأمر ولا يمكن أن تفهمها .

ولكن الأنبيـاء يأتون من العالم الصامت المذكور إلى عالم الحديث المعروف ويصبحون أطفالاً، (بعثت معلمًا) والآن على الرغم من أن هذه الجماعة قد بقيت فى عالم الحديث والأصوات ، فإنها لا تصل لأحواله ، لكنها تستمد القوة منه وتتنمو بفضله وتتزين به مثل الطفل على الرغم من

إنه لا يعرف أمه ولا يدركها جيداً ، فإنه يتزين لها ويستمد القوة منها مثل الفاكهة التي تتزين على غصن الشجرة وتحلو في المذاق وتنضج ولا نعلم شيئًا عن الشجرة نفسها وهؤلاء الأنبياء يكبرون على الرغم من أنهم لا يعرفون أصواته وحديثه، لكنهم يستمدون القوة منه، وعلى الرغم من أنهم لا يتصلون به، ويتربون بهذا الشكل ووسط هؤلاء النفوس يوجد شيء بعالم عظيم لأولئك أصحاب الرأى والعقل والصوت، ألا ترى أن جميع الناس يرغبون في زيارة المجانين ويقولون إن ذلك الشيء الذى يصدر عن المجانين أنه صحيح على الرغم من أنه قد يبدو خطأ ، لأن ذلك الشيء لا يستوعبه العقل الإنساني وليس كل شيء يمكن للعقل أن يستوعبه، إذ إن كل جوز مدور وليس كل مدور جوزاً والدليل على ذلك كما قلنا على الرغم من أن هذا الشيء قد يكون له نفس الحالة ، لكنه يختلف عنه في القول والضبط !؟

ولكنه يستمد القوة من العقل والروح وينمو بهذا الشكل، ولا يوجد هذا بين المجانين الذين يزهلون عن أنفسهم ولا يستريحون مطلقًا على الرغم من أن هؤلاء يظنون أنهم استراحوا ولا تعتبر ذلك راحة مثل الطفل الذى انفصل عن أمه وقد استراح قليلاً من الوقت ونحن لا نعتبر ذلك راحة لأنه أخطأ ويقول الأطباء أن كل ما يجعل المزاج حسناً عن رغبات يقوى الشخص ويجعل الدم صافياً، ولكن عندما يتحسن المزاج بدون سبب قضاء وقدراً فإننا لا نعتبر ذلك مصلحاً للمزاج ومثل ذلك مثل مَنْ يأكل الورد ويبدو الورد له حسناً ، نحن لا نعتبر ذلك مصلحًا للمزاج على الرغم من أن طعم الورد قد راقه ومثل ذلك مثل الصفراء ويبدو الملح حسنًا لها والسكر غير حسن ولا قيمة لكون ذلك حسنًا : لأنه بناء على ذلك فإن الحسن هو الذى يشفى من العله أولاً .

ومثل هذا مثل الشخص الذى تقطع يده أو تكسر فتصبح معوجة فيأتى الطبيب ويجعلها مستقيمة ويعيدها إلى مكانها ، وقد يبدو ذلك أمر سيئًا للشخص حتى إنه يتألم وهكذا يستقيم اعوجاج يد الرجل ويقول الجراح بذلك أول الأمر حسنًا إن يدك استقامت واسترحت بذلك ولولا الاعوجاج ما كان التألم ، والآن فلو أن ذلك الاعوجاج بدا لك حسنًا فإن هذا التحسن كاذب ولا اعتبار له، ومثل ذلك مثل الأرواح تتحسن فى عالم القدس من ذكر الله وتستغرق فى الحق . ومثل ذلك مثل الملائكة الذين يتألمون بسبب الأجسام وتصيبهم العلة وأكل الورد قد يبدو حسنًا ومع ذلك فإن الأنبياء والأولياء هم الأطباء يقولون إن ذلك لا يبدو حسنًا لك وهذا الشىء الذى يبدو حسنًا كذب، وقد يبدو شىء آخر حسنًا لك اكنك نسيته، وتحسن المزاج الأصلى هو الأساس فى هذا الأمر ؛ لأن المزاج يتحسن وتبدو لك هذه العلة حسنة وتظن أنت أنها كذلك .

ويُروى أن عارفًا كان قد جلس أمام أحد النحاة فقال النحوى أن الحديث لا يخرج عن ثلاثة، (اسم وفعل وحرف) فمزق العارف ثيابه قائلاً، وا أسفاه لقد ضاع من عمرى عشرون عامًا من السعى والطلب ، وقد جاهدت على أمل أن أكون خارج الحديث، فضيعت أنت أملى ومهما يكن من أن العارف قد وصل إلى مقصوده بذلك الحديث إلا أنه قد نبه النحوى بتلك الطريقة .

رويا أن الحسن والحسين رضى الله عنهما رأيا شخصًا فى حالة الطفولة وكان يتوضأ وضوءًا غير صحيح فأرادا أن يعلماه الوضوء الصحيح بطريقة أفضل فجاءا إليه وقالا إنك تخطئ الوضوء وسوف نتوضأ نحن أمامك فانظر كيف يكون الوضوء الصحيح وبالفعل توضأ

الاثنان أمامه قال : أيها الأبناء إن وضوعكما صحيح وحسن وسليم لكنه صعب وكان وضوئى غير صحيح .

ومثل ذلك مثل ضيف يأتى إلى بيت فيقوم أهل البيت بتجميل البيت وتزينيه ويقدمون الطعام له، ألا ترى أن الطفل الصغير يكون ثيابه صغيراً وأفكاره صغيرة ولا يعرف فى البيت الذى يعيش فيه سوى اللبن وأمه ؛ فإذا كبر زادت ضيوف الأفكار وكبرت عن العقل والإدراك والتميز والبيت وغير ذلك، أتت ضيوف العشق، ولم يعد البيت يستوعب كل ذلك، فيهمل ذلك البيت وتشيد عمارات جديدة، كما أن ستائر الملك وجيشه وحشمه ، أشياء تتزايد عن استيعاب البيت وتغدو الستائر غير جديرة بالوضع الجديد وهكذا يبدو المقام الرفيع حشماً لا حد له وإذا علقت تلك الأستار فإن كلها تبعث على الضياء وتزيل الحجب وتظهر كل شيء خفى، وهذا على خلاف هذه الأستار فى هذا العالم الذى يزيد من الحجب وتلك الأستار ، هذا على عكس تلك الأستار الأخرى .

إنى لأشكو خطوبًا لا أعينها

ليجهل الناس من عذرى ومن عزلى

كالشمع يبكى ولا يدرى أعبرته

من صحبه النار أم من فرقة العسل

قال شخص إن القاضى أبو المنصور الهروى / قال هذا وأن القاضى منصور متردد ومتلون ، إلا أن أبا المنصور لم يبال بهذا وقال صراحة إن جميع العالم أسير القضاء والقضاء أسير الشاهد ، وأن

الشاهد يظهر ولا يختفى فقال اقرأ صفحة من أحاديث القاضى فقرأ، وبعد ذلك قال : إن العباد لله، وعندما يرون امرأة فى عباءة يقولون ارتدى النقاب حتى لا نرى وجهك فلا نعلم مَنْ هذا الذى يسير فإذا تغطيت مُرى فلا نراك فيحدث لنا من جراء ذلك تشويش تُرى مَنْ يكون هذا وأنا لست ذلك الشخص الذى أرى وجهك فأفتن بذلك وأتعلق بك، وقد طهرنى الله منكم وأبعدنى عنكم وأنا فى أمن من ذلك ؛ فلو شاهدناكم فسوف يحدث لى تشويش وفتنة فلا أريد أن أرى شيئًا فأفتن بسبب ذلك .

وهذا يخالف طائفة أخرى وهى أهل النفس الذين إذا رأوا وجوه الحسان وفتنوا بها واضطربوا ، وكان جديراً بهم أن لا يروا الحسان حتى لا يفتنوا بهن، فمثلاً نرى أهل القلوب لا ينظرون إلى أولئك الحسان ومن ثم لا يفتنون بهن ، وقال شخص أن الشخص لا يكون عاشقًا فى خوارزم لأن الحسان كثيرات بها ، فإذا رأوا شاهدًا أو جميلاً وتعلقوا بها رأوا بعد ذلك مَنْ هى أفضل منها ، ومن ثم لا يتعلق القلب بشاهد لهذا السبب .

وقال عندما لا يكون الشخص عاشقًا لجميلات خوارزم فإنه يجب أن يعشق على الأقل خوارزم ؛ إذ إن فيها العديد من الجميلات، كما أن خوارزم التى يشاهد فيها حسان لَسْن من البشر وصورهن الروحانية لا حد لها وإن كل من يرى واحدة جميلة يرى أخرى أجمل منها فينسى التى رأها فى بداية الأمر .

ويحدث هذا إلى مالا نهاية، فلا يتجاوز عشقنا النفس طالما أن الحسان فى زيادة ؛ فإذا رأيت واحدة رأيت أجمل منها ، وبهذا يمكن أن نرى فى النفس العديد من الحسان البديلات .

فصل

راح سيف البخاري إلى مصر، وكل أحد يحب امرأة يعشق مرآة صفاته، وفوائده وهو لا يعرف حقيقة وجهه وإنما يحسب البرقع ومرآة البرقع مرآة وجهه أنت ، انكشف وجهك حتى تجد معنى مرآة لوجهك وأثبت عندك أني مرآة قوله تحقق عندي، أن الأنبياء والأولياء على ظن باطل، ما ثم شيء سوى في المعنى، قال أتقول هذا جزافًا أم ترى وتقول ما كنت ترى وتقول فقد تحققت الرؤية في الوجود وهو أعز الأشياء في الوجود وإتمرفها وتصديق الأنبياء لأنهم ما ادعوا إلا الرؤية وأنت أقررت به ثم الرؤية لا تظهر إلا بالمرئي، لأن الرؤية من الأفعال المتعدية لابد للرؤية من : فأما المرئي فمطلوب والرائي طالب أو على العكس فقد ثبت بإنكارك الطالب والمطلوب والرؤية في الوجود فيكون الألوهية والعبودية قضية في نفيها وإثباتها وكانت واجبة الثبوت البتة ، قيل أولئك الجماعة مريدون لذلك المغفل ويعظمونه قلت لا يكون ذلك الشيخ المغفل أدنى من الحجر والوثن ولعبادها تعظيم وتفخيم ورجاء وشوق وسؤال وحاجات وبكاء وما عند الحجر شيء من هذا ولا خبر ولا حس من هذا ! فالله تعالى جعلها سببًا لهذا الصدق منهم وما عندهم خبر ذلك الفقيه كان يضرب صبيًا فقيل له لماذا تضربه ؟ وما ذنبه ؟ قال أنتم ما تعرفون هذا ولد الزنا فاعل ضايع، قال أيش فعل ايش جنى ، قال جني ، قال يهرب وقت الإنزال

يعنى عند التخميش يهرب خياله فيبطل على الإنزال ، ولاشك أن عشقه كان مع خياله وما كان للصبى خير من ذلك، فكذلك عشق هؤلاء مع خيال هذا الشيخ البطال وهو غافل عن هجرهم ووصلهم وحالهم ولكن وإن كان العشق مع الخيال الغالط المخطئ موجب الوجد لا يكون مثل المعاشقة مع معشوق حقيقى خبير بصير بحال عاشقه كالذى يعانق فى ظلمة أسطوانة على حسبان أنه معشوق ويبكى ويشكو فى اللذاذة شبيهاً بمن يعانق حبيبه الحى الخبير .

فصل

عندما يفكر شخص فى السفر ويعزم التوجه إلى مكان فإن ذلك يبدو فكرة معقولة قائلاً لنفسه :

لو أننى ذهبت إلى ذلك المكان فإن كثيراً من الأمور والأعمال سوف تتيسر لى ، وسوف تستقر أحوالى ويسعد أصدقائى ، وستكون لى الغلبة على الأعداء ، إلا أن إرادة الله شىء آخر مع أنه اتخذ بعض التدابير وفكر فى بعض الأفكار ، إلا أن كل ذلك لم يتيسر له ، ومع هذا فإنه يعتمد على مراده وعلى تدابيره (والفلاح فى تدابير الله سبحانه) .

يتدَبَّر العبد ولا يعلم القضاء والقدر

وأن الله بيده هذا القضاء والقدر

ومثل ذلك أن شخصًا يرى حُلمًا فى المنام : أى أنه سقط غريبًا فى مدينة وهناك لا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد، فيحتار، فيتألم هذا الرجل ويحزن قائلاً لماذا جئت لهذه المدينة فليس لى فيها صديق أو أحد أعرفه ويضرب يداً بيد وتمتعض شفتاه ضجراً، وعندما يستيقظ لا يرى مدينة ولا ناسًا ، ويتضح له بعد ذلك أن حزنه لم يكن هناك ما يبرره فيندم ويدرك أن تلك الحالة غير صحيحة ، وعندما يذهب ثانية إلى النوم يرى نفسه صدفة فى مثل المدينة المذكورة فيبدأ فى الحزن ويندم على مجيئه

إلى تلك المدينة إذ إنه لا يرى في هذه المدينة أحداً ولا يتذكره أحد ، وكنت قد ندمت في اليقظة على ذلك الحزن وعلمت أن ذلك حلم وليس حقيقة، والآن فإن الناس قد رأوا مئات الآلاف من المرات أن تدابيرهم ومشورتهم أمور باطلة وأن شيئاً واحداً لم يتحقق وفقاً لرغباتهم ، إلا أن الله سبحانه يختار لهم النسيان، فينسون كل ذلك ، ويعيدون النظر في أفكارهم ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ ﴾ [سورة الأنفال : الآية ٢٤] .

فصل

كان قد ذهب إبراهيم بن أدهم (رحمة الله عليه) - وقت الملك - إلى الصيد وأخذ يتعقب غزالاً حتى إنه انفصل عن الجيش تمامًا وابتعد عنه وأجهد حصانه بسبب المطاردة ، وعندما تجاوز الحد في تلك الصحراء، تحدث الغزال ونظر نحو إبراهيم بن أدهم وقال : ما خلقت لهذا ولم يكن وجودي لذلك السبب حتى تصيدني ، ولنفترض أنك صدتني فماذا سيحدث وعندما سمع إبراهيم هذه الإجابة صاح ونزل من فوق جواده، ولم يكن هناك أي شخص موجود في هذه الصحراء باستثناء راعٍ كان بصحبته، فقال له خذ مني الملابس الملكية ولا تقل لأي شخص ولا تخبر أحداً بأحوالي، فتغطى بقطعة الصوف تلك وسار في طريقه ، والآن انظر إلى غرضه ماذا كان ؟

وماذا كان مقصود الله سبحانه وتعالى : إذ إنه أراد أن يصيد الغزال فجعل الله سبحانه وتعالى إبراهيم بن أدهم صيداً للغزال حتى تعلم أن الملك قد تغير حاله ومراده وأصبح مستغنيًا عن ملكه وتابعًا لمقصوده .

وقبل الإسلام دخل عمر ﷺ بيت أخته ؛ إذ كانت تقرأ القرآن ﴿ طه ① ما أنزلنا ﴾ [سورة طه : الآية ١-٢] بصوت عالٍ وعندما رأته

أخته أخفت القرآن وصمتت ؛ فجرد عمر السيف من غمده ، وقال تحدثى على الفور ماذا كنت تقر أين ؟ ولماذا أخفيت القرآن ؟ ! وإلا قطعت عنقك بهذا السيف ولا يوجد أمان عندى وخافت أخته خوفًا شديدًا ؛ إذ إن شقيقته كانت تدرك غضبه ومهابته، ومن الخوف على حياتها اعترفت ، وقالت كنت أقرأ هذا الكلام الذى أنزله الله فى هذا الزمان على محمد رسوله ﷺ ، قال اقرئى حتى اسمع، فتلت عليه سوره (طه) وغضب عمر كثيرًا بل وزاد غضبه مئات المرات ، وقال والآن لو قتلتك لكان معى حق ، لكن أولاً سوف أذهب وأقطع رأسه وحينئذ سوف أنظر فى أمرك أنت وهكذا جرد عمر سيفه من غمده وتوجه إلى مسجد الرسول ﷺ وفى الطريق عندما رأى صناديد قريش أن عمر يتوجه إلى محمد ﷺ أدركوا أن أمرًا ما سوف يحدث ؛ لأنه كان مشهورًا عن عمر أنه كان قويًا ورجلاً حقًا وما ذهب إلى أى جيش إلا تغلب عليه وقطع رءوس جنده إلى درجة أن المصطفى ﷺ كان يقول دائمًا اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين، عمر بن الخطاب وأبى جهل ؛ لأن الاثنين قد اشتهرا فى ذلك الوقت بالقوة والرجولة، وفى النهاية عندما أسلم عمر رضي الله عنه كان دائمًا يبكى عمر ويقول يا رسول الله واحسرتاه علىّ لماذا قدمت أبا جهل علىّ وكنت تقول اللهم أعز الدين بأبى جهل أو بعمر ، والآن فقد أسلمت وبقى هو فى الضلال وفى النهاية فقد توجه عمر بن الخطاب بسيفه إلى مسجد الرسول ﷺ ، وفى تلك الأثناء جاء جبريل عليه السلام بالوحى على الرسول ﷺ أن عمر بن الخطاب سوف يأتى يا رسول الله ، وإنه سوف يُسلم فخذ بيده ؛ إذ إن عمر قد دخل المسجد وقد كان قد رأى عمر أن شعاعًا

من النور يسطع من جبين الرسول ﷺ ، وقد استقر هذا الشعاع فى قلب عمر ﷺ ، ففقد وعيه وسيطر العشق عليه ، وكاد أن يتلاشى بسبب المحبة فقال الآن يا نبى الله اعرض الإيمان وقل تلك الكلمة المباركة حتى اسمعها وعندما أسلم قال الآن جئت بسيفى مجرداً لكى أنال منك لأقضى عليك وبعد ذلك استمع إلى كل ذم فيك فخرج فجأة من المسجد أبوه وتقدم ، وقال أغيرت دينك وفي الحال فصل رأسه عن جسده وأخذ يسير بسيفه الملوث بالدم وعندما رأى صناديد قريش سيفه قالوا : لقد صدق عمر وعده عندما قال سوف أقطع رأس محمد ﷺ وها هو يأتى حاملاً هذه الرأس قال عمر : لا هذه ليست رأس محمد ﷺ ، هذه رأس أخرى والآن انظر ماذا كان يقصد عمر ، وماذا أراد الله لعمر حتى تعلم أن الأمور جميعها تسير وفقًا لمشيئة الله .

(أتى عمر قاصداً الرسول والسيف بيده، فسقط فى فخ الله وتغير حاله)

والآن لو أنهم يقولون لكم : ماذا أحضرتم قولوا لقد أحضرنا رأساً وقد رأينا هذه الرأس وليست هذا ولا ذاك، أنها رأس آخرى فيها سرٌ لا يُشترى بالمال فقرأوا هذه الآية :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٢٥] .

فقال إبراهيم (: يا إلهى عندما شرفتنى إخترت رضاك واخترت

لي ذرياتي، فارزقني هذه الكرامة قال الحق تعالى : ﴿ لا ينالُ عهدي الظالمين ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٢٤] .

أي أن أولاد الذين هم في ظلمة لا يستحقون خلعتي وكرامتي.

وعندما علم إبراهيم أن الله سبحانه لا يهتم بالظلمة والطغاة وقد اتخذ قيداً ، قال يا إلهي إن أولئك آمنوا وليسوا ظلمة فارزقهم واجعل لهم نصيباً ولا تحرمه عنهم ، فقال الحق تعالى إنه رزق عام ويرزق الجميع منه ويستفيد من هذا الرزق جميع الناس، إلا أن خلعة الرضا والقبول والتشريف بالكرامة من نصيب الخاصة ، ويقول الصفوة من أهل الظاهر إن الغرض من هذا البيت هو الكعبة وكل من يلجأ إليها يجد الأمن : مثلاً الصيد محرم فيها ولا يجب لأي شخص أن يؤذي هذا الصيد فقد اختاره الحق تعالى. وهذا صحيح وحسن إلا أن هذا هو ظاهر القرآن .

ويقول المحققون إن المقصود بالبيت الداخلي للإنسان أي يا إلهي أبعد عن باطننا الوساوس والمشاغل النفسية وطهر أفكارنا الفاسدة والباطلة حتى لا يكون هناك أية مخاوف . ويصبح الأمن ظاهراً ويكون محل وحيك فلا يكون فيه وساوس مثلما اختار الحق تعالى الشهب للسماء حتى يمنع الشياطين، وللاستماع للأسرار فإن الملائكة يحرصون أن لا يدرك أحد أسرارهم . ويظل هؤلاء بعيدين عن الآفات. أي يا إلهي اجعل من لدنك حفظة على بواطننا حتى تبتعد الوساوس والشياطين وحيل النفس والهوى، وهذا قول أهل الباطن والمحققين .

وكل من يتحرك من مكانه يدرك أن القرآن على وجهين أو تفسيرين، والبعض يستفيد من هذا الوجه والبعض الآخر يستفيد من ذاك، وكلاهما صحيح وعندما يريد الله سبحانه فإن القومين يستفيدان منه مثل الزوج للزوجة والابن الرضيع لكليهما حظ منه .

فالطفل يجد لذة في ثدي الأم ولبنها، ويجد الزوج لذة مضاعفة، والناس أطفال طريق يجدون لذة في القرآن في الظاهر ويشربون اللبن ، إلا أن أولئك قد وجدوا الكمال وفي معاني القرآن لهم رؤية أخرى وفهم آخر

والمقام ومصلى إبراهيم هو مكان حول الكعبة يرى أهل الظاهر وجوب الصلاة في ذلك المكان كأن يصلي ركعتين وهذا حسن إي والله إلا أن مقام إبراهيم عند المحققين : يا إبراهيم عندما تلقي نفسك في النار من أجل الحق فإنك تصل إلى ذلك المقام وهو سعي في طريق الحق وهو اقتراب من هذا المقام الذي ضحى بنفسه إبراهيم في سبيل الحق . أي أنه لم يعد يرى أي خطر في هذه النار ، ولم يعد يرتعد وفي مقام إبراهيم فإن الصلاة ركعتين أمر واجب إلا أن مثل تلك الصلاة في قيامه في هذا العالم وركوعه في ذلك العالم يُقصد به من الكعبة قلب الأنبياء والأولياء الذين هم موضع الوحي الحقيقي والكعبة فرع من ذاك فإن لم يكن هناك قلب فأي قيمة للكعبة فقد ترك الأنبياء والأولياء مرادهم تماماً وأصبحوا تابعين لمرادهم الحق وكل من يقول غير ذلك غير صحيح إذا أنه يضيق ذرعاً بهذا التفسير ويبدو مثل هذا الابن أو الشخص عدواً في أنظارهم

وقد مُنحت عنان قلبك فى يدك حتى ينصلح أمرك، وكل ما أقوله مثال وليس مثلاً وهناك مثال آخر والحق تعالى مشبّه نفسه بالنور فى المصباح ووجود الأولياء فى الزجاجة مثال ولاحد لنوره فى الكون والمكان ومتى استوعبت الزجاجة والمصباح مشارق أنوار الحق جل شأنه .

وعندما تكون أنت طالباً لذلك، فإنك تجده فى قلبك وهذا لا علاقة له (بالمكانية) وأن نوره تجده مثلما تجد صورتك فى المرآة مع أن صورتك ليست فى هذه المرآه فعندما تنظر فى المرآة ترى أشياء قد تبدو غير معقولة، وعندما يعتبرون أن ذلك الحديث مثالاً فإنه يصبح معقولاً ، وعندما يصبح معقولاً يصبح محسوساً مثلما يغمض شخص ما عينه فيرى أشياءً عجيبة ويشاهد صوراً وأشكالاً محسوسة، فإذا فتح عينيه لا يرى شيئًا ولا يعتبر الشخص أن ذلك معقولاً فلا يصدقه إلا عندما يعتبر ذلك مثالاً أو كأن يرى شخص فى المنام مائة ألف شخص وعندما يستيقظ لا يرى شيئًا من ذلك بل يرى شيئًا واحداً ومثل ذلك مثل المهندس الذى يتصور فى ذهنه بيتًا وقد لا يبدو عرض البيت وطوله وشكله واضحًا لهذا الشخص إلا عندما ينقل المهندس هذه الصورة المتخيلة على الورق فيصبح ذلك معقولاً ويشيد البيت ويحدده وتبدو كيفيته معقوله بعد ذلك يصبح هذا الأمر معقولاً ومحسوساً .

وتخيل ذلك مثلما نتخيل العالم الآخر وما فيه من ملائكة وعرش ونار وجنة ولا يمكن أن يكون الميزان والحساب والكتاب أموراً معلومة حتى تتبدل بمثال على الرغم من أنه لا يكون فى هذا العالم مثل إلا ويتحدد

بمثال ، ومثال ذلك فى هذا العالم أنه قد ينام جميع الناس ليلاً بدءًا من صانع الأحذية والملك والقاضى والخطاط وغير ذلك جميعهم يستغرقون فى تفكيرهم وهم نائمون ولا يكون هناك أى وعى لأى شخص أثناء النوم فإن الله سبحانه يحيى ذرات الأجسام وكل شخص من هؤلاء الأشخاص حامل لرسالة ولا يبدو هناك أى خطأ ويستوى فى ذلك فكر الترزى إلى الترزى وفكر الفقيه إلى الفقيه وفكر الحداد إلى الحداد وفكر الظالم إلى الظالم وفكر العادل إلى العادل ومثلاً أن صانع الأحذية يستيقظ نهاراً ؛ لأنه سيكون مشغولاً بعمله حتى تعلم أنه فى ذلك العالم يوجد مثيل وهذا ليس أمرًا مستحيلاً وهو واقع فى هذا العالم، ولو أن شخصًا يخدم هذا المثال ويتخيله فإنه يشاهد كل أحوال ذلك العالم فى هذه الدنيا ويصبح كل ذلك مكشوفًا له حتى يعلم أنه يستوعب كل شىء بقدرة الحق.

وما أكثر العظام التى تراها فى القبر متعفنة ، إلا أنها مرتبطة بالراحة ، كما أن ذلك النائم ثمل ومستريح وهو مدرك لتلك اللذة والسكُّر، وهذا ليس عبثًا ؛ إذ إنهم يقولون إذهب إلى القبر لتسعد ! .

(أمدَّ الله فى عمر ذلك القمرى الوجه مائة عام وأثلج صدرى به) .

(وقد مات القلب السعيد عند قبره، يارب أسعد رفاته) .

والمثال فى عالم المحسوسات واقع مثلما نام شخصان فى سرير واحد، فيرى أحدهما نفسه بين الحسان والروض والجنة ، ويرى الآخر نفسه وسط الحيايا وزبانية جهنم والعقارب. ولو بحثت جيداً لن ترى

بينهما هذا ولا ذاك . إذن ليس عجيبًا أن تكون أجزاء البعض فى لذة وراحة وسكر فى القبر ويكون البعض الآخر فى عذاب وألم ومحنة، وبعد ذلك سيتضح أن غير المعقول سوف يصبح معقولاً بالمثال، ولا يتغير المثال بالمثال وذلك كأن يعتبر العرف السعيد فى السعادة والبسط ربيعاً ويعتبر الحزن والضيق خريفاً .

إذن السعادة فى الربيع والحزن فى الخريف من باب الصورة إلا أن هذا المثال أو المعنى لا يمكن إدراكه بدون العقل مثلما يقول الحق تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير (١٩) ولا الظلمات ولا النور (٢٠) ولا الظل ولا الحرور ﴾ [سورة فاطر : الآية ٢١:١٩] والإيمان يرتبط بالنور ، والكفر يرتبط بالظلمة أو كأن يربط بين الإيمان والظل الظليل ، ويربط بين الكفر والشمس الحارقة التى تجعل العقل يغلى لشدة حرارتها .

فالضياء واللطف يرتبطان بالنور فى هذه الدنيا ، ويرتبط الكفر بالظلام فى هذا العالم .

لو أن شخصاً نام أثناء حديثنا فإن ذلك النوم لا يكون بسبب الغفلة بل بسبب الأمن، وهذا مثل القافلة التى تسير فى طريق قفر موحش فى ليل دامس وتواصل السير حتى تأمن شر العدو ، وبمجرد أن تسمع صوتًا لكلب أو ديك تقبل تلك القافلة على القرية ويستريح أصحابها وينامون فى أمن ودعة وأى طريق لا يُسمع فيه أصوات الحيوانات والضجيج لا يشعرون فيه بالنوم أبداً ؛ إذ إنهم ينامون لوجود الأمن فى القرية ويستأنسون بأصوات الكلاب والديكة وحديثنا مبعثه الأمن والحياة .

وحديث الأنبياء والأولياء والأرواح مختلف ؛ إذ إن هؤلاء عندما يسمعون حديث المعارف فإنهم يتخلصون من الخوف ؛ لأن الأمن يصدر عن طريق هذا الحديث وكذلك السعادة . وهذا مثل شخص يسير في قافلة في ليل دامس ويتخيل في كل لحظة أن اللصوص سوف يهاجمون القافلة، وهو يريد أن يسمع حديث رفاقه ؛ فإذا سمع حديثهم امتلأ بالأمن والأمان قل يا محمد اقرأ لأن ذاتك لطيفة والا [illegible] وعندما تتحدث فإن الأرواح تشعر بالأمن وتستريح

كفى بجسمي نحولا أنني رجل

لولا مخاطبتي إياك لم ترني

وهذا مثل حيوان يعيش في روض ولا يراه أحد بسبب صغره المتناهي فإذا أصدر صوتا رأوه وبواسطة هذا الصوت يستغرق الناس في روض الدنيا ولا تظهر ذاتك بسبب الصفاء المتناهي، فتحدث حتى يعرفك وعندما تريد أن تذهب إلى مكان فإن قلبك يذهب أولاً ويرى ويطلع على تلك الأحوال، فمن يفتح قلبه يسيطر على بدنه ، والآن فإن جميع الناس مجرد أجسام للأولياء والأنبياء وسط عالمهم وأولًا فإنهم يتحولون في ذلك العالم ويخرجون من بشريتهم وجلودهم ولحمهم .

وقد اطلعوا على جميع الاتجاهات في ذلك العالم وقطعوا المنازل حتى صار معلومًا لهم أن الطريق الذي ساروا فيه من حيث أتوا ويدعون الناس حتى يأتوا إلى ذلك العالم الأصلي، أن هذا العالم خراب ودار فانية وقد وجدنا المكان المناسب لنخبركم . إذن أصبح معلومًا أن قلبي ملازم لجميع الأحوال ولا حاجة له لقطع المنازل والخوف من قطاع الطريق أو بردعة البغل والشخص المسكين هو المقيد بكل ذلك .

(قلت للقلب أيها القلب إنك محروم بسبب الجهل من خدمة مَنْ تعرفه)

(قال القلب : إنك تخطئ في قراءتك، فأنا ملازم للخدمة وأنت حائر)

وحيثما كان هذا حالك اجتهد حتى تكون محبًا وعاشقًا فإذا أصبحت المحبة ملكًا لك كان الجميع محبًا لك في القبر وفي الحشر وفي الجنة إلى ما لا نهاية فإذا زرعت قمحًا فإنه سوف يثمر قمحًا ، وسوف يخزن نفس هذا القمح في مخازنه ثم يخبزُ في الفرن .

وأراد المجنون أن يكتب رسالة إلى ليلى فأمسك القلم وقال هذا البيت:

خيالك في عيني واسمك في فمي

وذكرك في قلبي فإلى مَنْ أكتب

فأنت في كل هذه الأماكن ؛ فكسِّر القلم ومزِّق الورق ، وكم من الأشخاص الذين امتلأت قلوبهم بهذه الأحاديث ولا يستطيعون أن يعبروا عنها إلا لو كان هذا الشخص عاشقًا وطالبًا ومحتاجًا ، فأي عجب في ذلك هذا لا يمنع العشق ، بل إنه أصل القلب والعشق والمحبة مثل الطفل العاشق للبن ويجد فيه المدد ويستمد القوة منه ، ومع هذا فلا يستطيع أن يصف ذلك أو يعبر عنه ؛ فأنا أستمتع بشرب اللبن وبدونه أصبح ضعيفًا ومتألمًا، على الرغم من أن روحه عاشقة للبن وعلى الرغم من أن البالغ يشرب آلاف الأنواع من اللبن ويصفه ، فإنه لا يستمتع به ولا يحظى أيضًا به .

فصل

ما اسم ذلك الشاب؟ قال سيف الدين إن السيف فى الغمد ولا يمكن رؤيته، وهو سيف الدين لأنه يحارب من أجل الله ويجتهد جداً من أجل الحق، ويميز الصواب عن الخطأ والحق عن الباطل، إلا أن الحرب الأولى يبدؤها مع النفس ويهذب أخلاقها (ابدأ بنفسك) ويوجه كل النصائح إلى النفس، وفى النهاية أنت إنسان لك يد وقدم وأذن وعقل وعين وفم وكذلك الأنبياء والأولياء الذين اشتهروا ووصلوا إلى مبتغاهم كانوا بشراً ولما كان لهم أذن وعقل ولسان ويد وقدم ؛ فماذا يعنى أن يرشدهم ويفتح لهم الأبواب .. كما أنه يصارع نفسه ليل نهار، فماذا فعلت أنت وأية حركة صدرت عنك ؟ حتى لا تصبح مقبولاً فتكون سيف الله ولسان الحق، وعلى سبيل المثال هناك عشرة أشخاص يريدون أن يذهبوا إلى البيت، فيسير تسعة أشخاص منهم ويخرج شخص واحد منهم (العاشر) فلا يسمحون له بذلك .

ولاشك أن هذا الشخص سيفكر مع نفسه ويضيق قائلاً يا له من أمر عجيب ماذا فعلت حتى لا يدخلونى ، وماذا قصرت حتى يجب معاقبتى، ويعتبر نفسه مذنباً عديم الأدب، وهو لا يقول إن الحق يفعل هذا معى فماذا أفعل ؟ إنها إرادته فلو أراد لأفسح لى الطريق، وهذا

كناية عن سيف الحق وحده ربنا، وبهذا المعنى فإن السيف يكون على الحق وليس سيف الله. والحق تعالى منزه عن النفس والأقرباء. ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ [سورة الإخلاص: الآية ١].

ولا يرشد الله أحداً إلا عن طريق العبودية ﴿ والله الغني وأنتم الفقراء ﴾ [سورة محمد: الآية ٣٨].

ولا يجوز لأي فرد أن يقول إن ذلك الشخص وجد الطريق لأنه معروف أكثر مني أو أكثر قرباً فالله هو المعطي على الإطلاق، وهو الذي منح التراب الحياة وظهر فيه الورد والريح دون غرض أو سابقه لكل الكائنات في العالم تنعم بخيره، كذلك أنه عندما يسمع شخص أنه في القرية الفلانية يوجد شخص كريم، وأنه يجزل العطاء، فحتماً سيذهب هذا الشخص إلى ذلك الكريم حتى يحظى بشيء من إحسانه إذن عندما يكون أنعام الحق هكذا مشهوراً وأن جميع الكائنات تنهل من لطفه، فلماذا لا تتسوله! ولا تطمع في خلعته ووصله فلا تجلس كالعاطل وتقول لو أن الله يريد لأعطاني ومن ثم تتقاعس عن الطلب منه، بينما ترى أن الكلب الذي ليس له عقل أو إدراك إذا جاع وافتقد الطعام جاء إليك وهز ذيله: أي أعطني الطعام فلا يوجد طعام عندي، والطعام لديك، ولا شك أن هذا ينم عن التمييز، وفي النهاية أنت لست بأقل من الكلب الذي لا يرضى بذلك.

أي كلا ينام في التراب ويقول لو أراد الله لأعطاني فلابد من السعي مثلما يهز الكلب ذيله، فهز أنت أيضاً ذيلك واطلب من الحق وتسول فإن التسول أمام هذا المعطي ليس عيباً.

فإن لم يكن لك نصيب فاطلبه من شخص لا يكون بخيلاً وصاحب جاه، والحق العظيم قريب منك، وكل فكرة تفكر فيها يعلمها ؛ لأنه مبعث تلك الفكرة وذلك التصور ، إلا أنه لا يمكن رؤية الحق مهما تكن قريباً منه، ولا عجب في هذا فكل عمل تقوم به عن طريق عقلك وتبدأ به بالفعل، فإنه مرشد لهذا العقل ولا يمكن لأى عقل أن يرى ذلك على الرغم من أنك ترى ذلك بالأثر ولا يمكن أن ترى ذاته جل شأنه، وعلى سبيل المثال يذهب شخص إلى الحمام ، وحينما يذهب يجد المياه ساخنة وهو يدرك أن أثر الحرارة من النار إلا أنه لا يرى النار، وعندما يخرج يحدّد ذلك ويعلم أن الحرارة مصدرها النار ويعلم أن حرارة الحمام من النار، ووجود الإنسان مثل فكرة الحمام السابقة ؛ فالحرارة فيه هى العقل والروح والنفس كلها موجودة، إلا أنه عندما يخرج الإنسان (من الحمام !) ويرحل يرى ذات العقل وذات النفس ، ويشاهد ذات الروح ويعلم أن الدفء من حرارة العقل ، وأن تلك الحيل والأخطاء كانت من النفس أن الحياة أثر للروح .

ويرى كل شخص ذاته مثلما لا يمكن أن يرى فى الحمام تلك النار إلا بالأثر (السخونة). ومثل ذلك مثل ذلك الشخص الذى لم ير الماء الجارى فى حياته، ثم يلقون بذلك الشخص مغمض العينين في الماء ، فيشعر أن شيئًا رطبًا فوق جسمه إلا أنه لا يعلم ما هو فإذا فتح عينيه يدرك جيداً أن ذلك كان الماء وفي البداية يعلم ذلك بالأثر ويرى ذاته حينئذ، إذن تسول الحق واطلب الحاجة منه فإنه لا يرد أحداً : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة غافر الآية ٦٠].

كنا فى (سمرقند) وكان خوارزم شاه قد جعل من المدينة قلعة يحارب منها ويزود عنها، وكانت هناك فتاة عظيمة الجمال لا يوجد مثيل لها فى تلك المدينة، وكل لحظة كنت أسمع أنها كانت تقول : يا إلهى احفظنى من يد الظلمة ، وأعلم أنك لن تمكنهم من ذلك وأنا أعتمد عليك وعندما على المدينة وأسروا جميع الناس بها وكان من بينهم أيضًا تلك الفتاة ضمن الجوارى ولكن لم يمسها أذى ، ومع أنها كانت بكل هذا الجمال فإن أحداً لم يرها حتى تعلم أن الحق قد حفظها وسلمها من الآفات وأن الحوائج عنده لا تضيع .

وكان أحد الدراويش قد علّم ابنه أنه إذا أراد شيئًا قال أبوه له اطلبه من الله فإذا بكى كان يطلب ذلك الشيء من الله وحينئذ كانوا يحضرون ذلك الشيء حتى مر الحال على هذا المنوال سنوات .

وذات يوم كان قد بقى الطفل وحيداً فى البيت فطلب (هريسة) فقال على عادته المعهودة أريد هريسة فأحضر له من الغيب فجأة طبق من الهريسة وشبع الطفل ، وعندما جاء والداه، قالا ألم تطلب شيئًا؟ قال طلبت هريسه وأكلتها قال أبوه الحمد لله أنك وصلت إلى هذا المقام واعتمدت على قدرة الحق .

فأم مريم (ع) عندما ولدت مريم نذرت قائلة : إننى جعلتها وقفًا على بيت الله ولم تخبر أحداً بذلك وحدثت منازعة بين أهلها وكانت العادة أنذاك أن كل شخص يلقى عصاه فى الماء ومن تطفو عصاه فوقها يكون ذلك الشيء من نصيبه، وشاء القدر أن أصبح فأل زكريا حسنًا، فقالوا إنه الحق وكان زكريا كل يوم يحضر الطعام فيجد فى ركن

المسجد مثيلاً لذلك الطعام، قال يا مريم إني الوصي عليك ؛ فمن أين هذا الطعام ؟

قالت : عندما أحتاج للطعام فإنني أطلبه من الحق جل شأنه فيرسله لي، وكرمه ورحمته لا حدود لهما .

وكل من يعتمد عليه لا يضيع، قال زكريا يا إلهي طالما أنك تقضي للجميع حاجاتهم، فإن لي مطلبًا يسرّه وهبني ولدًا فأنا نصيرك، وبدون أن أحثه ، وأن تكون هناك مؤانسة له معك يصبح مشغولاً بطاعتك، فرزقه الحق بيحيى ، وبعد ذلك فإن أباه قد شاخ وضعف ولم تلد الأم في الشباب وكبرت في السن لكنها مع ذلك رأت الحيض وحملت حتى تعلم أن كل شيء أمام قدرة الحق وسيلة وسبب وكل شيء منه ؛ فهو الحاكم المطلق في جميع الأشياء، والمؤمن الحق يعلم أن الله مطلع على أحوال الجميع ؛ ويرى أنه على الرغم من أننا لا نراه فهذا يقين عنده، وهذا خلاف لذلك الشخص الذي يقول إن كل ذلك حكايات وأنه لا يصدقها ولا يصدق أن يأتي الرزق حتى يصيبه الله بأذى بسيط فيندم ويقول آه أسأت القول وأخطأت وكل ما كنت أنفيه أنت تعلمه وتعلم أنني إذن جسد وأنت القائم على كل شيء فيه ، فالربوبية هي الصلاة ، وأنت كل يوم تقوم وتركع وتسجد من أجل هذا الغرض ، ويجب أن تظهر هذه الحالة أو الطلب في الصلاة، فهو معك دائمًا سواء كنت في نوم أو يقظة، سواء كنت تكتب أو تقرأ فهو معك في جميع الأحوال ، إذن يجب عليك تعمل وفق هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : الآية ٢] .

وبهذا فإن الحديث والصمت والأكل والنوم والغضب والعفو وجميع الأوصاف عبارة عن دوران طاحونة ، ولاشك أن دورانها بواسطة الماء، ولأنه جريها بدون ماء، إذن لو أن الطاحونة نفسها رأت دورانها لأدركت ما هى فيه من جهل، إذن فإن ذلك الدوران ميدان ضيق أو مثل مصغر ؛ لأن أحوال هذا العالم بيد الحق وتطلب من الحق وكل ما لا يتحقق لى فى عالم الجسد حققه لى فى عالم الأرواح .

ولما أن كل الحاجات مرتبطة به ورحمته بالنسبة إلى جميع الموجودات عامة، إذن أعرض حاجاتك من لحظة إلى أخرى ودائمًا أذكره فإن فى ذكره قوة للروح فإذا تُم مرادك كله كنت نورًا على نور، وذكر الحق ينوّر الباطن شيئًا فشيئًا ويكون لك بمثابة انقطاع عن العالم .

فمثلاً إذا أراد طائر أن يطير فى السماء ، وعلى الرغم من أنه قد لا يصل إلى السماء أنه يبتعد عن الأرض شيئًا فشيئًا ويرتفع فوق الطيور الأخرى فمثلاً قد يكون المسك فى حُق أو إناء ولا تفوح رائحته ولا تظهر هذه الرائحة حتى تخرجه من الإناء فلا يمكن إحضار المسك إلا أن تتعطر به فيبدو طيبًا للمشام ، وهكذا يكون الحق جل شأنه ؛ فعلى الرغم من أنك لا تصل إلى ذاته بذكره تصل إلى أثره جل جلاله ، ويحدث فيك فوائد عظيمة بذكره سبحانه .

* * *

فصل

إن الشيخ إبراهيم درويش عزيز علينا ، وعندما أراه يذكرني بالأصدقاء، وقد كانت لمولانا شمس الدين عناية عظيمة به، وكان يقول دائمًا إن شيخنا إبراهيم جمع بيننا والعناية في عرفه شيء آخر والاجتهاد أمر آخر ، ولم يصل الأنبياء إلى مقام النبوة بسبب الاجتهاد بل وجدوا تلك العظمة بالعناية ، ويحدث هذا للشخص الذي تكون سيرته وحياته مرتبطة بالاجتهاد والصلاح ، وذلك أيضًا يحدث للعوام، حتى يعتمدوا على أقوالهم ولا تسقط نظرتهم على الباطن، ولما أن العوام يتابعون الظاهر وبواسطته وفضله يصلون إلى الباطن، فمثلاً كان فرعون يجتهد اجتهاداً عظيماً ولم يقصر في البذل والإحسان وتشر الخير ولكن عندما لم تكن هناك عناية فلا شك أن طاعته واجتهاده وإحسانه لم يكن يمثل له نوراً يرشده فبدا كل شيء له مظلماً، ومثل هذا أمير يُحسن إلى أهل القلعة ويجذل العطاء لهم لكن غرضه هو أن يتمرد على الملك ويعصي ولاشك أن إحسانه المذكور لا قيمة له ولا يعد نوراً على الرغم من أننا لا يمكن أن ننفي العناية تمامًا عن فرعون ، وقد تكون هناك عناية خفية من قبل الله تجاه فرعون ولمصلحته يصدُّه ، ويجب أن يكون للملك غضب ولطف وخلعة وسجن ولا ينفي أهل القلوب العناية به تماماً

إلا أن أهل الظاهر يعتبرونه مردوداً تماماً، والمصلحة فى اتخاذ العبرة من وراء ذلك كأن يعلق الملك شخصًا على المقصلة ويعلق هذا الشخص فى مكان عالٍ وسط الناس، وعلى الرغم من أن هذا الأمر يمكن تنفيذه فى بيت ؛ فإن الناس يجب أن يروه حتى يأخذوا العبرة ويُنفذ الحكم ويَمْثُل الجميع لأمر الملك وليست كل المشانق من خشب فالمنصب والرفعة والعظمة فى الدنيا مشنقة عظيمة ، فعندما يريد الله سبحانه أن يبتلى شخصًا يمنحه فى الدنيا منصبًا عظيمًا وملكًا واسعًا مثل فرعون ونمرود وأمثالهما فكل ذلك مثل المشنقة أو المقصلة التى يعدها الله سبحانه لهم حتى يطلع الناس جميعًا عليهم .

لأن الحق تعالى يقول : كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعُرف فخلقت العالم كله والغرض من كل ذلك يظهر لنا حينًا فى لطف وحينًا فى قهر ، وهذا ليس مثل الملك الذى يكون له معرّف ؛ فلو أن ذرات العالم كلها كانت معرّفة لقصرت وعجزت عن تعريفه جل شأنه .

ومن ثم فإن الناس جميعًا يظهرون الحق ليل نهار إلا أن البعض منهم يدرك هذا الإظهار والبعض يغفل عن ذلك، وأيًا ما كان فإن إظهار الحق ثابت ومثل هذا مثل ذلك الأمير الذى أمر بأن يضربوا شخصًا ويؤدبوه ؛ فأخذ هذا الشخص فى الصياح والبكاء ، ومع هذا فإن الجميع ينفذ حكم الأمير ، وعلى الرغم من أن ذلك الشخص يصرخ من الألم ، فإن جميع الأشخاص يدركون أن الضارب والمضروب ينفذان حكم الأمير وفى ذلك إظهار لأوامره على رعيته، وذلك الشخص الذى

يثبت الحق يظهره دائمًا وذلك الشخص الذى ينفى الحق يثبته أيضًا ويظهره .

لأن إثبات شيء بدون نفي أو لذة أو ميزه لا يمكن تصوره .

ولو أن أحد المناظرين ذكر مسألة فى محفل ولو لم يكن هناك معارض فلا تصدق ما يُقال ؛ لأن النفى والإثبات يؤكدان الشيء والإثبات عند مناظرته بالنفى أمر مستحب، كما أن هذا العالم ما هو إلا محفلاً لإظهار الحق وبدون المثبت والمنفى فى هذا المحفل لا يكون لهذا المحفل قيمه وكلاهما مظهر للحق .

ذهب بعض الأنصار إلى أميرهم فغضب الملك عليهم وقال لهم ماذا تفعلون هنا ؟ قالوا إن غلبتنا وازدحامنا ليسا لأننا ظلمنا أحداً بل لنساعد أنفسنا فى التحمل والصبر ونساعد بعضنا البعض مثلما يحدث فى العزاء من تجمع الناس وهم لا يتجمعون لكى يدفعوا الموت بل إن هدفهم أن يواسوا صاحب المصيبة ويؤانسوه، المؤمنون كنفس واحدة، والدراويش مثل الجسد الواحد لو تألم منه عضو تألم لديه باقى الأعضاء يستوى فى ذلك العين التى ترى والأذُن التى تسمع واللسان الذى يتحدث كل هذه الأعضاء تتوحد، وشرط المساعدة أن تجعل نفسك فداءً لحبيبك وأن تلقى نفسك فى الهلاك من أجله ؛ لأن الجميع يربطها شيء واحد وغارقه فى بحر واحد وأثر الإيمان وشرط الإسلام هو أن مَنْ يقتل الجسد يقتله بالروح . ﴿ لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [سورة الشعراء : الآية ٥٠] .

وعندما يضحِّى المؤمن من أجل الحق فقد فكر بدون بلاء أو خطر ودون أن يستعين بيد أو قدم مثلما يذهب إلى الحق فما الحاجة إلى اليد والقدم فقد أعطى اليد والقدم حتى يسير إلى هذا الطريق ، ولو أنك اعتمدت على غير الله فقد خسرت ؛ لأنك اعتمدت على مَنْ هو أدنى ؛ إذ إنك تصبح حينئذ بلا يد وقدم وتسير مثل شجرة فرعون فأى حزن فى هذا ؟

(يمكن أكل السُّم من كف الحبيب الجميل ويمكن تقبل مرارة حديثة مثل السكر) .

(والحبيب ذو ملح والملح يمكن للكبد امتصاصه) .

* * *

فصل

الله تعالى مريد للخير والشر ولا يرضى إلا بالخير ، لأنه قال كنت كنزًا مخيفًا فأحببت بأن أعرف، لاشك أن الله تعالى يريد الأمر والنهى والأمر لا يصلح إلا إذا كان المأمور مكارهًا لما أمر به طبعًا، لا يقال كُل الحلاوة والسكر يا جائع وإن قيل لا يسمى هذا أمرًا بل إكرامًا والنهى لا يصح عن الشىء يرغب عنه الإنسان لا يصح أن يقال لا تأكل الحجر ولا تأكل الشوك ولو قيل لا يُسمى هذا نهيًا فلابد لصحة الأمر بالخير والنهى عن الشر وإلا لما أمر بالخير، ونظير هذا من أراد التدريس فهو مريد لجهل المتعلم لأن التدريس لا يمكن إلا بجهل المتعلم وإرادة الشىء إرادة ما هو من لوازمه ولكن لا يرضى بجهله وإلاّ لما علّمه وكذا الطبيب يريد مرض الإنسان والناس إذا أراد طب نفسه ؛ لأنه لا يمكن ظهور طبه إلا بمرض الناس ولكن لا يرضى بمرض الناس وإلا لما داواهم وعالجهم وكذا الخباز يريد جوع الناس لحصول كسبه ومعاشه ولكن لا يرضى بجوعهم وإلا لما باع الخبز وكذا الأمراء يريدون أن يكون لسلطانهم مخالف وعدو ، وإلا لما ظهر رجولتهم ومحبتهم للسلطان ولا يجمعهم السلطان لعدم الحاجة إليهم ، ولكن لا يرضون بالمخالف وإلا لما قاتلوا وكذلك الإنسان يريد دواعى الشر فى نفسه ؛ لأنه يحب شاكرًا مطيعًا

متقيًا ، وهذا لا يمكن إلا بوجود الدواعى فى نفسه وإرادة الشىء إرادة ما هو من لوازمه ، ولكن لا يرضى بها لأنه مجاهد بإزالة هذه الأشياء من نفسه فعلم أنه مريد للشر من وجه وغير مريد له من وجه آخر والخصم يقول غير مريد للشر من وجه ما وهذا محال أن يريد الشىء وما يريد ما هو من لوازمه ومن لوازم الأمر والنهى، هذه النفس الأبية التى ترغب فى الشر طبعًا وتنفر من الخير طبعًا وهذه النفس من لوازمها جميع الشرور التى فى الدنيا فلو لم يرد هذه الشرور لم يرد النفس (وإذا لم يرد النفس) لا يريد الأمر والنهى الملزمين للنفس ولو رضى بها أيضًا كما أمرها ولما نهاها فالحاصل الشر مراد لغيره ثم يقول إذا كان مريداً لكل خير ومن الخيرات دفع الشرور فكان مريداً لدفع الشر ولا يكن دفع الشر إلا بوجود الشر، أو يقول مريد للإيمان ولا يمكن الإيمان إلا بعد الكفر الحاصل إرادة الشر إنما يكون قبيحاً إذا أراد لعينه أما إذا أراده بخير لا يكون قبيحاً قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٧٩] .

لاشك بأن القصاص شر وهدم لبنيان الله تعالى ولكن هذا شر جزئى وصون الخلق عن القتل خير كلى وإرادة الشر الجزئى لإرادة الخير الكلى ليس بقبيح وترك إرادة الله الجزئى رضا بالشر الكلى فهو قبيح ونظير هذا الأم لا تريد زجر الولد : لأنها تنظر إلى الشر الجزئى والأب لا يرضى بزجره نظراً إلى الشر الكلى لقطع الجزء ، الله تعالى عفو غفور شديد العقاب فهل يريد أن يصدق عليه هذه الأقسام أم فلابد من بلاء ولا يكون عفواً غفوراً إلا بوجود الذنوب وإرادة الشىء إرادة ما

هو من لوازمه وكذا أمرنا بالعفو وأمرنا بالصلح والإصلاح ولا يكون لهذا الأمر فائدة إلا بوجود الخصومة نظير ما قاله صدر الإسلام إن الله تعالى أمرنا بالكسب وتحصيل المال لأنه قال ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٩٥] ولا يمكن إنفاق المال إلا بالمال فكان أمراً بتحصيل المال ومن قال لغيره قم صلّ فقد أمره بالوضوء وأمره بتحصيل الماء لكل ما هو من لوازمه .

* * *

فصل

الشكر صيد وقيد المنعم إذا سمعت صوت الشكر تأهبت للمزيد إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن شكر اصطفاه، بعضهم يشكرون الله لقهره وبعضهم يشكرونه للطفه وكل واحد منهما خير لأن الشكر ترياق يقلب القهر لطفًا. العاقل الكامل هو الذى يشكر على الجفاء فى الحضور والخفاء فهو الذى اصطفاه الله وأن كان مراده درك الشكر فبالشكر يستعجل مقصوده ؛ لأن شكوى الظاهر تنقيص لشكوى الباطن قال عليه السلام أنا الضحوك القتول يعنى ضحكى فى وجه الجافى قتل له والمراد من الضحك الشكر مكان الشكاية، وحكى أن يهودياً كان بجوار أحد من الصحابة وكان اليهود على غرفة ينزل بها الأحداث والأنجاس وأبوال الصبيان وغسيل الثياب إلى بيته وهو يشكر اليهودى ويأمر أهله بالشكر ، ومضى على هذا ثمان سنين حتى مات المسلم فدخل اليهودى ليعزى أهله فرأى فى البيت تلك النجاسات ، ورأى منافذها من الغرفة فعلم ما جرى فى المدة الماضية وندم ندمًا شديداً وقال لأهله : لِمَ لَمْ تخبرونى ودائمًا كنتم تشكرونى قالوا إنه كان يأمرنا بالشكر ويهددنا عن ترك الشكر فأمن اليهودى .

(إن ذكر الأخبار باعث على الخير

مثل المطرب باعث على شرب الخمر)

ولهذا ذكر الله فى القرآن أنبياءه وصالحى عباده وشكرهم على ما فعلوا ولمن قدر وغفر.

الشكر باعث على مزيد من (ثدى) النعم وطالما كان الثدى مملوءً فإن اللبن لا يفسد .

سأل ما هو سبب عدم الشكر وما هو الشىء الذى يمنع الشكر، قال الشيخ المانع للشكر شدة الطمع الذى وصل إليه فطمع أكثر من ذلك، وسيطر عليه الطمع وتمكن من قلبه وأصبح غافلاً عن وعيه وذلك المال الذى قدمه غفل عن عيوبه وإدراكه ولاشك أن الطمع الخام مثل أكل الثمرة غير الناضجة والخبز غير الناضج واللحم النيّ ولاشك أن ذلك باعث على العلة وباعث على عدم الشكر، كما علم إن الشىء المضريجب استفراغه فإن الحق تعالى ابتلاه بعدم الشكر حتى يستفرغ، فعلم أن الفاسد يجب أن يُستفرغ حتى لا تتفاقم العلة أكثر ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الاعراف : الآية ١٦٨] .

يعنى رزقناهم من حيث لا يحتسبون وهو الغيب ويتنفر نظرهم عن رؤية الأسباب التى هى كالشركاء لله، كما قال أبو يزيد يارب ما أشركت بك قال الله تعالى يا أبا يزيد ولا ليلة قلت ذات ليلة اللبن أضرنى وأنا الضار النافع فنظر إلى السبب فعدّه الله مشركًا وقال أنا الضار بعد

اللبن وقبل اللبن كالذنب والمضرة كالتأديب من الأستاذ فإذا قال الأستاذ لا تأكل الفواكه فأكل التلميذ وضرب الأستاذ على كفى رجله لا يصح أن يقول أكلت الفواكه فاضر برجلي وعلى هذا الأصل من حفظ لسانه عن الشرك، تكفل الله أن يطهر روحه عن أغراس الشرك القليل عند الله كثير الفرق بين الحمد والشكر أن الشكر على نعم لا يقال شكرته على جماله وعلى شجاعته والحمد أعم .

* * *

فصل

كان هناك شخص يؤم المصلين فقرأ ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [سورة التوبة : الآية ٩٧] ، فكان هناك أحد شيوخ العرب حاضراً فى الصلاة، فضربه ضربه شديدة، فقرأ فى الركعة الثانية : ﴿ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [سورة التوبة الآية ٩٩] فقال الأعرابى الصفع أصلحك !

وكل لحظة نضرب فيها من الغيب نمتنع عما نحن فيه وبضربة أخرى نبتعد أكثر ونمتنع عن شىء آخر، ومثل ذلك : (قيل ما طاقة لنا) هو الخسف والقذف وقيل قطع الأوصال أيسر من قطع الوصال) والمراد من الخسف هو الهبوط إلى الدنيا والقذف هو الخروج من القلب، مثل ذلك مثل الشخص الذى أكل طعاماً وتبقى الطعام فى المعدة ومن ثم فإنه يتقئ هذا الطعام فلو أن هذا الطعام لم يفسد ولم يتقيأه ذلك الشخص لأصبح جزءًا من الإنسان ، والآن فإن المريد قد ينافق ويؤدى الخدمة ويجد قبولاً لدى الشيخ والعياذ بالله أن يصدر شىء من المريد .

وهذا يبدو مستحبًا لدى الشيخ ولا يقبله وهو مثل ذلك الطعام الذى أكله وتقيأه وذلك الطعام جزءًا من الرغبة الإنسانية وأنه تقيأه بسبب

فسـاده ولفظه ، كمـا أن الشـيخ قد لا يرضـى عن مـريده بمرور الأيام بسبب فعل مشين قد يصدر عنه .

(رباعية)

(لقد ساد عشقك العالم حتى إنه جعل القلوب فى فتنه وشر)

(وحينئـذ أحرق الجـميع وحـولّه رماداً وضيّع كل شـىء هياءً وأدى إلى الاستغناء)

وفى ظل الاسـتـغناء ، فإن ذرات التـراب تجعل تلك القلوب ترقص وتصيح ولو أنها غير ذلك .

إذن هذا الخبر الذى جاء به وكل لحظة يذكره ولو أن القلوب تحترق به لما ضاعت هباء وكم رغبت هذه القلوب فى الاحتراق وقد احترقت فى نار الشهوات الدنيوية وأصبحت رماداً فلا ترى لها أثراً وتسمع :

(لقد علمت وما الإسراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى)

(أسعى له فيعنّينى طلبه ولو جلست أتانى لا يعنّينى) .

لقد علمت حقيقة أن قاعدة الرزق ليست بالشكل الذى أتحمله من المعاناة وحقيقةً ، فإن رزقى من مال وطعام وغطاء ونار الشهوة سوف يأتينى عندما أجلس ولو سارعت فى طلب تلك الأرزاق فقد أتعبت نفسى فى طلبها ولو صبرت وجلست مكانى لأتانى ذلك الرزق دون معاناة لأن ذلك الرزق نفسه يطلبنى ويبحث عنى فلا حاجة للمعاناة الزائدة فى الجرى وراءه.

وحاصل الحديث : كن مشغولاً بأمر الدين حتى تتيسر لك أمور الدنيا من رزق وغير ذلك، وقد قال عليه السلام من جعل الهموم همًا واحدًا كفاه الله سائر همومه . ومثل ذلك مثل الأنبياء الذين لم يجروا وراء الشهرة والدنيا بل كانوا دائمًا فى سبيل طلب رضا الحق جل شأنه .

فكان طعامهم ومجدهم هو مرضاه الحق جل شأنه فى هذه الدنيا و الآخرة ومن يفعل ذلك يحشر مع الأنبياء ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [سورة النساء : الآية ٦٩] . وياله من مقام ! أنه جليس الرحمن الذى قال : أنا جليس من ذكرنى وكل من لا يجالسه الحق لا يكون فىَ قلبه شوق للحق . إذ أن رائحة الورد لا تصدر عن غير الورد ورائحة المسك لا تصدر إلا من المسك. ولا نهاية لهذا الحديث ولو كانت هناك نهاية فلن تكون مثل الأحاديث الأخرى .

لقد مرَّ مصراع من الليل ولم ينته حديثنا بعد ؛ فالليل والظلام يغشى هذا العالم، ويشرق أكثر نور هذا الحديث فى كل لحظة. كما مرَّ ليل عمر الأنبياء عليهم السلام جميعًا لكن نور حديثهم لم ينته ولم ينقطع ولن ينقطع قالوا للمجنون لو أنك تحب ليلى فما العجب فى ذلك فقد كنتما طفلين وفى مدرسه واحدة، قال المجنون هؤلاء الناس بله (وأى مليحه لا تشتهى) فأى رجل ذلك الذى لا يميل إلى المرأة الجميلة والعكس، أنه العشق الذى يجد العاشق فيه الغذاء واللذة ومثل ذلك مثل

لقاء الأم والأب والأخ وحب الابن والشهوة ؛ إذ يجد الإنسان أنواع اللذة فى الأشياء المذكورة وقد كان المجنون مثالاً لذلك .

كما نقرأ فى (نحو زيد وعمرو).

(رباعية)

(سواء شربت مزة أو أكلت كبابًا أو شربت خمرًا معتَّقة فإن الخمر فى النوم كالماء)

(فإذا استيقظت من النوم عطشت وما نفعك الماء الذى شربته فى النوم)

الدنيا كحلم النائم فالدنيا والتنعم فيها مثلما يأكل شخص شيئًا فى النوم، إذن الحاجة للدنيا هو طلبها مثلما يطلب شخص فى النوم شيئاً ثم يعطى له، وفى النهاية إذا استيقظ فإن كل شىء أكله لم ينفعه فى شىء، إذ أنه أراد شيئاً فى النوم وأعطى له فكان النوال قدر الكلام .

* * *

فصل

قال لقد علمنا أحوال الإنسان كلها بالتفصيل ولم نترك شيئًا ولو قيد أنملة من مزاجه وطبيعته وحرارته وبرودته، ومعلوم أن ما تبقى منه هو ذلك الشيء .

قال : لو أنك علمته بمجرد القول فأنت لست محتاجًا إلى العديد من المحاولات والمجاهدات، فإن الشخص لا يلقى نفسه في التهلكة ولا يضحى بذلك .

وعلى سبيل المثال جاء رجل إلى البحر، فإنه لن يرى سوى الماء المالح والتماسيح والأسماك، وسيقول أين هذا الجوهر ربما لا يوجد جوهر! ومتى يُرى الجوهر فى البحر، والآن لو أنه وضع ماء البحر كله فى إناء فإنه لن يرى الجوهر.

إذ يجب أن يتوفر غواص حتى يصل إلى الجوهر وليس أى غواص، فلابد أن يكون هذا الغواص محظوظاً وماهراً، وهذه العلوم والفنون مثل وضع ماء البحر فى إناء .

وطريق العثور على الجوهر طريق آخر وكم شخص أتقن العلوم والفنون وهو صاحب مال وجمال لكن مع ذلك لا يتوفر فيه

هذا الجوهر، وكم من شخص يبدو فى ظاهر الأمر لا قيمه له وليس لديه شيء أو نصيب من الجمال والفصاحة والبلاغة إلا أن الجوهر كامن فيه!

كما أن ذلك الشخص مُكرَّم ومُشرَّف بهذه الميزة وبسببها يُفضل الآخرين ويمتاز عن سائر المخلوقات من نمور وتماسيح وأسود وكذلك يمتاز عن المخلوقات الأخرى بهذه الخصائص الفريدة فيه . إذ أن ما يتوفر فى هذا الشخص لا يوجد فى الآخرين، ولو كان الإنسان بذلك المعنى لحصل على فضيلته وإلاّ فإنه لن يستفيد من هذه الفضيلة، وكل هذه الفنون والخصائص مثل وجود الجوهر فوق سطح المرآة، فهذا الشخص يجبر الضعفاء فوق سطح المرآة والآخر يجد الوجه القبيح والطمع لأن وجه المرآة جذاب وذلك وجه حسن وهو يجد فى وجه المرآة مائة روح لأن وجه المرآة مظهر لحسنه .

وصل من السفر صديق ليوسف المصرى (ع) فقال أيه هديه أحضرتها لى ؟ قال أى شيء لا يوجد لديك ؟ فلا يوجد من هو أجمل منك وما تحتاجه هو المرآة وقد أحضرتها لك حتى ترى وجهك فيها كل لحظة، وما لا يوجد للحق تعالى هو الحاجة ويجب أن تضئ القلب برؤية الحق تعالى حتى ترى فيه الذات .

إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم .

(بلاد ما أردت وجدت فيها وليس يفوتها إلاّ الكرام) .

والمدينة التى تجد فيها الحسان واللذات وما يشتهيه الطبع وأنواع الزينة المختلفة لا تجد فيها العاقل وليت الأمر كان على عكس ذلك فلو أن مدينة بها مئات الألاف من الفنون ولا يوجد بها المعنى السابق فإن الخراب أولى بتلك المدينة والعبرة ليست بالزينة الظاهرية .

والإنسان على أية حال دائمًا مشغول بالحق ، وأن ذلك الاشتغال الظاهرى له لا يمنعه عن الباطن .

مثل ذلك مثل المرأة الحامل التى مع وضعها هذا إلا أنها تشارك فى السلام والحرب والأكل والنوم وذلك الطفل فى بطنها يستكمل نضجه ولا تعلم المرأة بذلك، فالإنسان حامل لذلك السرّ .

﴿ وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [سورة الأحزاب : الآية ٧٢] .

إلا أن الحق تعالى لا يتركه فى الظلم والجهل، ويحظى الإنسان من وراء ذلك على آلاف المعارف بسبب ذلك السر الذى يحمله الإنسان وما العجب فى ذلك أن يأتى الأحباب والمعارف وبعد موته يظهر سر هذا الإنسان الذى يكون كامنًا فيه . لأن هذا السر مثل جذر الشجرة وعلى الرغم من أنه خفى إلا أن أثره يظهر فوق غصن الشجرة ولو أن هذا الغصن كُسر مرتين فسوف ينمو ثانية لأن جذر الشجرة محكم، إلا أن يكون هناك خلل فلا يبقى له غصن مورق .

وقد قال الحق تعالى السلام عليك أيها النبى أى أن عليك وعلى كل من يشبهك ولو أن غرض الحق تعالى غير ذلك لكان المصطفى قد خالف

ذلك النص ولم يقل : علينا وعلى عباد الله الصالحين ولما كان السلام خاصاً فقد تمَّ إضافة العباد الصالحين أى أن السلام الذى ألقيته علىَّ وعلى عبادنا الصالحين الذين هم مثلى .

وكما قال المصطفى ﷺ عند الوضوء إن الصلاة لا تصحُّ إلا بهذا الوضوء ولم يكن مقصوده محدداً وإلا لما صحت صلاة أى شخص آخر فكانت صحة الصلاة فى وضوء مثل وضوء المصطفى عليه السلام .

أى أن كل من لا يتوضأ مثل الرسول ﷺ لا تصحُّ صلاته . وهذا كما يقولون أن هذا طبعه عنَّابى أى أنه بلون الرمان . ومثله .

قدم قروى إلى المدينة وأصبح ضيفاً على أحد أفرادها، فقدم له الرجل (حلوى) فأكلها القروى وقال له : أيها الرجل لقد خبرت أكل الجزر ليل نهار ، لكننى لم أذق هذا الطعم من الحلوى، فأهملت الجزر ولن أستطيع أن أصنع مثل هذه الحلوى وسوف تبدو الحلوى سيئة عندى، فماذا أفعل، فعندما ذاق القروى الحلوى رغب فى المدينة، لأنها جذبت قلبه ولا مناص من أنه سوف يبحث عنها .

ويلقى البعض السلام ولا يفوح من سلامهم سوى الدخان والبعض الآخر يفوح من سلامهم رائحة المسك وحينئذ يدرك الشخص أن له مشاماً ويجب على الشخص أن يمتحن صديقه قبل اختياره حتى لا يندم بعد ذلك وسنة الحق .. ابدأ بنفسك ولو أن نفساً تدعى العبودية فلا تقبله دون اختبار، وعند الوضوء بالماء يوضع الماء فى الأنف وبعد ذلك يتذوق الماء وعندما لا يقتنع بذلك الماء ويجوز أن يكون الماء قد تغير فى طعمه

ورائحته ، وهذا اختبار ثم عندما يتأكد المرء من اختبار الماء يوضع على وجه وكل ما تخفيه فى قلبك من خير وشر فإن الحق تعالى يظهره وكل ما تخفيه الشجرة يظهر على أوراقها وأغصانها سيماهم على وجوهم، وقوله تعالى سنسمه على الخرطوم ولو لم يطلع الشخص على ضميرك فماذا ستفعل بلون الوجه ؟

* * *

فصل

(كل شىء لا تبحث عنه لن تجده وطالما لم تجد سوى هذا الصديق فلا تبحث عنه) .

وفى العادة يطلب الإنسان الشىء غير الموجود ويبحث عنه ليل نهار باستثناء الطلب الذى وجده فحصل على مقصوده، والعجيب أن مثل هذا الجوهر لا يستقر فى ذهن الإنسان ولا يمثله للبشر تصوره، لأن الإنسان دائماً يطلب شيئاً جديداً لم يجده، فهو شىء وكل شىء فى قدرته موجود أنه يقول للشىء كن فيكون وهو الماجد الواجد الذى أوجد كل شىء، ومع هذا فإن الحق تعالى طالب، هو الطالب والغالب والغرض من هذا هو أنك أيها الإنسان حادث فى هذا الطلب، وعندما يصبح طلبك فانيًا فى طلب الحق فإن طلب الحق يستولى على طلبك فأنت حينئذ تصبح طالبًا الحق.

قال أحد الأشخاص لا يوجد لنا دليل قاطع على مَنْ هو ولى الحق والواصل إلى الحق. فلا قول ولا فعل ولا كرامات ولا أى شىء لأنه يجوز أن يكون القول قد تعلمه.

وقد توجد أفعال وكرامات لبعض الرهبان ، وأظهروا الكثير من العجائب عن طريق السحر وأشياء من هذا القبيل .

قال : اتعتقد فى أى شخص أم لا ؟

قال : أى والله أننى معتقد وعاشق .

قال : هل اعتقادك فى حق أى شخص يقوم على دليل وبرهان أم لا ؟

قال : حاشا لله أن يكون بدون دليل وبرهان، قال : إذن لماذا تقول أنه لا يوجد أى دليل على الاعتقاد وهذا يناقض حديثك .

قال أحد الأشخاص [1] إن كل ولى وعظيم يزعم هذا القرب قائلاً أن لى هذه العناية مع الحق ، وهذا لم يؤتَ لأحد .

قال : إن هذا الخبر الذى قاله ولى أم غير ولى ؟ فلو أن هذا الخبر قاله ولى، إذن عندما علم أن لكل ولى اعتقاداً فى حقه، فإنه ليس مخصوصًا بهذه العناية ولو أن هذا الخبر قاله غير الولى فإن الحق تعالى قد أخفى هذا السر عن جميع الأولياء ولم يخف عنه شىء ، وقد ضرب هذا الشخص مثالاً قال : إن لأحد الملوك عشر جوارٍ وقالت الجوارى نريد أن نعرف أينا أحب للملك ؟!

(١) هو الشيخ صدر الدين .

قال الملك أن كل مَنْ يوجد فى بيتها هذا الخاتم فهى أحب جارية للملك وفى اليوم الثانى أمر الملك حتى صنعوا عشرة خواتم ، وأعطى كل جارية خاتمًا وقال إن السؤال مازال مطروحًا ولا يوجد جواب عليه .

وقد قالت هذا الخبر إحدى الجوارى العشر، وعندما علمت أن هذا الخاتم لا يخصها وأن كل جارية لها مثله إذن فهو لا يفضلها وليست محبوبته ولو قال هذا الخبر غير الجوارى العشر، إذن لأصبحت هذه الجارية من خواص الملك ومحبوبته .

وقال شخص يجب أن يكون العاشق دليلاً وصبوراً ، ويتحلى بهذه الأوصاف ، قال : يجب على العاشق هذا وهو عندما يريد أن يكون معشوقًا أم لا ؟ فلو أنه يريد أن يكون بلا مراد المعشوق فإنه لن يكون عاشقًا ، ولن يهتم بمراده ولو أنه أهتم بمراد المعشوق فإنه عندما لا يريده المعشوق فإن المعشوق يصبح ذليلاً .

وقد أصبح معلومًا أنه ليس معلومًا أحوال العاشق إلا عندما يريده المعشوق .

وقال عيسى عليه السلام : عجبت من الحيوان كيف يأكل الحيوان .

ويقول أهل الظاهر إن الإنسان يأكل الحيوان وكلاهما حيوان، وهذا خطأ لأنه عندما يأكل الإنسان الحيوان لا يصبح الحيوان حيوانًا بل جماداً لأنه عندما ذُبح لم تبق فيه صفة الحيوانية.

وأنه لأمر عجيب إذا تصورنا أن شيخًا أكل مريداً دون إبداء الأسباب .

وسأل أحد الأشخاص قائلاً لقد قال إبراهيم عليه السلام لنمرود إن الله يحيى الميت ويميت الحي، قال نمرود أنا أعزل شخصاً من منصبه وأعيِّن آخر بدلاً منه فأنا إذن أحييه، قال إبراهيم عليه السلام حينئذ وبعد أن أصبح ملزمًا أن يأتى بدليل آخر حيث قال : إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ؟ وهذا الحديث مخالف فى الشكل الظاهرى .

قال : حاشا لله أن يصبح إبراهيم ملزمًا بدليل وأن يفقد الإجابة، وهذا مجرد سؤال، وهناك مثال آخر وهو أن الحق تعالى يُخرج الجنين من شرق الرحم ثم يغرب به إلى القبر، وحجة إبراهيم عليه السلام أن الحق تعالى يخلق الإنسان من جديد ويرسل فى باطنه شيئاً آخر، فلا يبق الأول للثانى ولا الثانى للثالث وهو غافل عن نفسه ولا يعرفها .

كان السلطان محمود رحمه الله قد أحضر حصانًا عظيم الشكل والصورة، ويوم العيد كان يمتطى صهوة هذا الجواد، فكان الناس تجلس فوق الأسطح بالنظارة وتتفرج على ذلك، وكان هناك سكران فى البيت، فحملوه قسراً فوق السطح قائلين له : هيا حتى ترى الحصان البحرى قال أنا مشغول بنفسى ولا أريد أن أرى شيئًا ولا أهتم بذلك، وفى النهاية اضطر إلى أن يأتى إلى جانب السطح وزاد سُكره، وكان يمر وقتها السلطان، ولما رأى السكرانُ السلطانَ فوق الحصان قال أى قيمة لهذا الحصان أمامى، ولو أن مطربًا غنىّ فى هذه الحالة فإن ذلك الحصان سيكون ملكى وسوف أعفو عنه فى الحال، وعندما سمع السلطان هذا غضب غضبًا عظيمًا فأمر حتى حبسوه فى السجن، ومر أسبوع على ذلك الأمر فأرسل هذا الرجل أحد الأشخاص للسلطان .

حيث قال على لسان ذلك الرسول أى ذنب لى وأى جرم ، وحينئذ أمر السلطان فأحضروا هذا السجين، وقال : السلطان : أيها العربيد الصفيق كيف قلت ذلك الحديث وأى سُم تفوهت به، قال الرجل أيها الملك العالم أنا لم أقل ذلك الحديث، فى يقظة وفى تلك اللحظة كنت سكران على سطح المنزل ، ومن ثم قلت هذا الحديث ولست الآن ذلك الرجل، الآن أنا رجل عاقل وواع، فسعد الملك بحديثه وخلع على الرجل وخلصه من سجنه ، وأخذ كل ما يتعلق به وثمل من هذا الشراب، وكل مكان يذهب إليه وكل شخص يجلس معه وكل قوم يتحدث إليهم هو فى الحقيقة يجلس معنا ؛ لأن حديث الأغيار هو مرآه لطف حديث الحبيب، والامتزاج مع الغير هو باعث على المحبة والاختلاط بمن يماثله، (إذ تتبيّن الأشياء بأضدادها).

وكان أبو بكر الصديق ﷺ قد لقب أماً باسم السُكّر وولدت الأم ، والآن فقد زاد فوق السكر فواكه ، أخرى وقد تكبدنا الكثير من المعاناة حتى وصلنا إلى منزلة الحلوى ، وماذا تعرف عن لذة الحلاوة طالما لم تكابد المشقة والمعاناة .

فصل

سألوا عن تفسير هذا البيت :

(عندما وصلت الرغبة إلى غايتها تساوت المحبة مع العداوة) .

قال : إن عالم العداوة ضيق مقارنة بعالم المحبة ؛ لأنهم يهربون من عالم العداوة ويصلون إلى عالم المحبة، وعالم المحبة ضيق مقارنة بالعالم الذى تصدر عنه المحبة والعداوة ؛ إذ إن المحبة والعداوة والكفر والإيمان يوجبان الثنائية، لأن الكفر انكار، ويجب على المنكر أن ينكر ويجب أيضاً على الشخص المقَّر أن يقر وقد بات معلومًا أن الوحدة وعدم الوحدة باعثان على الثنائية، وأن ذلك العالم كفر وإيمان ومحبة وعداوة، ولما أن المحبة باعثه ، على الثنائية ؛ فهناك عالم لا يوجد فيه ثنائية بل وحدة محضة. فإذا وصل الشخص ذلك المكان خرج عن المحبة والعداوة، وذلك المكان لا يستوعب الثنائية .

وعندما وصل ذلك المكان فقد انفصل عن الثنائية ، إذن ذلك العالم كان فى أول الأمر عالم الثنائية ، وأن عشق ذلك العالم ومحبته أبعدته عن هذه الثنائية والعاشق يحب عالم الوحدانية وغير العاشق يحب العالم الثانى القائم على الثنائية ، مثل الحلاج عندما وصلت محبة

الحق لديه إلى النهاية أصبح عدو نفسه ، ولم يكن لذاته وجود ، وقال أنا الحق [١] .

أى أننى فنيت وبقى الحق ، وهذا غاية التواضع ونهاية العبودية، وليس معقولاً كأن تقول أنا الله وأنا عبده فى الوقت نفسه ، إذن فقد أثبت ذاتك ولابد للثنائية عندئذ أن تحلّ ومثل هذا كأن تقول هو الحق وهذا ثنائية لأنه طالما أنا لا أكون فإنه أيضًا لا يكون ، إذن فقد قال الحق أنا الحق عندما لم يكن سواه موجوداً وفنى المنصور [٢] ، وكان ذلك حديث الحق .

وعالم الخيال بالنسبة إلى العالم المصورات والمحسوسات أوسع، لأن جملة المصورات (المحسوسات) تنبع من الخيال وعالم الخيال بالنسبة إلى عالم المحسوسات عالم ضيق ومن هنا يفهم الحديث، وإلا فإن حقيقة المعنى من المستحيل أن تدرك من اللفظ والعبارة وسأل ما فائدة العبارة والألفاظ إذن ؟

قال إن فائدة الحديث أن تأتى بك إلى الطلب وليس أن يتحقق المطلوب فى الحديث ولو كنت هكذا فلست عندئذ تحتاج إلى الكثير من المجاهدات وفناء الذات .

(١) هو الحسين بن منصور الحلاج ، ولد عام (٢٤٤ هـ) فى بيضاء بفارس (المترجم) .
(٢) أى الحلاج .

وهكذا الحديث كأن ترى شيئًا من بعيد، فتتحرك وتتقصى حقيقته حتى تراه وأنت لا تراه بواسطة تحركه، بل إن النفس الناطقة فى الإنسان مثيرة لك على طلب ذلك المعنى فى الباطن. وعلى الرغم من أنك لا تراه فى الحقيقة قال أحد الأشخاص لقد حصّلت العلوم كثيراً وضبطت المعانى ، ولم يتضح هذا المعنى فى الإنسان وأى من تلك المعانى سيبقى فلم أتتبع أثره .

قال لو أنك علمت بمجرد الحديث فإنك لست محتاجًا لفناء الوجود وتلك المتاعب ، ويجب عليك أن تسعى فإنك لن تبقى حتى تعلم ذلك الشيء الذى سيبقى .

قال أحد الأشخاص : لقد سمعت عن الكعبة ولكن عندما نظرت لم أرها، فذهبت فوق السطح لأبصر الكعبة وعندما صعد السطح وأطال عنقه لم ير الكعبة ورؤية الكعبة لا تتحقق للمنكر بهذا الشكل، فلا يمكن أن يراها عندما يتحرك من مكانه وهذا يحدث كأن تطلب فراءً فى فصل الشتاء فإذا أقبل الصيف ألقيته حتى أنك تنفر منه، والآن فإن طلب الفراء بغرض التدفئة وإنك عاشق للحرارة فى الشتاء ومحتاج إلى وسيلة مثل الفراء ولكن عندما زال سبب البرد ألقيت الفراء ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [سورة الانشقاق : الآية ١] ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [سورة الزلزلة : الآية ١] .

وهذه الإشارة لك ؛ أى أنك رأيت فى الاجتماع لذة ؛ فإذا أقبل النهار رأيت اللذة فى الافتراق عن هذه الأشياء، فأنت تشاهد اتساع

العالم وتجد الخلاص من هذا الضيق، فمثلاً كأن يقيدوا رجلاً بأربعة قيود فيظن أنه سعيد بذلك فينسى لذة الخلاص ؛ فإذا تخلص من قيوده السابقة أدرك كم كان فى عذاب !

وهكذا يربون الأطفال فى المهد وفيه يربطون أيديهم لكن لو أن بالغًا قُيِّد فى هذا المهد فإن ذلك يكون له عذابًا وسجنًا ويسعد البعض برؤية الورود تتفتح حيث تطلُّ البراعم برءوسها ويسعد البعض بأن يرى الورود تتفرق وتعود لأصلها ، والآن يرى البعض أى عشق أو محبة أو كفر أو إيمان لا يبقى حتى يعود لأصله ؛ لأن كل هذه الأشياء جدران (حُجب) وهى باعثة على الضيق وعلى الثنائية، وذلك العالم باعث على الاتساع والوحدة المطلقة، وذلك الحديث ليس عظيمًا ويفتقد القوة فكيف يكون عظيمًا؟ وفى النهاية هو حديث .

بل أنه نفسه موجبًا للضعف ومؤثر للحق ومثير له ، وهذا الحجاب يتألف من كلمتين أو ثلاث وهو باعث على الحياة والإثارة مثلاً يأتيك شخص فأنت تهتم به وتقول له أهلاً وسهلاً فأصبح ذلك الشخص موجبًا للمحبة، ويأتيك شخص آخر قد تسبّه ويصبح الحديث باعثًا على الغضب والتألم وأن الله سبحانه قد خلق المحبة والرضا كما خلق إثارة الغضب والعداوة وجعل منها أسبابًا وحُجبًا حتى لا تقع نظرة كل شخص على جماله وكماله وحجب الضعيف أمر مناسب لنظرته. إذن هو يضع حجب الأحكام ويخلق الأسباب، وهذا الطعام ليس فى الحقيقة سببًا للحياة إلا أن الله سبحانه هو المتسبب فى الحياة والقوة، ومثلاً الجماد ليس له الحياة الإنسانية فمن الباعث على القوة وزيادتها لو كانت له حياة أنه المُحى للنفس .

فصل

سألوا عن معنى هذا البيت :

(يا أخي أنت نفس الفكر وما تبقى منك هو العظم والجذر) قال : انظر لهذا المعنى أن نفس الفكر إشارة إلى ذلك الفكر الخاص وقد عبرنا عن ذلك بكلمة فكر من أجل توسع المعنى، ولكن في الحقيقة ليس ذلك فكراً ولو كان موجوداً فليس من جنس هذا الفكر الذي يفهمه الناس، فهناك معنى آخر للفظ (فكر) ولو أن أحداً أراد أن يفسر هذا المعنى أكثر فإنه يقول للعوام إن الإنسان حيوان ناطق، والنطق هو الفكر سواء كان مضمراً أو ظاهراً وما هو سوى ذلك حيوان إذن أمر صحيح أن الإنسان عبارة عن فكر وما تبقى منه العظم والجذر . والكلام مثل الشمس ويحيى به كل الناس ويجدون في شعاعها الدفء ٢٦١، ودائمًا الشمس موجودة وحاضرة .

والجميع يستمد الدفء منها، إلا أن هذه الشمس لا تظهر ولا يعلمون أنهم أحياء منها ولا يعلمون أنهم يستمتعون بالدفء منها أيضًا وأنت يمكن أن تسميها الشكر أو الشكوى أو الخير أو الشر فهي أنها شمس فلكية مشرقة دومًا لكنها لا تظهر للعيان كما أن شعاعها لا يشرق

على الجدران فى شكل كلام أو صوت، وشعاع شمس الحديث لا يظهر على الرغم من ديمومته لأن الشمس لطيفة ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٠٣] والشىء الذى يظهر ويُرى هو الشىء غير اللطيف .

قال أحد الأشخاص أن الله لم يظهر ذاته ؛ لأنهم قالوا أن الله هكذا قال وهكذا فعل وهكذا نهى .

إذن إن الله اللطيف على الرغم من وجوده ، لكنه يُرى ولا يمكن رؤية هذا الخالق إلا من خلال صفاته فى الأمر والنهى والخلق والقدرة .

وليس للبعض قدرة على أكل العسل وذلك بسبب الضعف فإذا أكلوا أطعمةً مثل الأرز ذى اللون الأصفر والحلوى فإنهم حينئذ يستطيعون أكله ، ويستمدون القدرة حتى يأكلوا العسل بدون أطعمه مساعدة بعد ذلك .

إذن علمنا أن النطق شمس لطيفه ومشرقة دومًا، ولا ينقطع إشعاعها، إلا أنك فى حاجة إلى شىء محسوس حتى ترى الشمس وتحظى بقسطٍ فإذا وصلت إلى هذا الحد استطعت أن ترى هذا الشعاع وهذا الشىء اللطيف (الله سبحانه) .

فتستطيع أن تطبع نفسك على ذلك وأن تشاهدة ذلك وتستمد القوة فتستطيع أن ترى فى بحر الجوهر هذا ألواناً عجيبه وتشاهد مشاهدات أكثر عجبًا...

وما العجب أن ذلك النطق كامن فيك سوء عبرت عنه أو لم تعبر عنه على الرغم من أنه لا يوجد فى فكرك نطق ونحن نسمى ذلك الفكر فى تلك اللحظة اسم نطق وقد قالوا مراراً أن الإنسان حيوان ناطق وأن هذه الحيوانية دائماً كامنة فيك وحية والنوم باعث على ظهور الحيوانية وليس شرطاً أن يكون النطق باعثاً على الكلام وليس شرطاً أن يكون للإنسان ثلاث حالات أولها :

إنه يعبد الجميع ويخدمه سواء كان هذا الجميع رجلاً أو امرأة مالاً أو طفلاً حجراً أو أرضاً ولا يعبد الله ولكن عندما تحصل للإنسان معرفة وإطلاع فإنه لا يخدم سوى الله وعندما يتقدم فى هذه الحالة فإنه يصمت ولا يقول أنا أخدم الله وقد تجاوزت المرتبة هذين الأمرين ولا يصدر عن الناس حديث يقول إن إلهك حاضر أو غائب فهو خالق الأمرين الغيبة والحضور .

أى أن الحضور والغيبة غير هذين الأمرين، لأنه لو كان حاضراً فيجب ألا تكون له غيبه والغيبة موجودة أما الحضور فليس موجوداً، لأنه لا يمكن وصف الحاضر بأنه غائب وإلا لابد أن يصدر الضد عن الضد الآخر ، لانه يلزم فى حالة الغيبة أن يكون قد خلق الحضور والحضور ضد الغيبة وهكذا فى الغيبه لا يجوز أن يصدر عن الضد ضد ولا يجوز أن يخلق الحق مثله، لأنه يقول (لا ند له) لأنه لو كان ممكناً أن يخلق مثله لكان لأبد أن يكون بلا مرجّح، ولأصبح من اللازم إيجاد الشيء نفسه، وكلاهما منتفيان فإذا وصلت إلى هذا المقام فلا يجب أن تتصرّف بشكل حسن حتى تصل إلى ساحل البحر وتقف عليه، ولأنه لم يعد هناك

وقوف، و كل الأحاديث والعلوم والفنون والحرف المقبولة صادرة عن هذا الحديث فلو لم يكن لهذا وجود فلا قيمة لأى عمل أو حرفة فهم يجهلون غاية ما فى هذا الأمر والمعرفة ليست شرطاً، وهذا مثلما خطب رجل امرأة ثرية ولها خراف وقطيع من الجياد وغير ذلك، ويقوم هذا الرجل برعاية تلك الخراف والجياد ويروى البساتين بالماء ، وعلى الرغم من أنه مشغول بتلك الخدمات، إلا أنه سعيد بتلك الأعمال لوجود تلك المرأة ؛ فلو لم تكن المرأة موجودة لما سعد بتلك الأعمال ولإصابة الفتور، وبالمثل فإن جميع حرف العالم وعلومه وغير ذلك حياة وسعادة ودفء أساسه شعاع ذوق العارف ؛ فلو لم يكن هناك ذوق لما كان هناك لذة وسعادة فى ممارسة كل الأعمال المذكورة وغدا كل شىء ميتاً .

* * *

فصل

قال أولاً لقد نظمنا الشعر ، وكان هذا الشعر داعية عظيماً وهو موجب للحديث، وفى ذلك الوقت كان لذلك أثار عديدة، والآن فقد فتر الداعية وهو فى غروب وكذلك تلك الآثار وسنة الحق تعالى أنه يربى الأشياء وقت الشروق فيصدر عنه آثار عظيمة وحكمة كبيرة . وعند الغروب يفعل نفس الشىء، ﴿ ربُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ﴾ [سورة الشعراء : الآية ٢٨] أى أنه يُربى الدواعى الشارقة والغاربة .

يقول المعتزلة إن الأنسان خالق الأفعال ، وكل فعل يصدر عنه يعد العبد خالق ذلك الفعل، لأن ذلك الفعل صادر عنه أو بواسطة هذه الآلة التى لديه مثل العقل والروح والقوة والجسم ولا يجوز أن يكون خالقاً للأفعال بدون واسطه ؛ لأنه ليس قادراً على جميعها، إذن أنه ليس خالق الأفعال بل بواسطة تلك الآلة ومثل تلك الألة ليست فى حكمه .

ولا يجوز أن يكون خالقاً للفعل بدون هذه الآلة ؛ لأنه من المستحيل أن يصدر الفعل منه بدون تلك الآلة إذن فقد علمنا على الإطلاق أن خالق الأفعال هو الحق وليس العبد، كل فعل من خير وشر يصدر عن العبد .

وهو يفعل ذلك بنيةٍ ما ولكن الحكمة من ذلك العمل ليست بذلك القدر الذى يمكن تخيله، وذلك القدر من المعنى والحكمة والفائدة التى تظهر له من وراء ذلك العمل بنفس الحجم الذى يكون فى ذلك الفعل . ولكن الفوائد الكلية لذلك يعلم قدرها الله سبحانه وتعالى .

فمثلاً عندما تصلى فإن الثواب يكون لك بنية ذلك فى الآخرة ويكون لك فى الدنيا الاسم الطيب والأمان ، لكن الفائدة من الصلاة لن تكون بنفس القدر، وسوف يعطى الله مئات الألاف من الفوائد التى لن تتخيلها ويعلم الله تلك الفوائد التى يمتلكها العبد من وراء عمل ما، والآن فإن الإنسان فى يد قبضة قدرة الحق مثل القوس والسهم والحق تعالى يستعمله فى الأعمال .

والفاعل فى الحقيقة هو الحق وليس القوس، والقوس آلة وواسطه لكنه بلا خبر وغافل عن الحق بسبب الدنيا ، واحسرتاه إن القوس يعلم فى يد مَنْ يكون وماذا أقول عن الدنيا التى أساسها الغفلة، ألا ترى أنه عندما يوقظون شخصًا من النوم فإنه يضيق من الدنيا ويصيبه الفتور، وينوى، والإنسان إن نشأ وترعرع فى الصغر كان ذلك بسبب الغفلة وإلا فإنه لما كبر، إذن عندما ترعرع بسبب الغفلة فقد اختار المتاعب والمعاناة والمجاهدة والجبر حتى يغسل الحق الغفلة عنه ويطهره منها، وبعد ذلك يمكن التعرف على ذلك العالم وجسم الإنسان مثل المزبلة، إنه تل من الفضلات، وهذه المزبلة ترتفع قيمتها ؛ لأن فيها خاتم الملك، وجسم الإنسان هو مثل جوال قمح، وينادى الملك أين تأخذ ذلك القمح الذى يوجد فيه صاعى وهو غافل عن هذا الصاع .

وقد غرق في القمح فلو أدرك هذا الصاع فإنه يفطن للقمح، والآن كل فكرة تصل بك إلى العالم العلوي فأنها تصدر بعد ذلك عن العالم السفلي والعكس صحيح، وشعاع ذلك الصاع الذي يخرج منه يجعل الإنسان يميل إلى ذلك العالم، ولما أنه على العكس يميل إلى العالم السفلي فإن علامة ذلك أن ذلك الصاع قد اختفى وراء الحجب .

فصل

قال ابن القاضى عز الدين يبلغك السلام ويثنى عليك ويشكرك .

قال : (كل شىء يذكرنا بالخير سيذكر فى الدنيا بخير مماثل) فلو أن شخصًا يقول فى حق شخص آخر خيرًا فسوف يعود الخير عليه . وفى الحقيقة إن ذلك الثناء والحمد يقوله على نفسه وبقدر ما يثنى سيعود عليه، وهذا يشبه شخصاً يزرع حول بيته روضاً به ورد وريجان، وفى كل مرة ينظر يرى الورد والريحان، فهو دائماً يعيش فى جنة.

فإذا طبَّع شخص نفسه على قول الخير فى الآخرين عاد عليه بالخير وأصبح ذلك الشخص محبوباً ولأنه ذكره فقد ذكره المحبوب وذكر المحبوب ورد وروض وروح وراحة وعندما قال ذلك الشخص سوءاً فقد أصبح ذلك الشخص فى نظره بغيضاً فإذا تذكره جال بخاطره ذكر الحيَّة والعقرب والشوك والآن يمكن أن ترى الورد والروض ليل نهار وترى كذلك رياض إرم .

فلماذا إذن تبحث عن الشوك وأرض الحيايا، حب الجميع حتى تكون دائماً بين الورود والرياض . فإذا عاديت الجميع عاداك الجميع بالمثل وهذا مثلما تجولت ليل نهار فى الشوك وأرض الحيايا ، ومن ثم

فإن الأولياء يحبون الجميع ويرون الخير لأنفسهم ولغيرهم، حتى لا يصدر عنهم خيال كريه وبغيض .

ولما أن ذكر الناس فى هذه الدنيا لابد منه ولا مناحى من ذلك، إذن فقد اجتهدوا أن يكون هذا الذكر طيباً حتى لا تأتى الكراهية والبغض إلى طريقهم، إذن فإن كل ما تفعله فى حق الناس وذكرهم من الخير أو الشر يعود عليك بالمثل، ويقول جل شأنه فى هذا الصدد :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [سورة فصلت الآية ٤٦]

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

[سورة الزلزلة]

سأل قائلاً أن الحق سبحانه يقول : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [سورة البقرة : الآية ٣٠] .

وبينما كان لا يزال الإنسان لم يأت عندما حكم الملائكة السابقون على الفساد وسفك الدماء الإنسانى، قال إن ذلك على وجهين، وقيل الأول المنقول والثانى المعقول .

وذلك المنقول الذى اطلع عليه الملائكة فى اللوح المحفوظ وهم قوم يخرجون وصفتهم على هذا النحو ثم اخبروا عن ذلك .

الوجه الثانى : إن الملائكة قد استدلوا عن طريق العقل وأولئك القوم سيكونون من الأرض ولابد أن يكونوا من الحيوان ، وعلى الرغم من أن

هذا المعنى متوفر فيهم أى أنهم حيوانات ناطق ولكن لما أن الحيوانية موجودة فيهم، فلابد أن يفسقوا ويسفكوا الدماء . وذلك من لوازم الإنسان ويقول قوم آخرون معنى آخر، فيقولون إن الملائكة عقل محض وخير صرف وليس لهؤلاء أى اختيار فى الأمر .

مثلما تفعل أنت أثناء النوم ولست مختاراً له، ولاشك أنه لا يوجد عليك أى اعتراض أثناء النوم سواء كفرت أو آمنت، أو زنيت والملائكة فى اليقظة بنفس بالشكل من حيث الاختيار وعدمه .

والناس عكس ذلك، لهم اختيار، وفيهم الطمع والهوى، وكل شىء من هذا القبيل حتى سفك الدماء وكذلك صفة الحيوان، إذن حال الملائكة مضاد لحال الناس ويجوز اخبارهم بهذه الطريقة التى تحدثوا عنها على الرغم من أنك قلت شيئًا دون لسان، وتقديره هكذا، مثلما قال شاعر أن فلانًا قال إننى امتلأت ولم يتحدث ومعنى هذا لو كان لهذا الشخص لسان لتحدث فى مثل هذه الحالة .

لكلٍّ ملاكٌ لوح فى الباطن وفى ذلك اللوح يسجل كل شىء، ما سيحدث وما حدث . وما قرأته قد علمته ومن ثم يتزايد اعتقاده فى البارى تعالى ويتزايد كذلك عشقه وسكره، ويتعجب من العظمة ومعرفة غيبة الحق، وتلك الزيادة فى العشق والاعتقاد والتعجب بدون لفظ عبارة عن تسبيح وهذا مثل حال البنَّاء الذى يخبر تلميذه قائلاً :

احضر إلى هذا البيت الذى يُشيد الأخشاب والآجر والحجر والقش، فإذا اكتمل البيت وذهبت تلك المواد البنائية دون نقص أو زيادة، زاد اعتقاد التلميذ .

سأل أحد الأشخاص شيخًا قائلاً : أن المصطفى مع عظمته فقد قال لولاك لما خلقت الأفلاك ويقول يا ليت ربّ محمد لم يخلق محمداً وهكذا .. قال الشيخ إن الحديث يتضح بالمثال وسوف أقول هذا المثال لأوضح لكم .

قال كان هناك رجل في قرية، فعشق امرأة ، وكان لهما بيت وسطبل وقضيا حياتهما معًا يخدعان بعضهما البعض بالنفاق .

وقضيا حياتهما مثل السمك الذى يعيش فى الماء فيقضى السنوات بهذا الشكل، وفجأة أغناهما الله وأعطاهما الكثير من الخرفان والثيران والجياد والأموال والذهب والحشم والغلمان وبسبب الحشمة والتنعم فقد انتقلا إلى المدينة وكل واحد منهما اشترى قصراً ملكيًا عظيمًا ، وجاء فى هذا القصر بالحشم والخيل . فعاش هذا فى جانب وذاك فى جانب آخر ولما وصلت حالتهما إلى هذا الحد لم يستطيعا أن يعيش فى وفاق معًا فاضطربت حياتهما وعانيا كثيراً حتى وصل الأمر إلى ضرورة الفراق أو الافتراق . ولما وصلت سوء حالهما إلى هذا الحد فقد خيمت التعاسة عليهما وتناقضت الجياد والخراف شيئًا فشيئًا حتى عاد الاثنان إلى حياتهما الأولى وبعد فترة طويلة عادا إلى نفس تلك القرية السابقة وعاشا فى حب معاً وودعا الفراق، فظهر ذلك الصوت الذى يقول : يا ليت ربّ محمد لم يخلق محمداً، ولما كان روح محمد مجردة فى عالم القدس وصل الحق تعالى فإنهما فى ذلك البحر مثل السمك يعيشان معاً فى الأعماق، ومهما أنهما كان لهما فى هذا العالم مقام الأنبياء والناس

وكان لهما كذلك الارشاد والعظمة والملك والشهرة والصحابة ولكن عندما يعود الشخص إلى تلك الحياة فإنه يقول ليت الرسول لم يكن فى هذا العالم .

* * *

فصل

كل علم يأتى عن طريق الكسب فى الدنيا فهو علم الأبدان، وكل علم يُحصل عليه بعد الممات فذاك علم الأديان ، معرفة علم " أنا الحقّ " هو من علم الأبدان ، أمّـا أنك تصبح فى رداء " أنا الحقّ " فذاك من علم الأديان . رؤية النار وضوء السراج من علم الأبدان أما الاحتراق فى النار أو فى ضوء السراج فذاك من علم الأديان .

كل ما كان من المعرفة فهو من علم الأبدان ، قد تقول : إن الحق وهو الرؤية والمعاينة ، أما باقى العلوم فهى علم الخيال ، فمثلاً . المهندس فكَّر وتخيَّل عمارة مدرسة ومهما كان هذا الخيال صحيحًا ، يبقى من الخيال ، و يصبح هذا الخيال حقيقة عندما تبنى المدرسة .

اتضح الآن أن البدن شاسع بين خيال وخيال ، خيال أبى بكرٍ وعمر وعثمان وعلى ﷺ جميعًا – فوق خيال الصحابة ، فبين الخيال والخيال فرق كبير ، المهندس الماهر تصورّ وتخيَّل بناء بيت وغير المهندس تخيلّ والفرق بين الخيالين عظيم ؛ لأن خيال المهندس ـ أقرب إلى الحقيقة . وكما كان الفرق واضحًا فى عالم الحقائق فالبدن شاسع فى عالم الكشف بين الرؤية والرؤية إلى مالا نهاية .

وما يقال من أن هنالك سبعمائة حجاب من الظلمة وسبعمائة من النور ، فإن ما كان من عالم الخيال فهو من حجب الظلمة .

وما كان من عالم الحقائق فهو من حجب النور ، و ليس بوسعك أن تفرق بين الحجب التى كانت من عالم الخيال ولو سَعَيْتَ بسبب الرقة واللطف ، و على الرغم من وجود هذا الفرق العميق والأساسى فلا يمكن إدراكه .

* * *

فصل

أصحاب النار أسعد فى النارِ منهم فى الدنيا ؛ لأنهم فى النارِ ذاكرين للحق ، أما فى الدنيا فكانوا جاهلين الحق ، ولا شىء قط أحلى من الحقِ ومعرفة الحق ، والذين يتمنون الدنيا فإنما لأجل أن يعملوا ويطّلِعُوا على مظاهر الرحمة واللطف ، وليست الدنيا لهم أكثر إسعاداً .

جعل الدرك الأسفل للمنافق لأنه عندما دعى إلى الإيمان كان كفره أقوى فأعرض ، ويعذب عذاباً أشد حتى يطّلع على الحقيقة ، أمّا الكافر فلم يعرض عليه الإيمان فكفرة أضعف ولذا يطّلع على الحق بأقل العذاب ، مثله كستار المنضدة التى عليها الغبار والبساط الذى عليه الغبار ، فالأولى لا تحتاج إلا لفرد واحد ، حتى يزيل غبارها أما الآخر فيحتاج إلى أربعة فى تنظيفه ، وعندما يقول أصحاب النار ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ... ﴾ [سورة الأعراف : الآية ٥٠] معاذ الله أن يطلبوا الطعام أو الشراب ، وإنما المعنى أفيضوا علينا من ذلك الذى ظفرتم به والذى يتلألأ عليكم.

القرآن كالعروسة التى تكشف نقابها لكنها تعرض بوجهها عنك ، وسبب أنك تتفحصها دون ظفرٍ بسعادة هو أنك كلما أمطت الحجاب

ردتك ومكرت بك ، فأظهرت قبحها لك وكأنها تقول لست تلك الحسناء وهى قادرة على أن تتحلى وتظهر فى صور مختلفة مادامت لم تتكلف كشف نقابها ، ثم طلبت رضاها ، وسقيت حرثها ، وكنت من بعيد خادما لها ، وجهدت فى كل ما فيه رضاها ، فمن غير أن تتكلف كشف عن نقابها ، تظهر لك وجهها . اطلب أهل الحق فى قوله تعالى ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [سورة الفجر ، الآيتان ٢٩ ، ٣٠] فالحق سبحانه وتعالى لا يتكلم مع كل شخص ، مثلما لا يتكلم الملوك مع عامة الشعب ، ومن ثم جعلوا الوزراء والنواب حتى يكونوا صلة بينهم وبين الرعية . والله - سبحانه وتعالى ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾[سورة الروم : الآية ٢٧] .

قد اصطفى عبداً ، حتى يبلغ كلامه سبحانه وتعالى إلى الناس وما جاء نبى قط إلا لأداء هذه الأمانة .

* * *

فصل

قال سراج الدين[1] : تكلمت عن موضوع فتألم وجدانى فقال له مولانا : هذا شيء خاص بك لا يجوز أن تظهره . وبالرغم من أنك لا ترى هذا الشيء محسوسًا ، لكنك تحس الوجع والشوق فتعلم أن هناك شيئًا ، فمثلاً عندما تمضى فى ماء وتلمس فيه نعومة الزهور وريحها وتمضى فى ناحية أخرى فتجد الأشواك فيظهر لك أن هناك أرضًا الأشواك والحزن و الألم وهناك بستان وطمأنينة ، وإن لم تر كليهما ، يقال لهذا الوجدان ، وهو أظهر من المحسوس ، فمثلاً الجوع والعطش والغضب والسرور كلها ليست من المحسوس . لكنها أظهر من المحسوس ، لأنك إذا حاولت أن ترى الجوع - مثلا - فلا يمكن أن تراه ولكن ليس بوسعك أن تبعد الجوع عنك بأية طريقة شئت .

وهكذا لا ترى السخونة والبرودة والمرارة واللذاذة فى الطعام ولكنها أظهر من المحسوس .

والآن لماذا تهتم بهذا الجسد ، وتتعلق به وأنت موجود بدونه ؟، بل أنت دائما بدونه ، فإذا جاء الليل فلا تشغل بالك ، وإن جاء النهار وأنت

(١) سراج الدين هو الذى كان ينشد المثنوى ومن مريدى مولانا جلال الدين الرومى .

مشغول بعملك وأنت بعيد عن الجسد ، فبم ترتعد على هذا الجسد وأنت لا تكون معه ساعة واحدة بل أنت فى وادٍ وهو فى وادٍ . هذا الجسد مَغْلَطَةٌ عظيمة يظن أنه ميت وهو كذلك .

فيا هذا بم تتعلق بهذا الجسد ؟ إنه مخادع عظيم فلما تنبه سحرة فرعون لحظة فدوا به أنفسهم لأنهم رأوا أنهم قائمين بلا جسد وأن الجسد لا صلة له بهم ، وهكذا كان إبراهيم وإسماعيل والأنبياء والأولياء تركوا الجسد بكل ماله وما عليه .

وضع الحجاج الحشاش رأسه على الباب وأخذ ينادى : " لا تحركوا الباب حتى لا تسقط رأسى " وكان يظن أن رأسه منفصلة عن جسده وقائمة بواسطة الباب . هكذا حالنا و حال الخلق يحسبون أنهم إما متعلقون بالجسد وأنهم قائمون به .

* * *

فصل

"خلق آدم على صورته" (١) الآدميون يطلبون المظاهر ، هناك كثير من النســاء المستورات يكشفن عن وجـوههن حتى يجربن الظهور كما تجرب أنت الموسى .

يقول العاشق للمعشوق لم أنم ولم آكل وصرت كذا وكذا بدونك ومعنى هذا أنك تطلب مظهراً وأنا مظهرك الذى تدعى عشقك له ، وهكذا العلماء والمبدعون جميعا يتطلبون المظهر " كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف " . خلق آدم على صورته أى على صورة احكامه ، و أحكامه ظاهرة فى جميع الخلق ؛ لأن الجميع ظل الحقّ ، والظل يَظَلُّ مع الشخص أينما كان ، إذا فتحت الأصابع الخمسة فتح معها الظل ايضا وإذا ركع الإنسان لأتبعه الظل ، وإذا قام قام معه الظل ، فالخلق جميعًا طالبون مقصوداً واحداً ومحبوباً واحداً، أعداءًا مع أعدائه وأولياء مع أولياءه. كل ما مضى ما هو إلا أحكامه وصفاته التى تظهر فى الظل ، وغاية ما فى الباب أن ظلنا جاهل بنا أما نحن فمن العالمين به ، ولكن

(١) إشارة إلى حديث النبى ﷺ الذى يقول فيه " إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته " .

علمنا هذا إذا قيس بعلم الله - سبحانه وتعالى - فحكمه الجهل المطلق ، كل ما في الشخص لا يتجلى في الظل إلا قليلا من الأشياء فجميع صفاته سبحانه وتعالى لا تظهر في ظلنا هذا إلا قليلا ، يقول الله ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٨٥] .

فصل

سئل عيسى عليه السلام : ياروحَ الله أى شئ أعظم ، وأصعب فى الدنيا والآخرة ؟ قال : غضب الله - عز وجل - قالوا : وما ينجى من ذلك ، قال : أن تكسر غضبك وتكْظِم غيظك ، وذلك هو السبيل لأن النفس إذا اشتكت فعليك أن تخالفها وتشكر الله - سبحانه - ولك أن تبالغ فى شكره ، حتى تحصل محبته فى نفسك ، لأن الشكر المزيف معناه طلب المحبة من الله. هكذا يقول مولانا العظيم قدس الله سره : الشكاية من المخلوق شكاية من الخالق وقال - ايضًا - العدواة والغيظ سُر فى داخلك . كالنار التى إذا رايت فيها جذوه تشتعل فاطفئها حتى تعود إلى العدم ، أما إذا ساعدتها بكبريتٍ فمن الصعب أن توصلها إلى العدم ، ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة المؤمنون : الآية ٩٦] ، حتى تتغلب على العدو وتقهره بطريقتين : الأولى : أن العدو قد ملأ دمه ولحمه بأفكار رديئة عنك دفعتها هذه عن نفسك بشكره ابتعدت أيضاً عنك لأن " الإنسان عبيد الإحسان " . الثانية :ألا تبالى به لأنه كالأطفال الذين ينادون شخصا باسم ما ، فإذا سبّهم زاد فى رغبتهم. لأنهم بذلك اعتقدوا أن لفعلهم أثرًا ، أما إذا لم يبال بهم فقد قلل رغبتهم ، فإذا

ظهرت صفة العفو فقد تبين أن صفة الذميمة التى كان يظنها بك كاذبة ، وظهرت نظرته إليك على أنها غير بريئة ، وأنه لم يرك كما أنت ، وبذا تبين أنه مذموم وليس أنت ، وليست هناك حجّة أكثر عار للخصم من أنك تبدى كذبه ، وبهذا الشكر قد أعطيته فى الحقيقة سماً . وظهرت كما لو أنك محبوب حقيقيى ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٣٤] والمحبوب الحقيقى ليس ناقصًا فامدحه كثيراً حتى يظن به أصحاب النفاق ؛ لأنه لو لم يكن منافقًا معهم ، لما انسجم معك هذا الانسجام الكبير .

انتف برفق شواربهم واكسر برفق رقابهم حتى ولو كانوا طوالاً وضخاماً .

* * *

فصل

بين العبد والحق حجابان فقط أما باقى الحجب فتظهر من هذين الحجابين وهما الصحة والمال ، ذلك لأن الجسم المتمتع بالصحة يقول أين الله ؟ أنا لا أعرفه ولا أراه أما عند ما يُبتلى بداءٍ فيبدأ بقوله يا الله يا الله ! ويغدو مع الحق ملازمًا ومناجيًا وهكذا ترى أن الصحة حجاب له ، وكان الحق خفيًا تحت ذلك الداء ، وهكذا المال والمعاش يشغلك به طوال الليل والنهار إما إذا صرت مسكينًا أخذت تدور حول الحق .

ضعفك وفقرك أتى بك إلى ، فأنا عبد لضعفك وفقرك .فالحق سبحانه وتعالى قد أعطى فرعون اربعمائة سنة من العمر والملك والسعادة وكان ذلك حجاباً أبعده عن الحق ولم يمنعة يوماً حاجة ولم يصبه بمشكلة قط حتى لا يتذكر الله سبحانه وتعالى وكأنه قد أوحى إليه : كن مشغولاً بمقصودك ولا تذكرنا و طابت ليلتك .

شبع سليمان من ملكه ولم يشبع أيوب من بلائه

* * *

فصل

قال مولانا : عندما يقولون هنالك شر فى نفس بنى آدم لا يوجد مثله فى الحيوانات والسباع هذا ليس من باب أنهم أدنى من الحيوانات والسباع وإنما هذا من قبيل أن هذه الصفات الذميمة خفية فى نفس الإنسان حسب جوهره وقد حجب ظهور هذه الصفات الجوهر ؛ لأن الجوهر كلما كان نفيسا وعظيما وشريفًا كان الحجاب أقوى .

فظهر أن هذه الصفات الذميمة كانت حاجزًا وحجابًا للجوهر ، ولا يزول هذا الحاجز إلا بمجاهدات كثيرة والمجاهدات أنواع وأعظمها مصاحبة الأصحاب الذين تولوا إلى الله وأعرضوا عن هذا العالم ؛ لأن أصعب مجاهدة أن تجلس مع أصحاب صالحين ، تكون رؤيتهم محو وإفناء للنفس ، ومن هنا يقولون إن الثعبان إذا لم ير إنسانا يصبح تنينًا يعنى لا يرى أحدًا يكون سببًا فى ؛ محو شره ؛ لأنهم كلما وضعوا قفلاً كبيرا على مكان دل هذا على أن هناك شيئًا نفسيًا وثمينًا وهكذا كلما كان الحجاب عظيما كان الجوهر عظيما كثعبان جالس على كنزه فلا تنظر إلى قبح الثعبان لكن انظر إلى كنزه وجوهره .

* * *

فصل

قال محبوبى : بم يحيا فلان ؟ الفرق بين الطيور وأجنحتهما وبين أجنحة همم العقلاء أن الطيور بأجنحتهما تطير إلى جهةٍ من الجهات والعقلاء باجنحة هممهم يطيرون عن الجهات لكل فرس معلف ولكل دابةٍ اصطبل ولكل طيرٍ وكر والله اعلم .

اتفق الفراغ من تحرير هذه الأسرار الجلالية فى التربة المقدسة يوم الجمعة الرابع عشر من رمضان المبارك لعام ١٥٧ وأنا الفقير إلى الله الغنى بهاء الدين المولى العادلى أحسن الله عواقبه آمين يارب العالمين .

* * *

فصل

تواتر السماع على الأذن يكون فعله كفعل الرؤية ، وحكمه كحكم الرؤية .

فمثل أنك ولدت من أبوين ؟ وقيل لك أنك ولدت منهما ، ولم تر بعينك ، ولكن بكثرة السماع وصل يقينك إلىٰ حدٍ لو قيل إنك لم تولد منهما لن تصدق .

وكذا الحال فى أنك سمعت عن خلق كثير أن بغداد ومكة تواجدن ، فإن قيل وحلِف لك العكس لا تصدق ؟ فعلمنا أن الأذن إذا سمعت بالتواتر فحكمها كالرؤية ، وربما يكون لقول شخص حكم التواتر ؟ ومن ثم لا يكون هذا الشخص واحداً ، بل هو مائة ألف الشخص ؟ وهكذا فإن القول الواحد منه يكون مائة ألف قول .

فما العجب فى ذلك . فهذا الملك حكمه حكم مائة ألف شخص – وإن كان واحداً ، فإذا قال : مائة ألف شخص لا ينفذ قولهم ، وإن قال هو ينفذ قوله فوراً ؟ فإن كان هذا فى عالم الظاهر ، فأولى أن يكون هذا فى عالم الأرواح ، وإن كنت قد سرت فى العالم فلأنك لم تسر لأجله فلك أن تطوف حول العالم مرة أخرى .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١١] . لم يكن ذلك السير من أجلى بل كان من أجل السياحة والبصل أو الثوم ؟ فإذا لم تكن قد سرت من أجله فقد سرت من أجل غرض آخر ؟ وهذا الغرض كان حاجزاً بينى وبينك ولم يترك لك فرصة أن تراني و كما يحدث أن تبحث فى نهم عن شخص فى السوق فلا ترى أحدا و ترى الخلق كالخيال . أو عندما ترغب تبحث فى الكتاب عن مسألة قد ملئت أذنك وعينك وفكرك ملئت من تلك المسألة فتمر على الصفحات ولكن لا ترى شيئًا ؟ أو عندما يكون لك مقصود وهدف غير هذا فإنك أينما يممت وجهك كنت ممتلئاً به ولا ترى غيره .

كان فى عهد (عمر) ﷺ وأرضاه - شخص شيخ بلغت به الشيخوخة حتى كانت ابنته تعطيه اللبن وتربيه كالأطفال ؟ قال (عمر) ﷺ لتلك البنت : - فى هذا الزمن لم أجد أحداً يؤدى حق والده مثلك ! ، فأجابت : صدقت ولكن بينى وبين الأب فرق ، وإن كنت غير مقصرة فى خدمته ؛ لأن الأب عندما كان يربينى ويخدمنى كان يرتعد خشية أن يصيبنى مكروه و أنا أخدم أبى ولكن أدعو الله ليلا ونهار وأطلب وفاته حتى تنقطع مشاكله عنى - فإذا كنت أخدم الأب - لكن من أين أتى بارتعاده ، قال عمر ﷺ : - هذه أفقه من عمر . يعنى أنا حَكَمْتُ على الظاهر وأما أنتِ فقد قلت لبَّ القضية ؟ والفقيه هو الذى يطلع على مخ الشيء ويعرف حقيقته .

وحاشا أن يكون (عمر) ﷺ غافلا عن حقيقة الأشياء وأسرارها إلا أنه كان من خصال الصحابة - رضوان الله عليهم - يتواضعون ويمدحون غيرهم .

أناس كثيرون ليس لهم قوة "الحضور" ، لكنهم فى حالة الغياب أحسن ؟ كما أن جميع نور النهار من نور الشمس ولكن إذا ما ظل الإنسان ينظر طول النهار فى قرص الشمس لضاعت عيناه أو ضعفت . فالأولى به أن يُشغل بعمل ؟ وذلك غيبة عن النظر فى قرص الشمس .

وهكذا ذِكْرُ الأطعمة عند المريض مهيج ومفيد فى تحصيل القوة والاشتهاء ؟ أما حضور تلك الأطعمة فمضر له .

فتبين من ذلك أنه يجب الارتعاد والعشق فى طلب الحق ويجب أن يقوم على خدمة المرتعدين كل من ليس له هذا الارتعاد ؟

لن تثمر أية شجرة من جذعها ؛ لأنه لا يرتعد ، والفروع هى التى ترتعد لكن الجذع يقوى بالفروع ؟ وكذلك الفروع تأمن من جرح الفأس بواسطة الثمار ، فإذا كان إرتعاد جذع الشجرة بواسطة الفأس ؟ فالأولى به السكون وإن كان يخدم المرتعدين .

طالما أنه معين الدِّين وليس عين الدِّين بسبب زيادة الميم التى اضيفت على العين . لأن الزيادة على الكمال نقصان ، فزيادة تلك الميم نقصان ، كالأصابع الستة لليد وإن كانت زيادة إلا أنها ناقصة ، "أحد" كمال وأما" أحمد" فما زال فى طريق الكمال وحينما تحذف تلك الميم تصبح كمالاً مطلقا ، يعنى الحق محيط بكل شىء وأن يضاف إليه فذاك نقصان ، هذا العدد الواحد موجود مع جميع الأعداد ولا يمكن وجود عدد بدونه .

" كان السيد برهان الدين " يشرح فائدة ، فقاطعه شخص قائلاً : ينبغى أن يكون كلامك كلامًا بلا مثال ، قال : إذا كنت بلا مثال فتعال واسمع كلامًا بلا مثال ، يا هذا أنت مثال لنفسك فهذا شخصك وهو ظلك ، وعندما يموت أحد يقولون إن فلان ذهب وإن كان هو هذا الجسد فأين ذهب هو ؟

فتبين أن ظاهرك نموذج باطنك حتى يستدل بظاهرك على باطنك ، فكل شىء يظهر للعين فإنما يظهر من الكثافة ، كما لا تحس النَفس فى الصيف ولكنه يظهر فى الشتاء من غلظته وكثافته .

وجب على النبى ﷺ أن يظهر قوة الحق ويهتم بالدعوة ، لكن ليس له أن يهدى الشخص فهذا فعل الحق ؟ فللّحق صفتان (القهر – اللُطْفُ) والأنبياء مظهر لكلتيهما ، المؤمنون مظهر للّطف ، والكفار مظهر للقهر ، الذين يقرون يرون أنفسهم فى الأنبياء ويسمعون أصواتهم منهم ، ويشمون رائحتهم منهم والإنسان لا ينكر نفسه ، ومن هنا يقول (الأنبياء) – عليهم السلام – للأمة نحن منكم وانتم منا ولسنا غرباء ، فإن قال شخص هذه يدى فلا يعترض عليه أحد ولا يطلب منه شاهد لأنه جزء متصل به ، أما إذا قال : إن فلان إبنى فيطلب منه الشواهد لأنه جزء منفصل عنه .

فصل

قيل الحب موجب الخدمة ، ليس هذا كذلك بل إن ميل المحبوب هو المقتضى للخدمة وإن أراد المحبوب أن يشغل المحب فى خدمته فإن الخدمة تأتى من المحب وإن لم يرد المحبوب ذلك فإن المحب يترك الخدمة ، وترك الخدمة ليس مُنَافيًا للحب أو المحبة بل الأصل هى المحبة والفرع هو ترك الخدمة فإن تحرك الكُمُّ فهذا من تحرك اليد ، وليس من الضرورى ولايلزم أن تتحرك اليد ويتحرك معها الكُم ، فمثلاً : أحد الأشخاص له جُبَّةٌ واسعة وكلما تحرك فى داخلهما لا تتحرك هى ، ولكن لا يمكن أن تتحرك الجُبَّةَ والكُم بعضهم ظن الجبة نفسها شخصاً ، وعدوا الكم يداً وتخيلوا الحذاء ذا الساق الطويلة ورجل السروال رجلاً .

هذه اليد وهذه القدم هما كم وحذاء ليد أخرى وقدم أخرى يقولون :" فلان تحت يد فلان " ولفلان يدٌ فى أشياء كثيرة ويعطى فلاناً يده فى الكارام ، ولاشك فى ان الغرض من تلك اليد وتلك القدم ليست هذه اليد وهذه القدم .

جاء ذاك الأمير فَجَمَعَنَا ومضى . كالزنبور التى جمعت الشمع مع العسل وطارت وانصرفت ، لأن الشرط كان وجودها وليست بقاءها ، أمهاتنا وآباؤنا . كالزنابير يجمعون بين الطالب والمطلوب ، والعاشق

والمعشوق ، ولكنهم فجأة يطيرون إليه - سبحانه وتعالى - جعلها السبب فى جمع الحنوط والعسل ثم تطير ، ويبقى الحنوط والعسل والحديقة ، انهم لا يخرجون من حرم الحديقة ، وهذه الحديقة ليست بالحديقة التى يمكن الخروج منها ، لكنها من ركن إلى ركن آخر من الحديقة ، جسدنا كبيت النحل فيه الشمع والعسل وعشق الحق ، وبرغم أن الزنابير أمهاتنا وأباءنا سبب إلا أنهم يُربون من صاحب الحديقة ، ويصنع بيت النحل كذلك ، وقد أعطى الله تلكم الزنابير شكلاً آخر ، فحينما كانت تعمل هذا العمل كانت لها لباس آخر حسب عملها ، أما عندما مضت إلى عالم آخر غيرت ملابسها لأن عملها يختلف هناك عن هنا ، أما الشخص فهو الشخص الأول مثلة كالذى ذهب إلى القتال فلبس ملابس الحرب وتقلد السلاح وعندما جاء إلى حفل السرور ، خلع تلك الملابس ؛ لأنه سينشغل بعمل آخر ، الشخص نفس الشخص الأول .

ولكن لأنك إن رأيته فى ذلك اللباس فكلما تذكرت شكله تُصُوِّرته فى ذلك اللباس ولو غير مائة ملبس .

فَقَدَ شخص خاتمة فى مكان فظل يدور حول هذا المكان على الرغم من الخاتم قد نقل من هناك قائلا فى نفسه ، إنى فقدته هنا ، كصاحب العزاء الذى يدور حول القبر ويقُبل أعتاب التراب دون وعى . ويظل يقول فى نفسه فقدت هذا الخاتم هنا فكيف أجده هناك - سبحانه وتعالى - تنوعت صنعته وأظهر قدرته حتى ألَّفَ بين الروح والجسد لأجل حكمته الإلهية ، ولو جلس آدمى ساعة فى اللحد مع الجسد خشى أن يصبح مجنونا فكيف يمكن ان يبقى هناك عندما يتخلص من شرك الصورة

وخندق الجسد ، لقد صنع الحق سبحانه وتعالى ذلك تخويفًا للقلوب وتجسيديًا لخوفهم حتى يطّلع الناس على وحشة القبور وظلمتها ، وهذا شبيه بما يحدث عندما تهاجم قافلة فى موضع من المواضع فيضع رجال القافلة بعض الأحجار على سبيل العلامة لدفع الخطر عنهم قاصدين بذلك أن هنا موضع خطر .

هذه القبور كذلك علامات على أماكن الخطر ، وذلك الخوف يؤثر فى الناس بقوة وليس من الضرورى أن يظهر العمل ، فمثلاً : يقال لك إن فلانا يخاف منك فإنك دون أن يصدر منه فعل تبدى تعاطفا معه دون شك ، وعلى العكس إن قيل أن فلانا لا يخاف منك قط ، وليس فى قلبه منك أية هيبة فهذا يترك فى قلبك منه نوعًا من الخصومة ، وهذا الجرى ما هو إلا نتاج الخوف ، والعالم كله يجرى إلا أنه يختلف جرى كل واحد بحسب حالة ، جرى الآدمى من نوع وجرى النبات من نوع آخر ، وأما جرى الروح من نوع ثالث ، فجرى الروح بلا اقدام وبلا أثر .

ياهذا . انظر إلى حبات الحصرم قبل البلوغ فكم جرى فى مراحل حتى نضج ، وبمجرد أن أصبح لذيذاً وصل إلى مراده ، ولو أن هذا الجرى لا يرى فى النظر ولا يحس لكنه حينما يصل إلى النضج فيتبين لنا أنه جرى كثيرا حتى وصل إلى هنا كالذى كان يسبح فى الماء خفية ولم يكن يراه أحد فلما أخرج رأسه تبين أنه كان يسبح فى الماء حتى وصل إلى هنا .

فصل

للعشاق آلام لا يشفيها دواء ، ولا تشفى بالأكل ولا بالشرب ، ولا بالسير ، ولا بالنوم لا يشفيها إلا لقاء الحبيب ، لأن لقاء الخليل شفاء العليل وهذا صحيح إلى حد ، انه عندما يجلس منافق مع المؤمنين يصبح فى تلك اللحظة مؤمناً ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٤] .

إذا كانت جلسه المنافق هذه مع المؤمنين تؤثر فيه ، فكيف الحال إذا جلس المؤمن مع المؤمن ؟ فإذا كان لهذا مثل هذا التأثير فى المنافق .

فانظر ذاك الصوف قد أصبح بساطًا منقوشًا، وهذا التراب قد أصبح داراً واسعة كل ذلك بمجاورة العقل ، فهكذا تؤثر صحبة العاقل فى الجماعات.

يا هذا انظر كيف تؤثر صحبة مؤمن فى المؤمن ، من مصاحبة النفس الجزئية ، والعقل الناقص ، وصلت الجماعات إلى هذه الدرجة وكل هذا ما هو إلا ظل العقل الجزئى ، من الممكن أن يقاس الشخص من ظله ، فالآن ما ظنك بالعقل الذى يكون وراء هذه السموات والأرض

وما بينهما والشمس والقمر . كل هذه الموجودات ظل للعقل الكلى ، فظل العقل الجزئى موافق لظل صاحبه ، وظل العقل الكلى - التى هى الموجودات - مناسب لظل صاحبه .

إن أولياء الحق شاهدوا سماوات أخرى غير هذه السموات لأن هذه السموات تظهر عندهم حقيرة ، وضعوا رجلهم عليهم ومضوا وتجاوزوها إلى : سماوات فى ولاية الروح ، فى يدها قياد سماء الدنيا .

وما العجب فى أن وصل أحد من الناس فوق زحل ، ألم نكن جميعًا من ذاك التراب الذى نفخ فيه سبحانه عز وجل قوة وَصَلَتْنا إلى هذه القوة وأصبحنا متصرفين بها ، وأصبح كذلك تحت سيطرتنا أن نتصرف فيه كيفما نشاء ، تارة نرفعه وأخرى نهبطه ، وتارة أخرى نبنى به قصورًا ، أو نصنع منه أبريقاً أو كوبًا وتارة ثالثة نمدُّهُ أو نقصره .

إذا كنا نحن فى البداية من ذاك التراب ثم فضلنا الله - سبحانه وتعالى - بتلك القوة ، فما العجب إذن أن فضل الله بعضنا على بعض ، فنحن بالنسبة إليه كالجماد ، ويتصرف فينا ونحن غير مطلعين عليه ، أما هو مطّلع علينا .

وعندما أقول " غير مطلعين " لا أعنى غير مطلعين تمامًا ، بل إن كل اطلاع على شيء هو عدم إطلاع على شيء آخر، فذاك التراب الجامد عالم بما أعطاه الله سبحانه، إن لم يكن يعلم فكيف يتقبل الماء وهاهى الحبة يرضعهما ويربيهما . إذا كان الشخص مُجداً وملازماً لأمر ما فإن انتباهه إلى ذلك العمل يعنى أنه غير مطلع على غيره .

ولكننا لا نقصد بهذه الغفلة غفلة كلية ، أرادوا أن يقبضوا على قط فلم يتمكنوا وذات يوم انشغل القط فى صيد طائر فتمكنوا من القبض عليه .

فينبغى أن لا نصرف همنا إلى الدنيا وأن نأخذها برفق وسهوله وإيانا أن نسقط فى فخّها ، حتى لا يؤلمه هذا ولا ذاك ، الكنز لا ينبغى أن يتألم ؛ لأنه إذا تألم هؤلاء فإنه سيغيرهم ، أما إذا تألم هو ، والعياذ بالله ، فمن الذى يغيره ؟ لو كان عندك – مثلاً – أنواع مختلفة من اللباس ، وأنت تتعرض للغرق ، فبأى منها ستتمسك برغم أنها كلها ضرورية فإنك يقينًا فى حال الضيق ستقبض على الشيء النفيس بيدك ، لأنه بجوهرة واحدة ويكسرة ياقوت يستطيع الإنسان أن يصنع ألف زينة .

تخرج من الشجرة ثمرة لذيذة وبرغم أن هذه الثمرة كانت جزءًا من الشجرة ، فإنّ الله – سبحانه وتعالى – قد اصطفى هذا الجزء على الكل وترك فيها حلاوة لم يضعها فى الباقى وفضله على الكل وصار لب الشجرة وأساسهما . كقوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُنذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ [سورة ق : الآية ٢] .

يقول أحدهم : لىّ حالة لا يتسع فيها المكان لمحمد ولا لملك مقرب .

فقال الشيخ : عجبًا ،أن يكون للعبد حال لا تتسع محمداً ، ولا يكون لمحمد حال لا تسع مثلك أيها المنتن الابط .

أراد مهرج أن يضحك الملك ، أعطاه أهل البلاط العطايا ، لأن الملك العظيم كان حزينًا ، وكان يسير غاضبًا على شاطئ النهر ناظراً إلى

الماء وجلس المهرج إلى جانب الملك لكن الملك لا ينظر إليه قط .

تعب المهرج فقال : يا أيها الملك لماذا تنظر إلى الماء بكل هذا الاهتمام وهذا التحديق ؟ .

فقال الملك : أشاهد ديوثًا

قال المهرج: أنا أيضا لست أعمى .

فالآن تبين إنه إذا كان لك حال لا يسع محمداً عجيب ألا يكون لمحمد حال يسعك يا هذا ، الحال التى وصلت إليها هى ببركته وتأثيره لأن جميع العطايا تصب عليه أولاً ثم يقسم منها على الأشياء جميعا هذه سنة الله الذى قال : - السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته

فقال محمد : وعلى عباد الله الصالحين .

طريق الحق مليء بالمخاطر والمخاوف ، والثلوج تقدَّم هو أولاً وفتح الطريق بجواده فمن يذهب بعده فى هذا الطريق فهذا من فضله وعنايته .

لأنه هو أول من عرَّف الطريق ونصب العلامات فيه وحذر قائلا، لا تذهبوا هنا حتى لا تهلكوا كقوم عادٍ وثمود ، أما إذا سلكتم هذا السبيل فهنا خلاصكم كالمؤمنين ، والقرآن كله ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٩٧] .

يعنى ترك لنا فى هذا الطريق العلامات ، ومن أراد أن يكسر خشبة من هذه الخُشَب حمل الجميع عليه قائلين لماذا تخرب طريقنا وتسعى فى

إهلاكنا ، يا هذا أنت من قطاع الطرق .فاعلم الآن، أن الإمام هو محمد ﷺ وما لم يصل إلى محمد لا يصلنا ، هكذا إذا أردت أن تذهب إلى مكان ما فالعقل أولاً يهديك ، حيث يختار لك مكانًا مناسبًا ، ثم العين تؤمك ثم تتحرك الأعضاء .

فبهذا الترتيب ، وإن لم تعلم الأعضاء من العين شيئاً ولا العين من العقل .

إن كل البشر غافلون إلا أن الآخرين ليسوا غافلين عنهم ، فكلما كنت فى شغل الدنيا مُجدًا وساعيا ، كنت غافلا عن حقيقة العمل ، فينبغى أن تطلب رضا الحق وليس رضا الخلق .

وضع الله - سبحانه وتعالى - هذا الرضا والمحبة والشفقة فى الخلق مستعارة ووضعها الحق فيهم حين لا يشاء لا يعطى أية سكينة أو متعة وبوجود أسباب النعمة والخير والرفاهية والتنعم يغدو كل شىء ألمًا ومحنة .

ولذلك فجميع الأسباب تكون كالقلم فى يد قدرة الحق والحق هو محرك ومحرّر إذا لم يرد فإن القلم لا يتحرك .

أنت تنظر إلى القلم وتقول ينبغى أن يكون لهذا القلم يدُ، أما عندما تنظر إلى القلم لا ترى يدا وترى القلم وتذكر اليد ، أين ما ترى وما تقول ؟!

لكنهم يرون دائمًا يدًا ويقولون يجب أن يكون هنالك قلم بل من شدة اهتمامهم بجمال اليد لا يهتمون بالقلم " مثل هذه اليد لا يمكن أن

تكون من دون قلم ' وإذا كنت لا تتذكر اليد بسبب حلاوة النظر إلى القلم ، فكيف تنتظر منهم أن يتذكروا القلم وهم يتذوقون حلاوة النظر إلى تلك اليد ، عندما تجد فى خبز الشعير حلاوة تجعلك لا تتذكر خبز القمح ، كيف تنتظر منهم أن يتذكروا خبز الشعير بوجود خبز القمح ؟

إذا كان قد اعطاك حبا فى الأرض جعلك لا تريد السماء التى هى المحل الحقيقى ... وإذا كانت الأرض تستمد حياة من السماء فأنى لأهل السماء أن يتذكروا الأرض ؟ فالآن لا تنتظر إلى السعادة ، والملذات فى الأسباب لأن هذه المعانى مستعاره فى الأسباب لأنه هو الضار والنافع ، وإذا كان الضرر والنفع منه فلم التعلق بالأسباب (خير الكلام ما قل ودلّ) ؟ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص : الآية ١] سورة وإن كانت قصيرة فلها فضل على البقرة من جهة الإفادة ، دعا (نوح) قومة ألف سنة فآمن بدعوته أربعون شخصاً .

ولمحمد ﷺ فى هذا الزمان المحدود قد أسلم له كثير من الأقاليم – وظهر من الأولياء والأوتاد بسببه – فليست العبرة بالقلة أو بالكثرة والغرض هو الإفادة فى نظر بعض الناس ربما يكون الكلام القليل أنفع من الكلام الكثير ، مثل التنور الذى عندما تتأجج ناره لا تستطيع أن تنتفع به ، ولا تستطيع الاقتراب منه ،بينما تستمد ألف فائدة من المصباح الخافت ، وهكذا يتبين أن المقصود هو الفائدة . عند بعض الناس يكون مفيداً ألا يسمع الإنسان كلاماً البته يكفى عندهم أن يرى ، ذلك ما يفيد مثل هذا الإنسان ، وإذا ما سمع كلاماً فإنه يضره .

قصد شيخ من الهند عظيما وفى تبريز وصل إلى عتبة باب الشيخ ، ونادى منادٍ من الداخل إرجع فيكفى لك أن وصلت إلى هذا الباب فإذا رأيت الشيخ فإن ذلك يضرك .

مثل الكلام المفيد وغير المفيد كمثل السراج المضئ الذى أعطى قبلًّ غير المضئ ومضى، ذلك كاف فى حقه لأنه وصل إلى هدفه .

ومهما يكن فإن النبى ليس تلك الصورة ، تلك الصورة فرس النبى ،النبى هو ذلك العشق وتلك المحبة وذلك الباقى دائمًا ، مثل ناقة صالح صورته هو الناقة ، النبى هو ذلك العشق وتلك المحبة وذلك الخالد .

قال أحدهم : " لم لا يثنون على الله وحده فوق المئذنة ؟ لمَ يذكرون محمدًا أيضًا ؟

فقيل له : إن الثناء على محمد هو ثناء على الحق ، مثال ذلك أن يقول أحدهم : أطال الله عمر الملك ومن دلنى على طريق الملك ، أو ذكر لى اسم الملك وأوصافه " . الثناء على مثل هذا الإنسان هو فى الحقيقة ثناء على الملك .

هذا النبى يقول أعطنى شيئًا أنا فى حاجة أعطنى جبَّتُك أو مالك أو لباسك . ماذا سيفعل بجبتك ومالك ؟

يريد أن يخفف ثيابك لكى تصل إليك حرارة الشمس ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [سورة المزمل : الآية ٢٠] .

لا يريد المال والجبة فقط ، فقد اعطاك كثيراً غير المال مثل العلم والفكر والحكمة . ومهما يكن من أمر فقد ظفرت بالمال بواسطة هذه الآلات التى أعطيتك إياها .

يريد الحق الصدقة من الطائر ومن الشرك ؛ فإذا استطعت أن تذهب عاريًا أمام الشمس فذلك أحسن ، لان تلك الشمس لا تسوِّد بل تبيض ، أو على الأقل خفف ثيابك ، لكى تستمتع ببهجة الشمس ، جربت حدة المزاج بعض الوقت ، فجرب الحلاوة أيضاً

* * *

فصل

قال مولانا : إن خاطرك طيب . وكيف يكون هذا ؟ لأن الخاطر شيء عزيز ، وهو كالشرك الذى ينبغى أن يكون مهيأ للإمساك بالصيد . وإذا كان الخاطر معكراً ، فإن الشرك يكون مقطعاً وعديم الفائدة .

ولذلك ينبغى على الإنسان إلا يفرط فى محبة شخص ولا يفرط فى عداوته لأن الأمرين كليهما مما يقع فى الشرك . لابد من الاعتدال والتوسط . وهذه المحبة التى ينبغى أن تكون من دون إفراط إنما أقولها فى شأن غير الحق . أما فى حق البارئ تعالى فلا يتصور إفراط البتة : كما زادت المحبة كان ذلك أحسن . لأنه عندما تكون محبة غير الحق مفرطة والخلق كلهم مسخرون لدوران الفلك ، ودولاب الفلك دائر ، وأحوال الخلق أيضاً دائرة - عندما يكون الحب مفرطًا لشخص من الأشخاص فإنه يريد له دائماً سعوداً عظيمة .

وهذا متعذر ، مما يشوش الخاطر . وعندما تكون المعاداة مفرطة فإن المادى يريد دائماً لمن عاداه نحوساً ونكبات ، ولكن لأن دولاب الفلك دائر وأحوال الإنسان تدور معه فيكون مسعوداً تارة ومنحوسًا تارة أخرى ، غدا كون الإنسان منحوساً دائماً مستحيلاً أيضاً ؛ وهكذا يشوش خاطر المعادى من دون طائل .

أما محبة الحق فكامنه فى العالم كله وفى الناس كلهم ، من مجوس ويهود ونصارى ، وفى الموجودات جميعًا ؛ إذ كيف لا يحب الإنسان موجده ؟ - المحبة كامنة فى كل إنسان ، لكن ثمة موانع تحجبها ؟ وعندما تزول تلك الموانع تظهر تلك المحبة .

ولم أتكلم فقط على الموجودات ؟ - العدم أيضًا فى جيشان ، متوقعان أن يحوله الله إلى الوجود . وحال المعدومات كحال أربعة أشخاص اصطفوا أمام ملك . كل منهم يريد وينتظر أن يخصه الملك بالمنصب . وكل منهم خجل من الآخر ؛ لأن توقعه مناف لتوقع الآخر . وهكذا فإن المعدومات ، لأنها متوقعة من الحق الإيجاد وخلقها قبل غيرها ؛ ولذلك فإن كلا منها خجل من الآخر .

والآن ، إذا كانت المعدومات هكذا ، فكيف تكون الموجودات ؟

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٤٤] .

ولا عجب فى هذا ، بل كل العجب من : " وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ الكفر والدين كلاهما يبحثان عنك ،

ويرددان : " وحدة لا شريك له " (*)

بناء هذا البيت من الغفلة . والأجسام والعوالم كلها قائمة على الغفلة . وهذا الجسم النامى نما أيضًا من الغفلة . والغفلة كفر ، والدين

(*) بيت للحكيم سنائى فى ديوانه " حديثة الحقيقة " (المترجم) .

من دون وجود الكفر غير ممكن ؛ لأن الدين ترك الكفر . ولذلك لا بد من الكفر ، لكي يمكن تركه وهكذا فإن الاثنين شيئ واحد ؛ لأن هذا لا يكون من دون ذلك ، وذلك لا يكون من دون هذا . شيئ واحد لا يتجزأ ؛ وخالقهما واحد ، ولو لم يكن خالقهما واحد لتجزأ . كل خالق سيكون قد خلق شيئا مستقلا ، فيكونان عندئذ متجزئين . هكذا لأن الخالق واحد ، وحده لا شريك له .

قالوا : إن السيد برهان الدين (*) يقول كلامًا جميلاً ، لكنه يكثر من الاستشهاد بشعر سنائى .

فقال مولانا : ما يقولونه صحيح تمامًا : الشمس رائعة ، لكنها تعطى النور . هل هذا عيب ؟ إن إدخال كلام سنائى هو إيضاح لذلك الكلام . الشمس تظهر الأشياء وفى نور الشمس تكون الرؤية ممكنة . المقصود من نور الشمس هو إظهار الأشياء . ومهما يكن ، فإن شمس الفلك هذه تظهر الأشياء التى لا فائدة فيها . أما الشمس التى تظهر الأشياء المفيدة فهى الشمس الحقيقية . وهذه الشمس ليست سوى فرع لتلك الشمس الحقيقية ، وهى مجاز منها . فها لكم أيضاً أن تستمدوا ، بقدر عقلكم الجزئى ، من شمس القلب تلك ، وتطلبوا نور العلم فيتهيأ لكم رؤية الأشياء غير المحسوسة ، ويكون علمكم فى ازدياد مطرد . وتوقعوا أن تفهموا وتدركوا شيئًا من كل أستاذ وكل صديق .

(*) هو الشيخ برهان الدين محقق الترمذى ، تلميذ الشيخ بهاء ولد ، والد مولانا ، وشيخ مولانا بعد وفاة والده . (المترجم) .

وهكذا نستيقن أن هناك شمساً أخرى ، غير شمس الصورة ، تكشف بوساطتها الحقائق والمعانى . وهذا العلم الجزئى الذى تطير إليه وتطيب به نفسك فرع ذلك العلم العظيم وشعاعه . وهذا الشعاع هو الذى يدعوك إلى ذلك العلم العظيم والشمس الأصلية ، ﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة فصلت : الآية ٤٤] .

وأنت تسحب ذلك العلم إليك ، وهو يقول : " أنا لا يمكن أن أختزن هنا ، وأنت بطيئ فى الوصول إلى هناك . واختزانى هنا محال . ومجيئك إلى هناك صعب " . إن تكوين الصعب فليس محالاً . وهكذا ، برغم انه أمر صعب ، اجتهد فى أن تتصل بالعلم العظيم ، ولا تتوقع أنه يمكن أن يختزن هنا ، لأن ذلك محال . وهكذا فإن الأغنياء بسبب محبة غنى الحق يجمعون الدرهم إلى الدرهم والحبة إلى الحبة لكى تحصل لهم صفة الغنى من شعاع الغنى . وشعاع الغنى يقول : " أنا أناديك من ذلك الغنى العظيم ، فلم تسحبنى إلى هنا ؟ وأنا يعزا اختزانى هنا . فهل لك أن تأتى إلى هذا الغنى العظيم ؟ " .

وعلى الجملة ، فإن الأصل هو العاقبة والنهاية : جعل الله العاقبة محمودة . والعاقبة المحمودة هى أن الشجرة التى أصلها ثابت فى تلك الحديثة الروحانية ، وقد أصبحت فروعها وأغصانها وفاكهتها معلقة فى موضع آخر ، وقد تساقطت ثمارها – فى النهاية تعاد ثمارها إلى تلك الحديقة ؛ لأن الأصل والجذر فى تلك الحديقة . وإذا كانت الحال على

عكس هذا ، فبرغم أن تلك الشجرة فى الصورة الظاهرة تسبح وتهلل ، يؤتى بثمارها كلها إلى هذا العالم ؛ لأن أصلها فى هذا العالم . وإذا كان الاثنان كلاهما فى تلك الحديقة ، فإنه نور على نور .

* * *

فصل

قال أكمل الدين [*]: أنا عاشق لمولانا وأتمنى رؤيته ، وحتى الآخرة ممحوة من ذهني . وأجد أنسا في صورة مولانا من دون هذه الفكر والاقتراحات ؛ وأجد الراحة في جمالة ، وأظفر بمتعة في صورة نفسها أو في خياله .

فأجاب مولانا : برغم أن الآخرة والحق لا يخطران ببالك ، فإن ذلك كله مضمر في المحبة ومذكور فيها .

ذات مرة كانت رقاصة جميلة تعزف على الصنج في حضرة الخليفة فقال الخليفة : " في يديك صنعتك " . فردت : " لا ، في رجلي يا خليفة رسول الله " . " الحسن في يدي لأن حسن القدم مضمر فيه " . وبرغم أن المريد لا يتذكر تفاصيل الآخرة ، فإن تلذذه برؤية الشيخ وخشيته من فراقه متضمن هذه التفاصيل كلها ، وتلك التفاصيل في جملتها مضمرة في ذلك . وهذه الحال محال شخص يحب ابناً أو أخاً ويدلله . فبرغم أن،

(*) هو أكمل الدين الطبيب ، وكان عالمًا ولديه خبرة كبيرة في فن الطب . ويعد واحداً من مريدي مولانا ، وقد تولى مهالجته في مرضه الأخيرة (المترجم) .

فكر البنوة والأخوة وأمل الوفاء والرحمة والشفقة ومحبته لنفسه ، وعاقبه الأمر ، وباقى المنافع التى ينتظرها الأقارب من أقاربهم - برغم أن هذه الفكر جميعاً - لا يخطر منها شئ بباله فإن هذه التفاصيل جميعاً مضمرة فى ذلك القدر من الملاقاة والتأمل . كما أن الهواء مضمرا فى الخشب ، حتى حين يكون الخشب فى التراب أو فى الماء فلو لم يكن فيه هواء لما كان للنار تأثير فيه ؛ ذلك لأن الهواء علف النار وحياة النار . ألا ترى أنها تحيا بالنفخ ؟ برغم أن الخشب قد يكون فى الماء أو التراب يكون الهواء كامنا فيه . ولو لم يكن الهواء كامناً فيه لما طفا على سطح الماء . وهكذا الشأن أيضًا فى الكلام الذى تقوله : برغم أن من لوازم هذا الكلام أشياء كثيرة ، كالعقل والدماغ والشفتين والفم والحنجرة واللسان وجملة أجزاء الجسد التى هى المتحكمة فيه ، وكذا الأركان والطبائع والأفلاك ومئة ألف من الأسباب التى يقوم عليها العالم ، وهكذا إلى أن تصل إلى عالم الصفات ، وبعدئذ الذات - برغم أن هذه المعانى لا تظهر فى الكلام ولا تكشف ، فإنها فى مجموعها مضمرة فى الكلام كما سبق أن قلت .

وفى كل يوم يمر بالإنسان ، يحدث له بمعدل خمس مرات أو ست مرات أشياء غير مرادة ومؤلمة ، من دون اختيار منه . ولا شك فى أن هذه الأشياء لا تكون منه هو ، بل من غيره . وهو مسخر لذلك (الغير) ، وذلك الغير يراقبه ؛ لأن عقب الفعل السيئ يؤلمه ، وإن لم يكن ثمة مراقب له فكيف يؤثر فيه الفعل . وبرغم هذه الأشياء غير المرادة لا يقر طبعه ولا تطمئن نفسه فيعترف : " أنا تحت سيطرة شخص " .

" خلق آدم على صورته " . وفى وصفك الألوهية ، التى هى مضادة لصفة العبودية ، مستعارة . وكثيراً ما يقرع الإنسان على رأسه بالعصا ، ولا يترك ذلك العناد المستعار . وسرعان ما ينسى هذه الأشياء المخالفة لإرادته ، لكن ذلك لا ينفعه . ومادام لا يمتلك ذلك المستعار ، لن ينجو من القرع .

* * *

فصل

قال أحد العارفين : ذهبت إلى موقد الحمام لكى أسرى عن نفسى ؛ لأنه كان المكان الذى يأوى إليه بعض الأولياء . وقد رأيت رئيس الموقد . وكان هناك (صانع) شد وسطه بنطاق . كان يعمل ، وكان رئيس العمل يقول له : " افعل هذا ، وافعل ذلك " . كان الصانع يعمل برشاقة وسرعة وكان الموقد يقدم الحرارة المطلوبة بسبب رشاقته فى تنفيذ أوامر معلمه .

قال رئيس الموقد : " كن رشيقا مثل هذا إذا كنت ماهراً دائمًا ومراعيا للأدب فسأعطيك مقامى وأجلسك فى مكانى ".

غلبنى الضحك ، وحلت عقدتى ؛ لأننى رأيت أن رؤساء هذا العالم جميعاً على هذه الصفة مع تلاميذهم ومتدربيهم .

* * *

فصل

قال أحدهم : إن في ذلك المنجم يقول : " إنك تدعى أن هناك شيئًا غير الأفلاك وغير هذه الكرة الترابية التى أرها ، شيئًا خارج هذه الأشياء . وليس أمامى شيء غير ذلك . وإن كان هناك شيء ، فبين لى أين هو " .

فقال مولانا : إنك ذلك السؤال فاسد منذ البدء ؛ لأنك تقول : " بين لى أين هو " ، وليس لذلك مكان . وبعد ذلك تعال قل لى : من أين اعتراضك وفى أى مكان ؟ لبس فى اللسان وليس فى الفم ، وليس فى الصدر . فتش هذه جميعاً ، قطعها جزءاً جزءاً وذرة وذرة ، وتبين أنك لن تظفر بهذا الاعتراض وهذه الفكر فى هذه جميعاً . وهكذا نستيقن أن فكرك ليس له مكان . وإذا كنت لا تعرف مكان فكرك ، فكيف تعرف مكان خالق الفكر ؟

آلاف الأفكار والأحوال تستبد بك ، وليس لك يد فيها ، وليست فى مقدورك ومستطاعك . ولو عرفت فقط من أين تطلع هذه الأفكار لكنت قادراً على مضاعفتها . هذه الأشياء جميعاً لها ممر من فوقك ، وأنت لا تعرف من أين تأتى وإلى أين تذهب وماذا ستفعل ؟

إذا كنت عاجزًا عن الإطلاع على أحوالك أنت ، فكيف تتوقع أن تكون قادراً على الاطلاع على خالقك .

يقول ابن الزنا : " ليس في السماء " . يا كلب ! كيف تعرف أنه ليس موجوداً ؟ هل مسحت السماء شبراً شبراً ، ودرت حولها كلها ، حتى تخبر بأنه ليس موجوداً فيها ؟ . أنت لا تعرف الزانية التي عندك في بيتك ؛ فكيف ستعرف السماء ؟ هي ، نعم ، سمعت بالسماء ، أو ارتقيت شبراً واحداً نحو السماء ، لما قلت شيئًا من هذه الترهات . وما أوله من أ، الحق ليس فوق السماء ، لا أريد منه أنه ليس فوق السماء ؛ يعني أن السماء لا تحيط به ، أما هو فيحيط بالسماء . له تعلق بالسماء بلا كيف ، كما تعلق بك أنت تعلقاً بلا كيف . والأشياء كلها في يد قدرته وهي مظهرة وتحت تصرفه . وهكذا فهو ليس خارج السماء والأكوان ، وليس فيها تماماً ؛ أي إن هذه لا تحيط به وهو محيط بالجميع .

قال أحدهم : قبل أن توجد الأرض والسماء والكرسي ، أين كان ؟ قلنا : هذا السؤال فاسد منذ البدء . لأن الله هو ذلك الذي ليس له مكان . وأنت تسأل : " أين كان قبل هذا كله ؟ " لماذا أشياؤك كلها لا مكان لها . هل عرفت مكان هذه الأشياء التي فيك حتى تسأل عن مكانه ؟ عندما تكون أحوالك وفكرك من دون مكان ، كيف يمكن أن يتصور له مكان ؟ ومهما يكن ، فإن خالق الفكرة ألطف من الفكرة . فالبناء الذي بنى البيت ، مثلاً ألطف من هذا البيت . لأن ذلك البناء ، الإنسان قادر على أن يصنع ويصمم مئة بناء مثل هذا البناء وغير هذا البناء ، وكثيراً من الأعمال والتصاميم الأخرى التي لا يشبه أي منها الآخر . ولذلك فإنه

ألطف وأعز من أى بناء ، لكن هذا اللطف لا يمكن أن يرى إلا من خلال البيت ، ومن خلال عمل يدخل فى عالم الحس ، لكى يظهر لطفه الجمال . هذا النفس الذى منك فى عملية الزفير يكون مرئيًا فى الشتاء ، أما فى الصيف فلا يكون مرئيا . وليس هذا لأن النفس ينقطع فى الصيف ، ولا يكون ثمة نفس ، بل لأن الصيف لطيف والنفس لطيف ، فلا يظهر ، خلافًا للشتاء . كذلك ، أوصافك كلها ومعانيك كلها لطيفة ولا يمكن أن ترى إلا بوساطة فعل من الأفعال . فحلمك ، مثلا ، موجود ، لكنه لا يرى ، ولكن فقط عندما تعفو عن مسىء فإنه يغدو محسوساً . وكذلك قهرك لا يرى ، ولكن عندما تقهر مجرماً و تضربه فإن قهرك يغدو مرئياً ؛ وهكذا إلى مالا نهاية له .

الحق تعالى بسبب غاية لطفه لا يرى . وقد خلق السماء والأرض لكى ترى قدرته وصنعه . ولهذا يقول :

﴿ فَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ [سورة ق : الآية ٦] .

كلامى ليس فى يدى ، ولذلك أتألم ؛ لأننى أريد أن أعظ الأحبة ولا ينقاد لى الكلام ؛ ومن هنا أتألم . أما من وجهة أن كلامى أعلى منى وأنا محكوم له فأنا مسرور ؛ لأن الكلام الذى يقوله الحق أينما حل يبعث الحياة ويترك آثاراً عظيمة :

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [سورة الأنفال : الآية ١٧] .

السهم الذى ينطلق من قوس الحق لا يدفعه قوس أو درع . ومن هنا أنا سعيد . لو أن العلم كله كان فى الإنسان ولم يكن ثمة جهل

لاحترق الإنسان ولما بقى . ومن هنا يكون الجهل مطلوبا من وجهة أن بقاء وجود الإنسان به ، والعلم مطلوب أيضًا من وجهة أنه وسيلة لمعرفة البارئ . وهكذا فإن كلا منهما معين للآخر ، وهما فى الوقت نفسه ضدان . والليل برغم أنه ضد النهار فإنه معينة ونصيره ، وهما يعملان عملا واحداً . ولو كانت الدنيا ليلاً متصلاً لما أنتج أى عمل ولاما حصل ولو كانت نهاراً متصلاً لبقيت العين والرأس والدماغ منبهرة مندهشة ، ولأدركها الخبال والتعطل . ولذلك يرتاح الناس فى الليل وينامون فتحصل الآلات كلها ، من دماغ وفكر ويدين وقدمين وسمع وبصر ، على القوة ؛ وفى النهار تستنفد تلك القوى وتصرفها . وهكذا فإن الأضداد كلها تبدو أضداداً فى مقياسنا ، و أما فى نظر الحكيم فإنها جميعا تعمل عملاً واحداً ، وليست متضادة . أرنى فى هذه الدنيا شيئًا سيئًا ليس فيه شىء حسن ، وشيئًا حسنا ليس فيه شىء سيئ . خذ لذلك مثلاً ، قصد أحدهم أن يقتل ، ولكنه انشغل بالزنا ، وهكذا لم يرق دماً . وهكذا فإن فعل الزنا هذا من وجهة أنه زنا شىء سيىء ، أما من وجهة أنه مانع للقتل فحسن .

والخلاصة أن السوء والحسن شىء واحد لا يتجزأ . ومن هذه الوجهة لنا بحث مع المجوس . فهم يقولون : إن هناك إلهين ، أحدهما خالق للخير ، والآخر خالق للشر . والآن أظهر لى أنت خيراً من دون شر ، لكى أقر بأن هناك إلهًا للشر وإلهًا للشر وإلهًا للخير .

وهذا محال لأن الخير لا ينفصل عن الشر . مادام الخير والشر ليسا اثنين ، وليس بينهما انفصال ، فإن وجود خالقين محال . ألم

نلـزمكم بحجتنا ؟ - قطعاً عليكم أن تستيقنوا أن الأمر كذلك . نقول كلاماً قليلاً خشية أن يعن لك أن الأمـر كمـا يقـول المجوس . وعلى افتراض أنك غير مستيقن أن الأمر كما قلت ، كيف تستيقن أنه ليس كذلك ؟ فيها أيها الكافر البائس ، إن الله يقول : ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [سورة المطففين : الآية ٤] .

" ألا تظن ظنا أن تلك الصور من الوعيد التى هددنا بها ربما تكون صحيحة ، وأنه ستكون مؤاخذة للكافرين على نحو لم يخطر لك ببال ؟ فلم والحال كذلك لم تحتط لذلك وتطلبنا (تطلب الحق) ؟ " .

فصل

" ما فضل أبو بكر بكثرة صلاة وصوم وصدقة بل بما وقر فى قلبه " (*)

يقول : إن تفضيل أبى بكر على الآخرين لم يكن بسبب كثرة صلاة ولا كثرة صيام ، بل لأنه خص بعناية ، وهى محبة الله . وفى يوم الحساب عندما يؤتى بالصلوات ، ستوضع فى الميزان ، وكذا الحال مع الصيام والصدقات ، أما عندما يؤتى بالمحبة فإن الميزان لا يتسع لها . وهكذا فإن الأصل إنما هو المحبة .

ولذلك ، عندما ترى المحبة فى نفسك ، ضاعفها لكى تزداد . عندما ترى المبدأ موجوداً لديك ، أعنى طلب الحق ، زده بالطلب الدائم ؛ لأن " فى الحركات بركات " ؛ وإذا لم تزد هذا المبدأ ، فإنه سيفر منك . لست أقل من الأرض ، فالناس يغيرون الأرض تغييراً تاماً بالتحريك والتقليب بالمحراث ، فتنبت النباتات ؛ وعندما يهملونها تغدو صلبة .

(*) قال بعضهم هو قول لبكر بن عبد الله المزنى ، وهو من أدابر الزهاد (ت ١٠٨ هـ) . وقال آخرون هو حديث نبوى . انظر فى هذا الشأن تعليقات العلامة فروزانفر على كتابنا هذا ؛ الأصل الفارسى ، ص ٣٤٢ (المترجم) .

وهكذا إذا آنست فى نفسك طلب الحق ، فكن دائمًا آتيا وذاهبًا ولا تقل : " ما الفائدة فى هذا الذهاب ؟ " - فالزم الذهاب ، وستظهر الفائدة من نفسها ، فذهاب الإنسان إلى الدكان لا فائدة له سوى عرض الحاجة . الحق تعالى يرزق ؛أما إذا جلس الإنسان فى البيت ، فإن هذه دعوى استغناء ، ولن ينزل الرزق .

وتأمل الرضيع الذى يصرخ ، فتعطيه أمة الحليب . لو قدر أن يفكر : " ما الفائدة فى بكائى وما السبب لإعطائها الحليب ؟ " لبقى من دون حليب . وهكذا ندرك أنه لذلك السبب يصل إله الحليب . وهكذا إذا استغرق الإنسان فى التساؤل : " ما الفائدة فى هذا الركوع والسجود ؟ ولم أقوم بهما ؟ .

عندما تقدم الطاعة بين يدى أمير أو رئيس ، فى ضرب من الركوع والانحناء ، فإن ذلك الأمير يعاملك بالرحمة ويعطيك لقمة . ذلك الشيء الذى يجعل الرحمة فى قلب الأمير ليس جلد الأمير ولحمه . بعد الموت يظل ذلك الجلد وذلك اللحم موجودين ، مثلما هى الحال عندما ينام الأمير ويكون فى غفلة ، لكن تلك الطاعة والخدمة التى تؤديها له تضيع عنده . وهكذا نستيقن أن الرحمة التى فى الأمير ليست شيئًا يمكن إدراكه ورؤيته . فإذا كان ممكناً لدينا أن نطيع ونخدم فى الجلد واللحم شيئًا لا نراه ، فإن كان ممكناً أيضاً فى حال ذلك الذى لا جلد له ولا لحم .ولو كان ذلك الشيء الذى فى الجلد واللحم غير خفى ، لكان أبو جهل والمصطفى شيئاً واحداً ؛ ومن ثم لا فرق بينهما .

الأذن من جهة المظهر واحدة عند الأصم والسميع ، لا فرق بين أذن أحدهما وأذن الآخر ، الأولى لها القالب نفسه الذى للأخرى ؛ لكن السمع مخفى فى تلك التى تسمع ، لا يمكن رؤيته .

وهكذا ، فالأصل هو تلك العناية الإلهية . أنت ، إذ أنت أمير ، لديك غلامان يخدمانك . أحدهما يؤدى خدمات كثيرة ، ويسافر من أجلك أسفاراً كثيرة ؛ والآخر كسول خامل فى الخدمة . وبرغم ذلك نرى أن محبتك لذلك الكسول المتبطل أكثر منها لذلك النشيط ؛ وبرغم ذلك لا تدع ذلك الغلام النشيط من دون إثابة ، هكذا يحصل . لا يمكن الحكم على العناية . هذه العين اليمنى والعين اليسرى كلتاهما من ناحية الظاهر شىء واحد ، فما الخدمة التى أدتها العين اليمنى ولم تؤدها العين اليسرى ؟ واليد اليمنى ، أى شىء فعلت مما لم تفعله اليسرى ، وهكذا الحال بشأن القدم اليمنى ؟ لكن العناية كانت من نصيب العين اليمنى .

وكذلك فإن الجمعة فضلت بقية أيام الأسبوع " إن الله أرزاقاً غير أرزاق كتبت له فى اللوح فليطلبها فى يوم الجمعة " . والآن ماذا قدمت هذه الجمعة من خدمة مما لم تفعله الأيام الآخر ؟ وبرغم ذلك كانت العناية من نصيبها ، وهذا التشريف خاص بها .

ولو أن أعمى قال : " إننى خلقت هكذا أعمى وأنا معذور " ، لما أفاده قوله : " إننى أعمى " ، و " أنا معذور " ، ولن ينصرف عنه ما به من بلاء . وهؤلاء الكافرون الراسخون فى الكفر ، وفى النهاية يتألمون بسبب كفرهم . وبرغم ذلك عندما ننظر فى الأمر مرة أخرى ، يبدو لنا

ذلك الألم عين العناية . عندما يكون الكافر فى رخاء ينسى الخالق ؛ وهكذا فإن الله يذكره بالألم . ولذلك فإن جهنم مكان للعبادة ، ومسجد للكافرين ؛ لأنه هناك يتذكر الكافر الحق كما تكون الحال فى السجن والتألم ووجع الأسنان - عندما يأتى الألم يمزق حجاب الغفلة . يقر المتألم بحضرة الحق ويتأوه : " يارب ، يا رحمان ، يا حق " ، فيشفى ؛ ومرة أخرى تسدل حجب الغفلة فيقول : " أين الله ؟ - لا أستطيع أن أجده ، لا أستطيع أن أراه . عم أبحث ؟ "

كيف رأيت ووجدت عندما كنت متألمًا ، والآن لا ترى ؟ وهكذا لأنك ترى وقت الألم ، خلق الألم ليستبد بك من أجل أن تكون ذاكراً للحق . وهكذا فإن نزيل جهنم كان غافلاً عن الله وقت رخائه ، ولم يكن يذكر الله ؛ أما فى جهنم فيذكر الله ليلاً ونهاراً . خلق الله العالم والسماء والأرض والقمر والشمس والسيارة والخير والشر من أجل أن تذكره وتطيعه وتسبح بحمده ، ولأن الكفار وقت رخائهم لا يفعلون ذلك ، ولأن المقصود من خلقهم ذكر الله ، يدخلون جهنم لى يكونوا ذاكرين .

أما المؤمنون فليسوا فى حاجة إلى الألم ، لأنهم وقت رخائهم لم يكونوا غافلين عن ذلك الألم ، ويرون ذلك الألم حاضراً . كالطفل العاقل الذى توضع قدمه مرة واحدة فى الفلق (*) فيكون ذلك كافياً لئلا ينسى الفلق ؛ أما الطفل الغبى فينسى ، ويحتاج إلى الفلق فى كل لحظة .

(*) خشبة فيها خروق على قدر سعة الساق ، توضع فيها ساق من يراد ضربه على قدميه عقوبة (المترجم) .

وكذلك الحصان الأصيل الذى همزه الرائض مرة واحدة بالمهماز [*] لا يحتاج إلى أن يهمز مرة أخرى ، ويقطع بالراكب فراسخ كثيرة ، من دون أن ينسى رأس ذلك المهماز . أما الكودن (الفرس الهجين) فيحتاج كل لحظة إلى المهماز ، وهو غير لائق لحمل الراكب ، ومن ثم يحملون عليه السرقين .

* * *

(*) المهماز : حديدة فى مؤخر خف الرائض ، يهمز الرائض بها المهر الذى يروضه أى ينخسه (المترجم) .

فصل

إن تواتر السمع على الأذن يفعل فعل الرؤية ، وله حكم الرؤية . مثلما ولدت من أبيك وأمك ، فقيل لك : إنك ولدت منهما ؛ لم تر بعينك أنك ولدت منهما ، ولكن بكثرة ترديد هذا القول على مسمعك صار الأمر حقيقة لديك ، إلى درجة أنه لو قيل لك : إنهما لم يلداك لما سمعت هذا . وكذلك الحال فى شأن بغداد ومكة اللتين سمعت من ناس كثيرين على نحو متواتر أنهما موجودتان ، لو قيل لك : إنهما غير موجودين وأقسمت لك اليمين على صحة عدم وجودهما لما أيقنت بها . وهكذا نستبين أن الأذن إذا سمعت بطريق التواتر كان لها حكم العين . كذلك فإنه من وجهة الظاهر يعطى لتواتر القول حكم الرؤية . وربما يكون لقول شخص من الأشخاص حكم التواتر ، ومن ثم لا يكون هذا الشخص واحداً بل مئة ألف شخص ؛ وهكذا فإن القول الواحد منه يكون مئة ألف قول . وما العجب فى هذا ؟ - فإن ملك الظاهر له حكم مئة ألف ، برغم أنه واحد ، وإذا قال مئة ألف شخص لم ينفذ قولهم ، وإذا قال هو نفذ ما قال .

ومادام هذا يحدث فى عالم الظاهر ، فإن حدوثه فى عالم الأرواح أولى واكد . وبرغم أنك طفت العالم ، لأنك لم تطف من أجله ، يكون

لزاماً عليك أن تطوفه مرة أخرى ،﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١١] . ذلك السير ليس من أجلى ، بل من أجل الثوم والبصل . عندما لا تطوف فى الأرض من أجله ، يكون طوافك من أجل غرض اخر ، وذلك الغرض يكون حجاباً لك لا يأذن لك برؤيتى " .

مثلما يحدث عندما تبحث عن شخص فى السوق بشىء من الجد والاشتياق فإنك لا ترى أحداً البتة . وإذا ما رأيت الناس رأيتهم كالخيال . أو عندما تبحث عن مسألة فى أحد الكتب ، فإنك إذا امتلأت أذنك وعينك وعقلك بهذه المسألة وحدها ، تقلب أوراق الكتاب من دون أن ترى شيئاً . أما عندما يكون لك نية ومقصد غير هذا ، فإنك أينما يمت كنت ممتلئاً بذلك الشىء ولم تر هذا .

فى زمان عمر ﷺ ، كان هناك شخص تقدمت به السن كثيراً ، ونالت منه الشيخوخة إلى درجة أن ابنته كانت تشربه الحليب وتعنى به كحال الأطفال . قال عمر ﷺ لتلك الفتاة : " لا يوجد فى هذا الزمان ابن مثلك يؤدى حق والده . فأجابت الفتاة : " ما تقوله صحيح . ولكن بينى وبين أبى فرق ، برغم أننى لا أقصر البته فى خدمته ، فإنه حين كان يربينى ويخدمنى كانت فرائصه ترتعد خشية أن يصيبنى مكروه . وأنا أخدم والدى وأدعو ليلاً ونهاراً سائلة الله أن يميته ؛ لكى أتخلص من إعناته وإزعاجه . فإذا كنت أخدم والدى ، فمن أين لى أن أظفر بارتعاد فرائصه خشية على من النوائب ؟ " . فقال عمر : " هذه أفقه من عمر " . أى " إننى حكمت على الظاهر ، أما أنت فقلت لب القضية " .

فالفقيه هو الذى يكون مطلعاً على لب الشيء ، ومن ثم يتعرف حقيقته . وحاشا لعمر أن يكون غير مطلع على حقائق الأمور وأسرارها ، لكن سيرة الصحابة كانت هكذا ؛ ينالون من أنفسهم ويثنون على الآخرين ؟

كثير من الأشخاص ليس لهم القدرة على " الحضور " : يكونون أطيب نفساً فى " الغيبة " . وعلى النحو نفسه فإن ضياء النهار كله من الشمس ، ولكن إذا ما ظل الإنسان طوال النهار ينظر فى قرص الشمس فإن ذلك يعطله ويبهر عينيه . ومن الخير له أن يكون منشغلاً بشيء أو بآخر ، وتلك " غيبة " عن التحديق فى قرص الشمس . كذلك فإن ذكر الأطعمة اللذيذة أمام المريض مهيج له لتحصيل القوة والاشتهاء ، لكن حضور تلك الأطعمة يكون مضراً به .

وهكذا يغدو معلوماً أنه لا بد من الارتعاش والعشق فى طلب الحق . ومن ليس لديه رعشة العشق فعليه أن يخدم من لديهم هذه الرعشة . لا تنعقد الثمار على جذوع الأشجار البتة ؛ لأنه ليس للجذوع هذه الرعشة ؛ أما رؤوس الفروع فترتعش . لكن جذع الشجرة يقوى رؤوس الفرع ، وبواسطة الثمار يأمن ضربات الفأس . وعندما تكون رعشة جذع الشجرة بواسطة الفأس ، فإن عدم الارتعاش خير له والسكون أولى به لكى يخدم أصحاب الرعشة .

طالما أنه معين الدين (*)، فإنه ليس عين الدين ، بسبب الميم التى

(*) يشير ظاهراً إلى معين الدين سليمان بروانه وقد أشير إليه قبل ذلك انظر حاشية ص (٣٢) (المترجم) .

زيدت على العين ؛ فإن " الزيادة على الكمال نقصان " . زيادة الميم تلك نقصان . وعلى النحو نفسه ، برغم أن ست أصابع لليد الواحدة زيادة فإنها نقصان . (أحد) كمال ، و (أحمد) لما تكن بعد فى مقام الكمال ؛ عندما تزال تلك الميم تغدو كمالاً تاماً . أى إن الحق محيط بكل شىء تضيفه إليه يكون نقصاناً . العدد (واحد) موجود فى الأعداد جميعاً ، ومن دونه لا يمكن أن يكون هناك عدد . كان السيد برهان الدين يتحدث بكلام مفيد . قاطعه أبله عندما كان يتحدث ، فقال ذلك الأبله : " نحتاج إلى كلام لا مثال له " .

فأجاب السيد : " أنت ، يا من لا مثال له ، اسمع كلامًا لا مثال له ٣٢٤ " . وبعد كل شىء ، أنت مثال لنفسك ، أنت لست هذا ، شخصك هذا هو ظلك . عندما يموت إنسان يقول الناس : " ذهب فلان " . إذا كان هو هذا الجسد فإلى أين ذهب ؟ وهكذا يغدو معلومًا أن ظاهرك مثال لباطنك ، لكى يستدل بظاهرك على باطنك . كل شىء يرى بالعين ، إنما يرى بسبب كثافته . كالنفس الذى لا يرى فى الجو الحار ، ولكن عندما يكون الجو بادرًا يغدو مرئيًا بسبب الكثافة والغلظ .

واجب على النبى ﷺ ، أن يظهر قوة الحق . وينبه الناس بوساطة الدعوة . ولكن ليس واجباً عليه أن يوصل الإنسان إلى مقام الاستعداد لتلقى الحقيقة الإلهية ؛ لأن ذلك عمل الحق . وللحق صفتان : القهر واللطف . والأنبياء مظهر للاثنتين ؛ والمؤمنون مظهر لطف الحق ، والكافرون مظهر قهر الحق .

أولئك المقرون يرون أنفسهم فى النبى ، ويسمعون صوتهم منه ويشتمون رائحتهم منه . الإنسان لا ينكر نفسه . ومن هنا يقول الأنبياء للأمة : " نحن أنتم ، وأنتم نحن ، لا غرابة بيننا " . يقول أحدهم : " هذه يدى " ولا أحد يطلب منه برهاناً على ذلك ؛ لأنها جزء منه متصل به . ولو قال : " فلان ابنى " لطلب منه الدليل ؛ لأن ذلك جزء منفصل .

* * *

فصل

قال بعضهم : إن المحبة موجبة للخدمة . وليس هذا كذلك ، بل إن ميل المحبوب هو المقتضى للخدمة . فإذا أراد المحبوب ذلك ، فإن المحب يترك الخدمة . على أن ترك الخدمة ليس منافياً للمحبة . وبعد ذلك فإن المحب إذا لم يقدم الخدمة ، فإن تلك المحبة تقدم الخدمة فيه . بل إن الأصل هو المحبة ، والخدمة فرع المحبة . فإذا تحرك الكم فإن ذلك من تحريك اليد . لكنه لا يلزم من حركة اليد أن يتحرك الكم . خذ مثلاً : لدى أحدهم جبة كبيرة فضفاضة ، فهو يدور داخل الجبة لا تتحرك . ذلك ممكن ؛ لكن غير الممكن هو أن تتحرك الجبة من دون حركة الشخص .

بعضهم ظنوا الجبة نفسها شخصاً ، وعدُّواً الكُم يداً ، وتخيلوا الحذاء ذا الساق الطويلة ورجل السروال رجلاً .

هذه اليد وهذه القدم هما كم وحذاء ليد أخرى وقدم أخرى . يقولون : " فلان تحت يد فلان " ، و" لفلان يد فى أشياء كثيرة " ، و " يعطى فلاناً يده فى الكلام " . ولا شك فى أن الغرض من تلك اليد وتلك القدم ليس هذه اليد وهذه القدم .

ذلك الأمير جاء فجمعنا ، ثم انصرف . مثلما جمع الزنبور الشمع والعسل ثم انصرف هو وطار . ذلك لأن وجوده شرط ، أما بقاؤه فليس شرطاً . أمهاتنا وأباؤنا مثل الزبير ، تجمع الطالب بالمطلوب والعاشق بالمعشوق ، ثم تطير على نحو مفاجئ جعلها الحق تعالى وسيطاً لجمع الشمع والعسل ، ثم تطير ، ويبقى الشمع والعسل والبستان . الزنابير نفسها لا تخرج من البستان ؛ فليس هذا ذلك البستان الذى يمكن الخروج منه ؛ لكنها تتنقل من زاوية من زوايا البستان إلى زاوية أخرى من زواياه .

إن جسمنا يشبه خلية النحل : إذ فيه شمع وعسل لعشق الحق . وبرغم أن الزنابير ، أمهاتنا وأباءنا ، وسيط فقط ، فإنهم يربون من جانب البستانى ؛ والبستانى أيضًا يصنع الخلية . وقد أعطى الحق تعالى تلك الزنابير صورة أخرى ؛ ففى الوقت الذى كانت تعمل فيه هذا العسل كان لديهم لباس آخر مناسب لذلك العمل ، أما عندما ذهبت إلى ذلك العالم فقد غيرت لباسها ؛ لأنه هناك يصدر عنها عمل آخر . وبرغم ذلك فإن الشخص هو نفسه الذى كان فى المكان الأول . مثل ذلك ، على سبيل المثال ، أن أحدهم مضى إلى القتال ، فارتدى لباس القتال ، وتقلد السلاح ، ووضع الخوذة على رأسه ؛ لأن الوقت وقت حرب . أما عندما يأتى إلى مجلس أنس فإنه يخلع ذلك اللباس ؛ لأنه سينشغل بعمل آخر . لكن الشخص هو نفسه . ولكن لأنك كنت قد رأيته فى ذلك اللباس فإنك كلما تذكرته تصورته فى ذلك الشكل وذلك اللباس ، حتى عندما يكون قد غير اللباس مئة مرة .

أحد الأشخاص أضاع خاتمًا فى موضع ما ، برغم أن ذلك الخاتم قد نقل من ذلك المكان ، يظل يدور حول ذلك المكان قائلاً فى نفسه : " قد أضعته فى هذا المكان " . مثل من فقد عزيزًا فإنه يظل يدور حول القبر ، ويطوف حول التراب ويقبله دون وعى . يظل يقول فى نفسه : " فقدت ذلك الخاتم هنا " ؛ فكيف يترك هناك ؟

صنع الحق مصنوعات ابتغاء أن يظهر قدرته . حتى جمع فى يوم أو يومين بين الروح والجسد من أجل الحكمة الإلهية . ولو جلس الإنسان مع الجثة فى القبر لحظة . لكان ثمة خشية من أن يصاب بالجنون ، فكيف يمكن أن يبقى هناك ، عندما يتخلص من شرك الصورة وخندق الجسد ؟ صنع الحق تعالى ذلك من أجل تخويف القلوب وأمارة لتجديد التخويف حيناً بعد حين ؛ لكى ينبعث الهلع فى قلوب الناس من وحشة القبر وظلمة التراب . وهذا شبيه بما يحدث عندما تهاجم قافلة فى الطريق فى موضع من المواضع ، فيكرم رجال القافلة حجرين أو ثلاثة معاً على سبيل العلامة والأمارة ؛ قاصدين أن هاهنا موضعاً خطراً . هذه القبور أيضًا علامة محسوسة على محل الخطر .

ذلك الخوف يؤثر فى الناس بقوة برغم أنه ليس لزاماً أن يتحقق . فعندما يقال مثلا : " إن فلانا يخاف منك : فإنك ، من دون أن يصدر منه فعل ، تبدى تعاطفًا إزاءه من دون شك . وعندما يقال عكس هذا ؛ أى : " إن فلانا لا يخشاك البتة ، وليس لك فى قلبه أية مهابة " ، بمجرد أن يقال هذا ، يظهر فى قلبك غضب إزاءه .

هذا الجرى نتاج الخوف . والعالم كله يجرى ، لكن جرى كل شىء مناسب لحاله . فجرى الإنسان من نوع وجرى النبات من نوع آخر ، وجرى الروح من نوع ثالث . جرى الروح من دون خطا وآثاره أقدام . تأمل الحصرم ، كم يجرى حتى يصل إلى سواد الغيب الناضج ؛ متى غدا حلواً ، فى الحال وصل إلى تلك المنزلة . وبرغم أن ذلك الجرى لا يرى ولا يحس ، فإنه عندما يصل إلى ذلك المقام يدرك أنه قد جرى كثيراً ، حتى وصل إلى هنا . مثلما يحدث إذا دخل إنسان فى الماء ، ولم ير أحد دخوله ؛ عندما يخرج رأسه من الماء على حين غرة يعلم أنه كان قد دخل الماء ؛ لأنه قد وصل إلى هذه النقطة .

* * *

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقي جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضري
٥-	ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكي
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودي	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسي للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسي سميث	أشرف رفيق عفيفي
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف/ أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوي
١٨-	الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولي و بدوي عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجي	ماجدة العناني
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد علي الناصري
٢٣-	تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوي (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشري الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة في التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣-	التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنچامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد علي
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩-	الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسي التدعيمي	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسي سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحي
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	علي يوسف علي
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود علي مكي
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطي
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبري محمد عبد الغني
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهري
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعي
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسي العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلي
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومي

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سري محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى بلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنيتل ألكسندرو فنابوليتا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	جون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديفى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	فولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	جوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيفال (مسرحية)	ريتشارد فاجنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسي
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مي التلمساني
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٩- الأيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحي
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومي
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوي	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤- شامبليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	شكري محمد عياد
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنري ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و. ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحي العشري
١٨٤- القاهرة: حالة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقي سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزُرج علوي	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر	بول دی مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلي النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتازار	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديڤيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الفجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	جون جريين	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

العنوان	المؤلف	المترجم
٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم علي
٢٦٧- فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكي
٢٦٨- ديوان شمس تبريزي (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سي. باترسون	شوقي جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية في مصر	سي. سي. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابي في مصر	جوان كول	عنان الشهاوي
٢٧٤- السيدة باربارا (رواية)	رومولو جايجوس	محمود علي مكي
٢٧٥- ت. س. إليوت شاعرا وناقدا وكاتبا مسرحيا	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمساني
٢٧٧- الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزي
٢٧٨- البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية	ف. س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١- الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوي
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	علي عبد الرؤوف البمبي
٢٨٤- هرقل مجنونًا (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عثمان
٢٨٥- رحلة خواجة حسن نظامي الدهلوي	حسن نظامي الدهلوي	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمي	أنتوني كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨- الفن الروائي	ديفيد لودج	ماهر البطوطي
٢٨٩- ديوان منوچهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة	چورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢- تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربي	روجر ألن	مجدي توفيق وآخرون
٢٩٤- فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥- سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦- مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازي	ماجدة محمد أنور
٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٩٩- ثورة في التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠- أسطورة بروميثيوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (جـ١)	لويس عوض	جمال الجزيري وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة بروميثيوس في الأدبين الإنجليزي والفرنسي (جـ٢)	لويس عوض	جمال الجزيري و محمد الجندي
٣٠٢- أقدم لك: فتجنشتين	چون هيتون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١- مقال في المنهج الفلسفي	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدي
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٣١٥- جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٣١٦- محاكمة سقراط	أي. ف. ستون	نسيم مجلي
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتري سبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفي برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	دبليو بوجين كليتباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزي
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدي	محمود علاوي
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق علي منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامي صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراي	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	علي إبراهيم منوفي
٣٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالي ساروت	فتحي العشري
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوي
٣٣٩- تاريخ الأدب في إيران (جـ٣)	ادوارد. براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخري لبيب

العنوان	المؤلف	المترجم
٢٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمى
٢٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	يونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٢٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٢٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	الان جرينجر	عاطف معتمد وأمال شاور
٢٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد چيبسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٢٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	چيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٢٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٢٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	چان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. ترامسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد اسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	جون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زيادون ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	چوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	چينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوڤا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلي
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روي متحدة	أشرف كيلاني
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح	محمود طلوعي	محمود علاوي
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية)	باي إنكلان	ثريا شلبي
٤٢٨- الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافي
٤٢٩- أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- أقدم لك: كانط	كريستوفر وانت وأندزجي كليموفسكي	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- أقدم لك: ماكيافللي	باتريك كيري وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدي الجابري
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودي بورهام	عصام حجازي
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجي رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	شبلي النعماني	جلال الحفناوي
٤٣٨- بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابي (رواية)	صدر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوي
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتي روي	فخري لبيب
٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتي
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوي
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علماني
٤٤٥- حول وزن الشعر	بروين ناتل خانلري	محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧- ملحمة السيّد	تراث شعبي إسباني	الطاهر أحمد مكي
٤٤٨- الفلاحون (ميراث الترجمة)	الأب عيروط	محيي الدين اللبان ووليم داود مرقس
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيري
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيري
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبيجينانزي وأوسكار زاريت	محيي الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	وينيام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الننة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانس روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات | هارولد بالمر | محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج فى النهار | نصوص مصرية قديمة | شريف الصيفى
٤٩٥- اللوبى | إدوارد تيفان | حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١) | إكوادو بانولى | مجموعة من المترجمين
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط | نادية العلى | مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث | جوديث تاكر ومارجريت مريويذر | أحمد على بدوى
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع | مجموعة من المؤلفين | فيصل بن خضراء
٥٠٠- فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية | تيتز رووكى | طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (جـ١) | أرثر جولد هامر | سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة | مجموعة من المؤلفين | هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث | نخبة من الشعراء | محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية (جـ١) | مارتن هايدجر | إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية (جـ٢) | مارتن هايدجر | إسماعيل المصدق
٥٠٦- ربما كان قديسًا (رواية) | آن تيلر | عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية) | بيتر شيفر | شوقى فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى | عبدالباقى جلبنارلى | عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك | آدم صبرة | قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية) | كارلو جولدونى | عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقّع (رواية) | آن تيلر | عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائى | تيموثى كوريجان | جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور | تيد أنتون | مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية | جونثان كولر | مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة | فدوى مالطى دوجلاس | فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان | أرنولد واشنطون ودونا باوندى | صبرى محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى | نخبة | سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون | إسحق عظيموف | هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة | جوزايا رويس | أحمد الأنصارى
٥٢٠- الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع | أحمد يوسف | أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة | أرثر جولد سميث | عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها | أميركو كاسترو | على إبراهيم منوفى
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن | باسيليو بابون مالدونادو | على إبراهيم منوفى
٥٢٤- الملك لير (مسرحية) | وليم شكسبير | محمد مصطفى بدوى
٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى | دنيس جونسون | نادية رفعت
٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية | ستيفن كرول ووليم رانكين | محيى الدين مزيد
٥٢٧- أقدم لك: كافكا | ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب | جمال الجزيرى
٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية | طارق على وفلْ إيفانز | جمال الجزيرى
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى | محمد إقبال | حازم محفوظ
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية | رينيه جينو | عمر الفاروق عمر

٥٣١-	ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢-	المغامر والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣-	تعلم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	محمد الحديدي
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	علي عبد الرءوف البمبي
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦-	أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	علي السيد علي
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩د-	موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠د-	دول الخليج الفارسي	سير رويرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١-	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب في زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣د-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤-	مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥-	الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	محمد قدري عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وجودي جرونز	محيي الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحي عبدالهادي
٥٨١-	الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت أبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدي
٥٨٨-	أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتي
٥٨٩-	تمبكت العجيبة	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	علي عبدالتواب علي وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبري السوربوني	مجدي عبدالحافظ وعلي كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليري	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أماني فوزي
٥٩٥-	الحكم والسياسة في أفريقيا (جـ٢)	إكوادو يانولي	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية في العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومي علي قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوي
٦٠٠-	الإسلام في التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢-	ليوتار نحو فلسفة ما بعد حداثية	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافي	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق علي منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكي (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦-	قصة البردي اليوناني في مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدني

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هاري سينت فيلبي	صبري محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هاري سينت فيلبي	صبري محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافي	أجنر فوج	شوقي جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	علي إبراهيم منوفي
٦١١- النقد والأيديولوجية	تيري إيجلتون	فخري صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسيني	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير (رواية)	فوزية أسعد	مني قطان
٦١٥- عرض الأحداث التي رأيتها في بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيريني	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيليبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون اسطانبولي	عايدة الباجوري
٦٢٠- السلام الصليبي	توماش ماستناك	بشير السباعي
٦٢١- رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	عمر الخيام	محمد السباعي
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	اي تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازي
٦٢٣- نوادر جحا الإيراني	سعيد قانعي	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- شعر المرأة الأفريقية	نخبة	غادة الحلواني
٦٢٥- الجرح السري	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق علي منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدي محمود المليجي
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسي
٦٣٠- سيرتي الذاتية	أحمد بللو	صبري محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقي المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود في مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روي ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوي
٦٣٥- التثبيت والتكيف في مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعي
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعي
٦٤٠- ألكسيباد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشي
٦٤١- برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدري عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادي	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحي العشري
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جي دي موپاسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود تروينكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاوي
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبري التهامي
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبري التهامي
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالدييار	صبري التهامي
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعي
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي	ألفن جولدنر	علي ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشي	ليلى الجبالي
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلي
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطي
٦٧١-	قل لي كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	علي عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسي للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوي
٦٧٤-	ديوان الإمام الخميني	آية الله العظمى الخميني	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٧-	تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٨-	تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق علي منصور
٦٨٠-	المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غربال
٦٨١-	هل يوجد نص في هذا الفصل؟	ستانلي فش	أحمد الشيمي
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكري	صبري محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى. م. الوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كنا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاييم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	مدونة جوستنيان فى الفقه الرومانى (ميراث الترجمة)	جوستينيان	عبد العزيز فهمى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون